دكتور محمد عبد المعطي الحتو

زواج ملك اليمين

مدبولي الصغير

اهداءات ٢٠٠٢

د/محمد عبد المعطي
القاهرة

زواج
ملك اليمين

زواج ملك اليمين

الناشر: **مكتبة مدبولى الصغير**
٤٥ شارع البطل أحمد عبدالعزيز
تليفون: ٣٤٧٧٤١٠ ـ ٣٤٤٢٢٥٠
ميدان سفنكس ت: ٣٤٦٣٥٢٥
رقم الإيداع: ٩٩/٣٧٨٢
الترقيم الدولى: 977-286-065-1

الطبعة الأولى: ١٩٩٩

زواج مِلكْ اليمين

دكتور محمد عبدالمعطى الحتو
كبير أطباء جامعة الأزهر سابقاً



إهـــداء

إلى أمى

أنجبتنى يوم التقت بأبى، وولدتنى يوم ميلادها الجديد حين واريت « جسدها » الشريف، تركتنى « نفسها » الطاهرة لتلتقى بالحبيب؛ الموت هو: ميلاد جديد، للقاء الحبيب.

و.. أبى:

إلى من حمل همومى أوزاراً
إلى من كان لى أهلاً وخلاً وداراً
حملتك فى قلبى نبضاً وأخفيتك فى صدرى سراً
فهل أوفيتك لو أهديتك من « سفرك » سطراً

محمد



الاستهلال
زواج للكبار فقط

هل تقبل أن تتزوج بناتك أو أخواتك العذارى البكارى بعقد عرفى أو أن يرتبطن بزواج سرى أو يصبحن جوارى.. ملك يمين؟!

أنت لاتقبل ذلك بالطبع.. ولا أنا أقبله.. فماذا لو قبلت هى؟

لكن إذا تسللت الأنثى إلى قلب رجل أو إلى مخدعه عامدة متعمدة أو مسلوبة الإرادة، إذا خدعها هو وضحك على عقلها، فارتبطت به سراً، أو لو ضحك هو عليك ياوليّ أمرها، وضلّل الأسرة وأخفى بشاعة ماضيه وسوء حاضره وتعدد زوجاته، لو اغتصبها ليضعها وأسرتها أمام الأمر الواقع، ماذا ستفعل؟

الزواج الرسمى هو حلم كل فتاة شريفة لبناء أسرة. ولكن الزواج ليس فقط للجنس «للمعاشرة» هناك آلاف النساء: عوانس، أرامل ومطلقات فضلاً عن المعوقات ذهنياً أو جسدياً أو اجتماعياً أو ثقافياً أو لمرض أو لعجز يتمنين الزواج بغرض الحماية «والعشرة» والونس وربما الجنس. لابد أن يكون هناك زواج درجة ثانية، تتنازل فيه الراغبة عن بعض حقوقها أو يتنازل هو عن بعض واجباتها. لكن المشكلة أنهما لو ارتضيا التنازل وتعاقدا عليه فإن العقد ليس شريعة المتعاقدين، كما يشيع رجال القانون. هذا المبدأ الإسلامى مُستقرٌ عليه ظاهرياً فقط لأن عليه قيداً: هو شرط عدم مخالفة النظام العام أو الآداب العامة، أو- بعبارة أخرى- القواعد الآمرة للقانون. فأصبح من حق الزوجة التى استدرجت الرجل إلى كمين «زواج مشروط» أن تتمسك بحقوقها قِبَل الزوج فى الإنفاق والمعاش والسكن والميراث حتى لو أثبتت فى عقد النكاح شرطاً يخالف ذلك. لفساد الشرط أو- إن شئت- لبطلانه.

إذن يجب تعديل القانون ليسمح للمأذون بكتابة عقد يُلزم المتنازل بعدم الاعتراض على تنازلها وعدم المطالبة بحقوق تنازلت عنها بإرادتها قبل أن «تتمكن» بشرط ألا يتعارض هذا مع الشريعة الإسلامية. لأن المتعاقدة وقت أن تنازلت لم تكن بعد زوجة، ولهذا يمكن أن يعترض رجال القانون وتقبل المحكمة دعواها بأن التنازل كان بالإكراه أو خدعة لتتمكن من تحقيق أملها. فإذا لم يطمئن المتعاقدان على أن العقد هو فعلاً شريعة المتعاقدين، فلن يوثقاه أبداً أو يحرراه أصلاً، وتبقى العلاقات خفية سرية آثمة.

ثم إن الإسلام ليس دموياً أبداً كما يدعى الفقهاء، لم يأمر الإسلام ببتر يد السارق ولا رجم الزانية ولا قتل المرتد، ولم يأذن أبداً بالجوارى والعبيد. الإسلام دين عتق لا دين رق، ولم يُشرِّع التعدد بل قيده، ولم يحرّم الطلاق بل اعتبره أبغض الحلال. لا يمكن أن يكون معنى ملك اليمين هو الجارية أو العبد ولا يمكن مطلقاً أن يقيم نبى الإسلام علاقة غير مشروعة مع جاريته جويرية اليهودية أو مارية القبطية.

ملك اليمين لسن أبداً: أسيرات حرب، Prisoners of war أو أسيرات الجهاد Captives of Jehad. كما ظلم - المترجمون لآيات الله - ٥٠٠ مليون مسلم لايقرأون العربية ولايفهمون مفردات اللغة. فماذا لو اكتشفتم فى هذا الكتاب أن فقهاءنا الأفاضل أيضاً لايفهمون اللغة العربية ولا معانى مفرداتها؟! مهزلة.. أليس كذلك، والدليل الأكيد ستقرأه فى الفصل الأخير.

***

«الإسم الدال»: على محتوى هذا الكتاب هو «زواج ملك اليمين».. و«الاسم المدَلّل»: أى اسم الدلع كان «اغتصاب بقرة» لكشف دور أجهزة الإعلام المرئى والمسموع والمقروء فى إثارة الرغبات البهيمية ودور التطرف الدينى والتطرف اللادينى فى إفساد المجتمع، ودور الفقهاء فى تسييس الدين وإهمالهم المتعمد للتنوير ومعايشة الواقع.

ورأيت أنه من الأسلم أن أبتعد عن العناوين التى تثير الفقهاء وتستنفرهم ضدى مثل «الإجهاض ضرورة قومية» أو التى تثير زوجتى وتشككها فى سلامة نواياى، مثل «زواج ملك اليمين» ورفض الناشر اسم الدلع الذى يتوارى خلفه الاسم الحقيقى المثير للمشاكل الفقهية والزوجية. ورفض عنوان «دور بعض الفقهاء والمحدثين والرهبان والكهنة فى إفساد المجتمع».

قضية النفس والروح ؛ ٣ أجزاء:

The Triology of A Perplexed Mind

Der Geist	Die Seele
Espirit	Ame
Soul	Self

١ـ الإجهاض ضرورة.   صدر وصودر ٩٢/٧٩٦٤

٢ـ زواج ملك اليمين.   أودع فى ٩٧/٥١٣

٩٦/٩٦١٥

٣ـ خلـق أم تطور ؟.   تحت الطبع   ٩٥/١٠٦١٤

،إن الخواطر فى عالم الفكر ليست بحاجة إلى برهان، .

،قد يهلك المفكر لكن أفكاره تظل حيّة وبقوة، .

روائع التراجيديا فى أدب الغرب

،من جرى فى عنان أمله، عثر بأجله،

على بن أبى طالب

،يقاتل المثقف من أجل مستقبل جميل، لا يراه فى حياته أبداً،

هنريش بول

،أن تعيش لحظة واحدة كأسد، خير لك من أن تعيش نعجة.. إلى الأبد!،

إقبال ـ ديوان أجنحة جبريل


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقديـــم
نَعْـــى ورِثـــاءْ

الأهـــل * أمانة يا خويا قل للطبيب يرجع إيـدك تقيلـه ومشرطك طـايب

الأحباب * ساعة دخلـوا علـيه كتـار ودوه للحـــاكم بـــلا ســـروال

وقفـت عليه عسكر وهجّانـه وأنـــا بيـن الجمـــع دهيـــانه

نهار اللى جرى، عملوا عليه داير وبقــى السـجيع بينهـم حـــاير

المعارضة * مال الحكومة فى الخلا تزوم؟ على جديع صغير فى الخلا مقتول

المؤلـــف * رجـالى كتيرة وعزوتــى ميتيـن ونهـار ضربى كانت رجالى فين؟

من كتاب المراثى الشعبية (العديد) الفائز بجائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب

د. عبد الحليم حنفى

***

أليس من الكياسة والأدب أن أبدأ كتابى بالإهداء، فكيف أبدأه بالنعى والرثاء ؟ السبب فى هذه البداية المؤلمة أننى عرضت مسودة هذا الكتاب على أستاذ علم الأديان فكان تعليقه بعد أن تصفح الصفحات العشر الأولى: «عرضتهم على زميل لى وقلت له أننى وجدتهم بالمصادفة عند «الطعمجى» فقرأهم وقال: هوه فين ابن الـ... ده عشان نشرب من دمه ونسلط عليه يقتل». وفهمت منه: أن الأزهر لم يعد مؤسسة علمية تعليمية فقط بل سلطة تأديبية أيضا، وأن القرآن لا يفهمه إلا الله، وأن من يخرج عن فكر الفقهاء يقام عليه الحد، فقد أصبح للفقيه حصانة. وتبين لى أنه لا يفهم أن خلق العالم فى ستة أيام، ليس معناه أن الله لم يكن قادرا على أن يخلقه فى ثوان، وأن عدم القول بالعدم، ليس معناه عدم قدرة الله على الخلق من لا شيء. ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ (الطور: ٣٥)، وأن القول بخلق العالم من نور الله، ليس معناه أن المادة التى خلق الله منها العالم قديمة وأن هناك قديمين. ووجدته مصرا على ألا يفهم. فأغمى على زوجتى الفاضلة، فسارعت بإرسال فاكس إلى نقيب الصحفيين راجيا إياه أن يسلم استغاثتى من أمية الفقهاء إلى السيد الرئيس ليكون حكما. ولكننى من هول ما سمعت وتحسبا لمصيرى الأسود على يد كهنة الدين، كتبت أنعى نفسى للقراء، لعل وعسى.

من مقام الخوف؛ أدعوك يا الله: بحق كل من يخاف منك، آمنى ممن لا يخاف منك، واجعلنى أخاف منك، وحدك.

«ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه»

علي بن أبي طالب

فكرة مقلقة

يؤرقني خاطر واحد: أني أموت في فراشي بين الوسائد.

: أو أني أذبل في مهل كالزهرة يمضغها قدر مجهول.

: أو أتناقص في بطء كالشمعة في بهو مهجور.

بتصرف عن شاندور بيتوني

ماذا سيفعل الرعاع إذا أصدرت محكمة النقض قراراً بتكفير نصر أبو زيد؟ ماذا فعل الرعاع يوم حريق القاهرة؟ وأيام انتفاضة الحرامية إن الاحتكام إلى ديماجوجية العامة يذكرنا بأن الشعب الذي قال « خلصنا يا ابن داود» واستقبل المسيح كملك هو نفسه وفي غضون أيام الذي صرخ قائلا لبيلاطس «اصلبه!! اصلبه».

صرخة الحقد

المسلمون يقتتلون في الصومال وأفغانستان وفي كل البلاد الإسلامية بلا أي استثناء، الحرب قائمة بين الأفكار المختلفة، وكل حزب يظن أنه هو وحده على حق.

الحرب الدموية

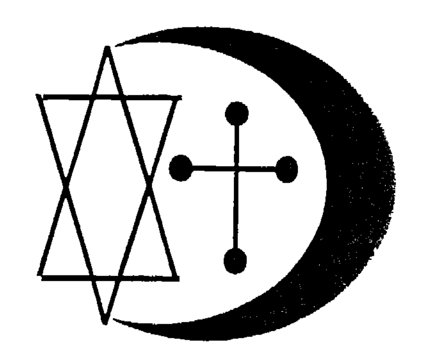
وفي ايرلندا البروتستانت والأرثوذكس، والحربان العالميتان الأولى والثانية كانتا بين شعوب تؤمن بمسيح واحد

صرخة الحب

أعظم من استطاع أن يعبر عن روعة الحب هو بيتهوفن في سيمفونيته التاسعة إذ ناقش بالموسيقى التنابذ والنشاز بين البشر، لكي يلقي بعد ذلك صرخة الحب الهائلة للإنسانية كلها، حين حول قصيدة الشاعر الكبير شيلر إلى أنغام من أعظم وأروع ما عرفت الحضارات كلها، ليدعو فيها إلى فرح الإنسان بالإنسان وهو يردد: أيتها الملايين، إني أعانقك مع قبلة للعالم أجمع، ليبقى الإنسان أخا للإنسان إلى الأبد

جبرا إبراهيم جبرا « تأملات في بنيان مرمري»

الفصل الأول
الإيمان هو الحل



يا معشر الفقهاء يا ملح البلد
ما يصلح الملح إذا الملح فسد؟

الإمام الغزالى

موعظة على الجبل:

«طوبى للمساكين بالروح * طوبى للحزانى * طوبى للودعاء * طوبى للجياع والعطاشى * طوبى للرحماء * طوبى لأنقياء القلب * طوبى لصانعى السلام * طوبى للمطرودين من أجل البر * أنتم ملح الأرض، فإذا فسد الملح، فماذا يُصلِح؟ * لا يصلُحْ لشيء إلا أن يطرح خارجا ويداس من الناس».

«المسيح» عليه السلام

علاقة الله وثيقة ورحيمة بالذميين، أهل الكتاب، وبكل من آمن واتقى!! وليس بالمسلمين فقط.

﴿قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميدٌ مجيد﴾ (هود: ٧٣). الخطاب موجه إلى سارة زوجة إبراهيم أم يعقوب جدة بنى إسرائيل.

﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم* ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة...﴾ (المائدة: ٦٥ - ٦٦).

﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لايستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ (المائدة: ٨٢ ـ ٨٣).

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (المائدة: ٦٩).

إذن أهل الكتاب، آل بيت، أمّة مقتصدة، عليهم رحمة الله وبركاته، منعمون فى الدنيا على الأرض وفى جنات النعيم فى الآخرة فى السماء، منهم هداة مرشدون وأنبياء صالحون.

﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾ (المائدة: ٦٧).

وهذا ماحدث فعلاً. ما أُنزل إلى محمد زاد كثيراً من أهل الكتاب طغياناً وكفراً. كيف؟ ولماذا؟

إذا أضل الفقهاء «حسن»، فماذا هم فاعلون بـ«مرقص» و«كوهين»؟

إذا ظلم الفقهاء «فاطمة»، فما موقفهم من «مارية» و«راشيل»؟

أضلوا حسن وفاطمة بالتفسيرات البالية أو الخاطئة ولم يفرقوا بين اليهود والصهاينة وبنى إسرائيل، لم يفرقوا بين النصارى والقبط والصليبيين. لايراعى خطباء الجمعة فى الزوايا ومناور العمارات خصوصية أقباط مصر فى الإسلام. فالقرآن قد أعطى أقباط مصر مكانة خاصة دون المسيحيين فى العالم. ينسى هؤلاء أن أخوال الرسول وأخوال أبنائه أقباط.

يجب التفرقة فوراً وبحسم بين علماء الإسلام وفقهاء المسلمين. أذاع الفقهاء أن الإسلام نسخ ما قبله من شرائع، ثم نسخ نفسه!!.. آية السيف نسخت كل آيات حرية الاعتقاد، وآية الرجم ـ غير الموجودة ـ نسخت الآية ٢ من سورة النور ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾. وزعموا أن للقرآن أسباب نزول مع أن ربط الفعل أو الحدث بالآية يلغى عموم الرسالة وعالميتها وينفى اللوح المحفوظ. وأساءوا فهم معنى حدود الله: قطع يد السارق أصبح بتراً، وجلد الزانية أضحى رجماً، وتكفير المرتد أحلّ قتله وأهدر دمه.

وصدقهم عامة المسلمين رغم اندلاع الثورة العلمية والبيولوجية وتحقق الاستنساخ: نبات وحيوان وبشر. إغتر المسيطرون على قلب أمة أميّة ففرضوا الحصار على العقل وحرّموا عليه فريضة التفكير فى أمور الدين أو الاستعانة بالعلم لتفسير ما غمض من آيات. احتكروا النص ورفعوا سيف «الفقه العقابى». وهنا تصدى لهم «توفيق الحكيم» فامتشق سيف العقل وأعلن نظريته «التعادلية»: لايجب أن يكون جزاء الشر هو العقاب، وإنما جزاؤه هو الالتزام بفعل

ماينفع الغير. فالخير هو ماينفع الغير، والشر هو مايضر الغير. وبما أنه لكل فعل رد فعل: فإن التعادلية هي: أداة فعالة لإحداث التوازن التلقائي بين متقابلين. والضمير هو: شعور الذات بشرٍ وقع بالغير لم يوازن بخير. أعلن الفقهاء الحرب عليه ومات الحكيم محزوناً، وبقى نجيب محفوظ. سكت الفقهاء عنه رغم أنه طبق نظرية الحكيم!!

فكّر برفق وابتسم بحيلة! كيف يتكلم ولا يقول؟ كيف يكتب ولا يفصح، يُسرْ ولا يُعلن؟ بما أنه لا حل إلا التعادلية، وبما أن الفقهاء قوة ضارية، عنيفة ضارية، فلا حل إلا الحيلة. واجه التصلب والتسلط بالترميز. أبدع «أولاد حارتنا». كل الحكاية! من الجبلاوى إلى قاسم! من الله إلى محمد. اكتفى الفقهاء بمصادرتها لأنه لم يهاجمهم. المهم هم. أما الدين فله رب يحميه. وحصل على جائزة نوبل. وفى عهد مبارك تم نشر الحكاية مسلسلة بصحف المساء ومجلة علاء الدين لئلا يحرم أطفالنا من حكاية الفتوة وأنبيائه. تخلص الفقهاء من كتابنا الكبار إيجاباً وسلباً وظنوا أن الساحة قد أصبحت خالية. وفجأة انشقت الأرض عن الدكتور سيد محمود القمنى. قلمه، سيف فى يده، ولسانه أحد. غزير العلم رفيع الثقافة، قوى الإيمان بنفسه، شديد الثقة بعقله. فضّل الهجوم المباشر، وابتدأ بالقمة! أعلن الحرب على «رب الزمان» وهزأ بكل أنبيائه، من أبيهم «إبراهيم» إلى خاتمهم «محمد»! وبكل أبنائه «عزير» و«عيسى». كرهه للدين أوقعه فى المطب الخطير الذى نصبه له الفقهاء، مطب لايقع فيه إلا كل من صدق تفسيراتهم، ولا ينجو منه إلا كل من تشكك فيهم وفيها، ولا يخدعك إلا من تثق به. لم يدرك الفرق بين أسباب النزول وتوقيت النزول. لم يفرق بين الفقه والشريعة. وقديماً قال شيخ الأزهر خالد الذكر «المراغى» رحمه الله: «إن الدين فى كتاب الله غير الفقه، وإنه من الإسراف فى التعبير أن يقال عن الأحكام التى استنبطها الفقهاء وفرّعوا عليها، واختلفوا فيها، وتمسكوا بها حيناً ورجعوا عنها حيناً، أنها أحكام الدين وأن من أنكرها قد أنكر شيئاً من الدين، فإنما الدين هو الشريعة التى أوحى الله بها إلى الأنبياء جميعاً، أما القوانين المنظمة للتعامل والمحققة للعدل والرافعة للحرج فهى آراء الفقهاء، مستمدة من أصولها الشرعية، تختلف باختلاف العصور والاستعدادات وتبعاً لاختلاف الأمم ومقتضيات الحياة فيها، وتبعاً لاختلاف البيئات والظروف». استنكر عميد كلية أصول الدين جامعة الأزهر تعليق مفتى الدولة العثمانية آنئذ الذى اعتبر ما قاله شيخ أكبر معهد دينى فى العالم الإسلامى من أشراط الساعة! واعتبر فضيلته أن هذا هو رأى كل من يسبغون القداسة على آراء الفقهاء القدامى دون أن يلتفتوا إلى أن تحديد الصلة بين الشريعة والفقه أمر واجب فى منهج أى باحث ليتحرر من ربقة التقليد وسيطرة بعض الآراء الفقهية التى كانت لها بواعثها ومؤثراتها، فيخلص من تقديس آراء البشر وينطلق من القرآن والسنّة.

ألف الدكتور القمنى سلسلة من الكتب وأصدرت له الدار - التى تحمى مثل فكره - الكتاب الذهبى «السؤال الآخر» ولعله «الكتاب الأخير»، فقد أغمد قلمه فى صدره وانتحر فتبين لنا أن فؤاده هواء، وأفرغ كل مافى جوفه من سموم وانكشف. سخر من العقلية القبطية التى أصبحت مسيحية وأشاع أن المسلمين يطلبون تطهير الجيش من المسيحيين وأن الأقباط يستقبحون تحريم زواج المسلمة من قبطى. تعدى حدود الله واستنكر أن نقطع يد «محمد» إذا سرق ونحبس «جرجس» إذا فعل نفس الفعل، واستهزأ بالرموز «الحوت الحنون» و«النملة الذكية» و«الهدهد اللبق» و«عصا موسى» و«جن سليمان» و«ناقة صالح» و«نار إبراهيم» و«براق محمد»، واستنكر إهدار حق المرأة فى الميراث وفى الشهادة. له العذر وعليه الوزر. عذره أنه ردد كالببغاء مافهمه الفقهاء، وهو غير صحيح. ووزره أنه لم يستخدم عقله فى فهم الرموز ولم يقدّر أن للمرأة المسلمة حقاً مفروضاً وذمة مالية مستقلة وأن التفرقة فى مطلق الأحوال لصالح الأسرة لأن المرأة غير ملزمة بالإنفاق. الزوجة ترث النصف والزوج يرث اضعف، فيتعادل نصيب الأسرة، وفى بعض الأحوال يتساوى ميراث الذكر والأنثى، أما إذا مات رجل أو امرأة وليس له أو لها والد ولا ولد، فإن الأنثى ترث ضعف الذكر. أما عن الشهادة، فهناك أمور لا تقبل فيها إلا شهادة النساء، وأمور لا خبرة للنساء فيها وشهادة امرأتين تخفف عنها عبء المسئولية رحمة بحواء ورفقاً بالقوارير.

النبى لم يقل «المرأة ناقصة عقل ودين» بل قال «النساء». إن قال هذا فقد صدق. لأنه توجد امرأة أكفأ وأصلح وأتقى من ملايين الرجال فى كل زمان ومكان. لذلك لم يقل أبداً ولايمكن أن يقول المرأة ناقصة عقل أو دين. أما عن القوامة للرجال فهى المسئولية. فإذا تخلى الرجل عن المسئولية فقد القوامة وتخنث لا هو ذكر ولا أنثى.

وحتى نتعاون جميعاً فى حل مشاكل المجتمع:

١ - يجب أن يتغير شعار «الإسلام هو الحل» إلى «الإيمان هو الحل».. تحت هذا الشعار سيتكاتف كل الكتب السماوية ضد التطرف الدينى والتطرف اللادينى لنصرة الحق. ضد الشر لنصرة الخير. ضد قبح العيان والبيان، المظهر واللفظ، لنصرة الجمال. فإذا انتصر الحق والخير والجمال فقد تحققت حكمة الوجود وفلسفة الحياة. والفلسفة «ح» عليها نقصة وداخلها نقطة: حق + خير + جمال».

٢ - ويجب أن يتغير أيضاً شعار «حقوق المرأة» إلى «حقوق الأم»، تحت الشعار الأول تعمل كل قوى الضلال والانحلال بمسميات بريئة. تحت الشعار الثانى سيدافع الرجل والمرأة عن حقوق الأم، التى صهرت المجتمع فى بوتقة واحدة. رحم واحد يخرج منه الذكر والأنثى. رحم واحد أودع الله فيه الإنسانية كلها.

اعتذار وتحذير

اعترض أصدقاء كثيرون على أسلوبى الحاد فى مهاجمة الفقهاء بحجة تتعارض تماما مع صداقتى للكثيرين منهم، واحترامى العميق لهم، واحتياجى الدائم إليهم، والدليل على ذلك - ما انتهى إليه كتابى القادم «خلق أم تطور، قضية النفس والروح» - من تغلب الفقيه على الفيلسوف، وانتصاره على العالم، وحصوله على جائزتى الأولى. لذلك آثرت أن أبدأ بنصحهم - أصدقاء وأعدقاء - بضرورة استخدام نظارات مصفحة وهم يتجولون فى حديقة الأفكار، ورأيت أن هذا أكرم - بالنسبة لهم - من أن أكذب أو أتجمل، ولكى أبدو بصورتى الحقيقية وبانفعالى العارم ضد كل خامل، نائم، جاهل أو كسلان، وأن ذلك أفضل - بالنسبة لى - بدلا من كسر أشواك الكلمات وإطفاء الجمل الحارقة ونزع الفتيل عن القنابل الموقوتة والصواريخ الموجهة التى خططت لتنفجر معانيها فى رأس كل من أصاب الأمة الإسلامية بالعلة والمرض. أما الجمل ذات الفحيح فهى إسرائيليات موضوعة أو صهيونيات مدسوسة، ذكرتها لتسمعهم أنين التراث. أما الكلمات التى تبكى معى، فهى التى يفوح منها العطر: فالعطر هو صوت الأزهار: طريقتها فى البكاء.

إذا تصور أى «فقيه» أنه قد يستعين بالسيف أو بكاسحات ألغام ليحمى نفسه، فإننى، خوفا عليه أحذره، وحباً فيه أنذره: أنه لن ينجو أبدا. لأننى أعلم تماما أنه ليخوض هذا المجال، يكفيه أن يرفع الغشاوة عن عقله، ويفك أسر فكره، ليسير بأمان فى «حقل الألغام» حتى لو كانت مواقعها مجهلة بإحكام. وإننى أعترف أن القضايا التى سأعرضها وأطرحها للنقاش، ليست من المواضيع الفكرية العامة التى يسيح فيها الفكر أنى شاء، لأنها قضايا علمية تخصصية على درجة عالية من الدقة والحساسية بحيث لا يجرؤ على الخوض فيها إلا عالم محقق.

إن المفكر مثل الشاعر جوّاب آفاق، لا تلزمه أفكار بعينها ولا وجهة بذاتها لذلك لم أتردد فى إبداء آراء يعوزها الضبط العلمى والتأصيل الفكرى، فأنا لست بالفقيه العالم ولا العالم المدقق. إنما قصدت الإبانة عن خطورة فقدان جسور التواصل بين علماء الأمة ودعاتها ومفكريها. ولأنه من حقى أن أنفعل بالمشكلة أو بالفكرة التى أستشعر أهميتها وضرورتها للواقع؛ فإنه على جمهور علماء الدين أن يرفقوا بأهل الفكر فى الأمة وأن يعززوا من أواصر الأخوة معهم.

إن مواضيع حرجة مثل: الخيانة الزوجية، واغتصاب المحارم، وتعدد الزوجات والخرافات والأساطير التى يرددها خطباء الزوايا، تشكل بالنسبة لأمثالى هموما، وتجلب القلق الدائم، والأرق المستمر، والمكابدات الشاقة.

سألت نفسي: كيف نسلط مصدرى النور والرشاد (القرآن والسنة) على هذه المشاكل لحلها؛ وما المنهاج الإسلامى الذى نرد به على تحدى الأوساط العلمية الغربية والشرقية علما بأننا لا ولن نبحث عن حاكمية أخرى لضبط خلافاتنا العلمية بعيدا عن القرآن والسنة؛ رغم أن أجهزة ذات سلطان نافذ فى بعض ديار الإسلام، تشغل المساحة الإعلامية المتاحة لها والمراكز الاستشارية الهامة التى يتبوأونها فى المؤسسات الثقافية والدينية الرسمية، هدفها ووسيلتها، الاستبداد بالرأى والاستهانة بالآخرين وتحقير عقولهم والاستهزاء بمواقفهم والاستعلاء على من يرى غير رأيهم، بالقول والغمز والإيحاء، لتشويه أصحاب الرأى المخالف. لذلك أصيب أصحاب الاجتهاد بالإحباط والاكتئاب واليأس.

لأن هناك اعتبارات تمنع شهادة المرأة فى الدماء والحدود، وهناك أسباب إلهية حكيمة تجعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل رأفة بها، وكذلك نصيبها من الميراث عدلاً مع الأسرة، فإن المؤمنة لا تعتبر هذا إهدارا لكرامتها بل تعتبره تكريما لها. لكن هناك أحكاماً وأحاديث أخرى تبدو غريبة لكثير من المؤمنين، ووجودها فى كتب التراث يثير بلبلة تضر ولا تفيد. والسبب فى وجودها، أنه منذ العهد الأول والصدر الأظهر حتى اليوم وعلى مدى هذه القرون الطويلة، جاهد أهل العلم وحفظة السنة على نقل الروايات المتضاربة احتراما لحق الأمة فى النظر والاجتهاد المتجدد وأنفة من أن يمارس أحدهم تسلطا وحجْراً على حقوق وعقول الآخرين. لكن ذلك أدى إلى أن كتب التراث أصبحت مملوءة بالخرافات والخلافات، ليس فقط بين عقل ونقل، وإنما بين نقل ونقل، وسنة وسنة، ورواية ورواية. فهذا حديث غريب مريب: «**الصلاة تقطعها المرأة والحمار والكلب الأسود**»

عارضه كثيرون وتمسك به عبدالله بن عباس وأنس بن مالك وأبوهريرة وأبوذر وعبدالله بن عمر - من الصحابة رضى الله عنهم - والحسن البصرى وأبو الأحوص - من التابعين - وأحمد بن حنبل وابن حزم - من الفقهاء - تمسكوا بدلالة الحديث وأفتوا بموجبه. لم يوضح لنا أحدهم؛ هل الأسباب خصوصية أم عامة؟ ولا لماذا الكلب الأسود بالذات؟ ولا ماذا فعل الكلب؟ وهل لفعلته علاقة بلونه؟

اللهاث ليس عيبا فى الكلب لنعيّره به، إنه يلهث لأنه لا يعرق، هكذا خلقه ربه؛ أما إذا كان مسعورا فلا يجب أن نعيره بمرضه. فما هى إذن تفاصيل الحادثة التى اقتضت ذكر هذا الحديث؟. وما الشيء المشترك بين المرأة والحمار والكلب الأسود، الذى يبرر قطع الصلاة؟. أم أن هذا الحديث - ثابت اللفظ غير معروف الدلالة - فيجب أن نبقى عليه لعل أحدا فى القرون القادمة يكتشف ما خفى علينا من رابط بين المخلوقات الثلاثة، أنثى آدمية وذكران من الحيوانات: لأن الراوى لم يقل الحمارة والكلبة السوداء.

وهذا حديث آخر: **«الميت يعذب ببكاء أهله عليه»**.

عارضته السيدة عائشة رضى الله عنها ورفضه كثيرون، وغير لفظه واعترف به رواة آخرون باعتبار أن النزاع هو فى «ضبط» بعض ألفاظ الحديث، وأن صحة الحديث «الكافر يعذب ببكاء أهله عليه». وهذا اعتراف صريح أن «تغيير اللفظ» ممكن؛ فإذا قال الرسول «الأرواح جنود الرحمن» فقد يكون صحته «الأنفس جنود الرحمن»، لأنه من الواضح أن معظم المفسرين يظنون أن النفس والروح كلمتان مترادفتان. فالترادف هو المخرج الوحيد لمشاكل فقهية وشرعية عسيرة. غاب عن المؤيدين والمعارضين أن هذا الحديث يخالف الآية الكريمة ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (الأنعام: ١٦٤)، فكيف أبكى حبيبى من لوعة الفراق ليعذب ببكائى عليه، وهل أبكى عدوى لأتشفى بعذابه؟؟ وتحجر قلبه؟ ومامعنى هذا القول الشريف: «إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون»؟.

هل بكاء الملايين وبحرقة على زعيم مصر الراحل عبدالناصر كان كافيا لتعذيبه؟

إذا خالف الحديث الفهم، فهو شاذ وبالتالى فهو ضعيف، لهذا يجب تطبيق ميزان أهل السنة فى ضبط العلاقة بين العقل والنقل، مع مراعاة الحرص عند تطبيق «قاعدة الشذوذ» فى الحكم على الحديث وعدم الخلط بين ثبوت الحديث وثبوت دلالته. وتطبيق قواعد الجمع بين النصوص وتقييد المطلق وتخصيص العام وبيان المجمل، لتأكيد مكانة السنة فى التشريع الإسلامى.

والآن ما هو دور العلم فى خدمة الدين: (عقيدة وشريعة)؟

العلم هو الذى وضح حكمه الوحدانية وأهمية الصلاة والزكاة والصيام ومغزى مناسك الحج من سعى وطواف إلى تقبيل حجر ورمى جمار، وحكمة تحريم الخمر وأكل الربا ولحم الخنزير والميتة والدم، وتحريم زواج الإخوة فى الرضاعة، وتفضيل زواج الأباعد، وحقيقة الإسراء والمعراج ورفع المسيح: resurrection وعذاب القبر والفرق الجسيم بين النفس والروح وبين الموت والوفاة، وأهمية إدراك الناس لهذا الفرق. وكيف بدأ الخلق genesis ومعنى الخلق من تراب. العلم هو الذى أخضع العقل للرحمن. والعقل هو مناط التكليف.

الإيمان هو طوق النجاة فى محيط المعرفة. الإيمان ليس أن تحب الله وحدك بل أن تحبب الله لخلقه، الإيمان له جناحان: الدين والعلم. إذا تجاهل الفقيه العلم، فلن يحلق أبدا فى سماء المعرفة. وإذا تعالى العالم على الدين فإنه - فى اليوم الموعود واللحظة الموقوتة - سيهبط اضطراريا من سمائه ليرتطم بالحقيقة الغائبة عنه، وسيسجد لله مكرها، فيوفيه حسابه. وفوق كل ذى علم عليم:

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ (الفرقان:٦٣). هذه الآية الكريمة، خطاب لي ولك ولكل من لا يلتزم بأدب الحوار. الحوار بين كل العقائد وكل المذاهب ضرورة، لقد كان تصوري أن محاولة فض الخلاف الوهمي بين المذاهب الإسلامية ضرورة قومية ملحة، لكن يبدو أن مخططا عالميا يقف بالمرصاد لكل من تسول له نفسه أن يجمع شمل المسلمين. فجأة أصبح المذهب الشيعي، اليوم، كالإلحاد الشيوعي، تهمة جزاؤها النفي والتشريد، فإلى أن تتضح الحقائق أمام القيادة الرشيدة يجب أن يكون الكاتب حذرا.

إن فكرة الألوهية مبنية على الشك، والإيمان مبني على النفي «لا إله إلا الله». والرحمن الذي أنزل القرآن صاغه بطريقة تثير الشك لتعمق الإيمان.

لماذا تتعلم أيها الفقيه وتعمل وتكافح وتسهر وتعرق وتتزوج لتنجب؟ ألم يقل: ﴿... نحن نرزقكم وإياهم﴾ (الأنعام: ١٥١).

وقال تعالى: ﴿... نحن نرزقهم وإياكم﴾ (الإسراء: ٣١).

أليست كل الحقوق محفوظة، إنت مش مصدق ربنا؟ لماذا تكفر أي مفكر؟ هل فوضك الله لأداء عمله وأشركك في ملكه وكلفك بحساب خلقه؟ واستخلفك لحفظ كتابه؟؟ واستوزرك لتحكم باسمه؟

***

الخطايا العشر.. خدعوك فقالوا:

١- إن الله سبحانه وتعالى خلق الكون من عدم.

٢- إن الله سبحانه وتعالى قبض حفنة من تراب ونفخ فيها فخلق آدم وأن حواء خلقت من ضلعه الأعوج وأنهما هبطا من السماء إلى الأرض.

٣- إن النفس والروح لفظان مترادفان.

٤- إن الموت هو أن يقبض ملك الموت روحك أو روحك طلعت.

٥- إن ناكر ونكير سيجلسانك ويسألانك: من ربك ومن رسولك؟.

٦- إن الرسول ، ركب دابة دون البغل وفوق الحمار وصعد بها إلى السماء؛ وأن المسيح عليه السلام رفع بجسده الشريف.

٧- إن الله سبحانه وتعالى أمر ببتر يد السارق ورجم الزانى وقتل المرتد.

٨- إن الله سبحانه وتعالى أنزل أديانا ثلاثة.

٩- إن للقرآن أسباب نزول.

١٠- وإن خير خلق الله كان نبيا أميا.

والحقائق هى:

١- أن الله خلق الكون والكائنات من نوره. وأن الخلق من تراب اقتضى مرور زمن يقدر بملايين السنين.

هناك فرق فى اللغة العربية بين الضوء والنور. لايوجد هذا الفرق فى كل اللغات الأخرى. النظرية التوحيدية هى رسم لوحة فيزيائية متماسكة تستمد كل ذراتها من مصدر وحيد المادة الأولى Promatire منه تشكلت الجسيمات: الإلكترونات Electrons والضوئيات Photons والجويذبات Gravitons.

هذه الحقائق ليس فى مستطاع الفيزيائيين المتخصصين أن يفهموها إلا بعد إعداد تمهيدى. فماذا ننتظر من غير الفيزيائيين والناس العاديين؟

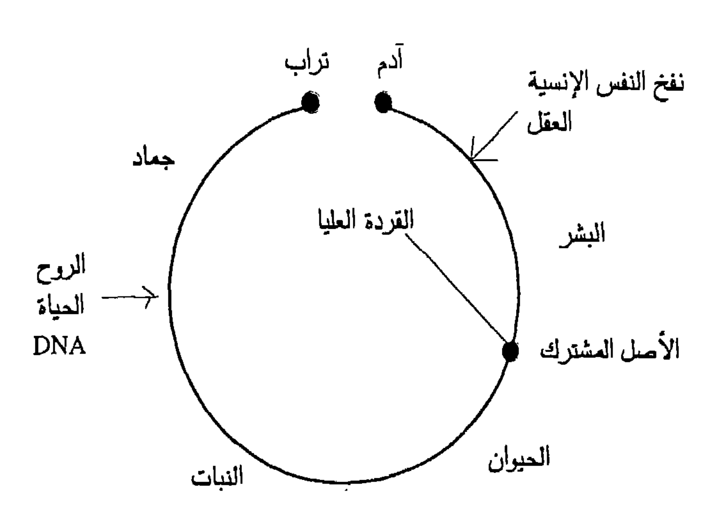
نفى العدم يثير الرعب فى أفئدة الفقهاءُ لأن محاولة فهم معناه تستعصى تماماً على من لم يتعلم علوم الحياة.

العدم ـ الذى قد يتحقق فيه الوجود المادى للجسيمات تحت الذرية وبالتالى لكل المخلوقات ـ هو الخواء. لكن هذا الخواء ملىء إلى درجة الاكتظاظ بالمعلومات عن جميع أنواع الجسيمات المختلفة، ولابد أنه يعلم بطريقة ما بما هو مسموح له أن

يجسده كمادة وما ليس مسموحاً. كل الأنواع كامنة فيه منتظرة الاستدعاء بأمر كن، أى أن لكل شىء وجوداً شبحياً فى الخواء منتظراً الاستدعاء لتنفيذ الأمر الإلهى. المادة الأولى التى خلق الله منها كل شىء هى النور، النور العظيم، لم يدرك بنو إسرائيل روعة كلمات الخلق فى سفر التكوين: «قال الله ليكن نور فكان نور»، والنور ببساطة هو الضوء غير المنظور. الضوء يغيب، يشرق ويغرب، والنور دائم الوجود. يستحيل على القارىء العادى وكلّ من لايفهم أسرار الفيزياء تحت الذرية أن يتصور أن الكون كله بأكمله فى «الحقبة الكمية»، أى «تحت الذرية»، مخلوق من هذا النو ر الذى يسميه الجاهلون به عدم. وفى النهاية يعود الكون متسللاً إلى النور: العدم الذى وجد منه!! والله نور السموات والأرض، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

تصور الفقهاء أن تطور الإنسان من البشر يعنى نفى قول الله تعالى أنه خلقه من تراب. كل شىء فوق الأرض كان تراباً. والشكل المرفق يوضح السر ببساطة شديدة، كيف تم خلق الإنسان وهو موضوع كتابى الثالث. فنظرية داروين صحيحة تماماً، وبكل تأكيد، لكنه أخطأ حين تصور أن الخلق حدث بالصدفة، وأخطأ الفقهاء حين لم يدركوا أن الصدفة ضرورة. تراكم المعرفة والطفرات هى سر النشوء والارتقاء. الصدفة لها قانون يحكم مملكة الغموض. ملايين السنين لتكوين الإنسان من تراب ثم يتحول الإنسان فى النهاية وببساطة إلى التراب الذى منه خلق. آدم خلق من تراب وحواء أيضا خلقت من تراب الأرض. أدرك الشعراوى أن آدم لم يهبط من السماء إلى الأرض. فقال: «الجنة التى أسكن الله آدم فيها ليست جنة الجزاء لأن جنة الجزاء لايدخلها الإنسان إلا بعد الحساب الذى يترتب عليه العقاب والثواب. ثم إن جنة الثواب لا تكليف فيها ولا يمكن أن ينزغ فيها الشيطان، فالجنة التى أسكنها آدم هى المكان الغنى بكل مقومات الحياة، إذ أراد الله تعالى أن يدرب آدم على المهمة التى أرادها له. والمهمة تقتضى اختباراً، والاختبار يقتضى التوجه والتوجيه يقتضى الأمر بافعل كذا ولا تفعل كذا.

قال الله تعالى لآدم وزوجه: ﴿وكلا منها رغداً حيث شئتما﴾ (البقرة: ٣٥)، هنا افعل «وكلا» ورمزية لا تفعل «ولا تقربا»، هنا مجال الاختبار أن يأكل ما أذن الله تعالى له أن يأكل وأن يمتنع، لا عن الأكل من الشجرة ولكن من أن يقرب الشجرة. انظر دقة الأداء القرآنى حين قال: ﴿ولا تقربا﴾ ولم يقل ولا تأكلا. فالنهى هنا عن مجرد الاقتراب، وهذا أقوى وأمكن فى النهى».



بيس معنى أن آدم خلق من تراب أنه لم يتطور من جنس آخر

٣- وأنه كيفما صار وأينما كان جسدك فالعذاب واقع على النفس فهى المسئولة لأنها هى المكلفة. وأن الإسراء والمعراج واقع أكيد ولكن ليس بالروح ولا بالجسد بل بالنفس. وأن النفس كائن نورانى عاقل خُلق قبلك فى عالم الذر، وسيبقى بعدك عند ربها أو فى البرزخ (الزمر: ٤٢).

٤- وأن الموت إمساك للنفس وليس طلوع الروح.

٥- وأن الله أمر بقطع، لا بتر، يد السارق وجلد، لا رجم، الزانى، وأنه وحده هو الذى سيحاسب المرتد.

٦- وأن الدين عند الله الإسلام.

٧- وأن للقرآن توقيت نزول وليس أسباب نزول، وهذا هو معنى وجوده فى اللوح المحفوظ ونزوله كله فى ليلة واحدة.

٨- وأن النبى كان يقرأ ويكتب، وأن الأمية ليست سنة.

قـــرار وتقـريـــر

قرار مجمع البحوث الإسلامية:

المسافة بين الفقه والشريعة أكبر من المسافة بين القانون والعدل.

كنت قد أصدرت كتابي «الإجهاض ضرورة قومية والاعتقاد قضية علمية» والذى أصبح اسمه «الإجهاض والاعتقاد» لأواجه اغتصاب أشاوس العراق لثلاثة آلاف امرأة وفتاة كويتية، والاغتصاب الذى يحدث يوميا فى بلادنا الإسلامية، وتتجاهله السلطة الدينية. ورغم أن باب الاجتهاد يجب أن يظل مفتوحا أمام وجهات النظر المختلفة. ورغم أننى ناديت بالاجتهاد الجماعى لا الفردى.

ورغم أننى سجلت على واجهة الكتاب أن الإجهاض جريمة فى حق الله وحق كل من وما خلق، إلا أنه ضرورة أحيانا، ومع ذلك فقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية قرارا بحجب هذا الكتاب عن النشر والتداول، بدون إبداء سبب واحد، غير اعتراضه على أسلوبى فى مهاجمة الفقهاء. وقد هاجمت الكتاب بعض الأقلام المراهقة الجاهلة واعتبرته جريمة جديدة فى حق المسلمين. ورغم ذلك فقد قررت أن أرتكب جريمة أخرى فى حق الجاهلين بأن ألقى الضوء هذه المرة على احتياج مجتمع النساء إلى بيت آمن وزوج صالح. فقد قدمت رأيا جديدا فى مسألة «ملك اليمين». ذلك الموضوع الذى يتحرج أى مسلم متنور من مجرد ذكره. وحتى لا نفتح بابا تدخل منه رياح عاصفة، أو ندخل فى عش الدبابير لتلدغنا لسعاتهم القاتلة، ولنا خبرة سابقة، لذلك فإنه يجب أولا تعريف هذه الكلمة وتقنين هذه العلاقة الشرعية وتحصينها وتأمينها، لماذا؟ لأننى حين تصديت لمشكلة الإجهاض بعد أن وجدت لها حلا وسجلته فى كتاب طرحته للمناقشة، صادره الأزهر، لكن المصيبة الكبرى فى مشكلة الاغتصاب أنها أصبحت سلاحا حربيا بعد أن كانت جريمة جنسية. فهل يغير الأزهر رأيه بعد أن أصبح شيخه فقيها متنورا مجتهدا؟

تقرير امرأة عندها ضمير:

جريمة الاغتصاب اكتسبت بعداً سياسيا خلال الحروب الأخيرة:

فى الوقت الذى نصت فيه كل القوانين على أن الاغتصاب جريمة بشعة، كشفت محققة أمريكية تابعة للأمم المتحدة، أنه خلال الحروب التى شهدها العالم فى الفترة الأخيرة اكتسبت هذه الجريمة أبعادا سياسية. وأوضحت فى تقريرها للأمم المتحدة أن الاغتصاب كان يستخدم على نطاق واسع، وفى كثير من الأحيان كان يتم السماح بالاغتصاب لأغراض سياسية. وأضافت أنه كان ظاهرة مؤسفة وواسعة الانتشار، خلال الحروب فى الاتحاد اليوغوسلافى

السابق وروانـدا وهاييتى وبيرو وبنجلادش، وكـذلك خلال الغزو العراقى للكويت. وأشارت فى تقريرها أن الاغتصاب المنظم شكل آخر قبيح من أشكال القتل الجماعى حيث أنه يهدف إلى تشويه وإهانة جماعات عرقية معينة، وإثارة الذعر فى نفوس المدنيين، وتوصلت إلى أن الجنود الصرب اغتصبوا ٢٠ ألف سيدة وفتاة مسلمة وكرواتية بهدف إنجاب أطفال صرب، وتعرضت السيدات وأحيانا فتيات لا يتعدى عمرهن ٥ سنوات للاغتصاب الجماعى الذى كان يحدث أحيانا فى أماكن عامة، كما اغتصب المسلمون المسلمات، والجنود الباكستانيون اغتصبوا مائتى ألف سيدة خلال حربهم مع بنجلادش «فى عام ٧١». وذكرت أن اغتصاب قوات الأمن والشرطة للنساء يعد أمراً عادياً فى كثير من البلاد المتخلفة. وذكرت أن استخدام الاغتصاب بشكل منظم وواسع الانتشار، كأداة سلاح خلال الحرب، هو بالتأكيد جريمة بشعة فى حق الإنسانية، لذا فإنها ستعمل على أن يدرك العالم بأجمعه فداحة هذا الأمر فى سبيل وضع حد للجرائم المماثلة فى المستقبل. هذا تقرير امرأة عندها ضمير. فماذا عن أئمة الأزهر حين وجدت حلا شرعيا لهذه المشكلة؟ صادروا كتابى بلا أدنى مسئولية.

من هو الكافر؟ هو من أنكر شيئا معلوما من الدين بالضرورة.

من هو الملحد؟ هو من عطل تنفيذ حدود الله، وأنا لا أدعو إلى ذلك، ولا أكره أحدا على ذلك، ولا أعترض على تنفيذ الحدود ولا أملك أن أعترض. أنا فقط أستفهم وأجتهد لأننى أخشى الله وأخاف الفقهاء، لأن من يخرج عن فكرهم يقام عليه الحد: **فالمسلم هو:** من سلم الفقهاء من لسانه ويده.

لا اجتهاد مع النص:

«هذه كبرى أزمات الفقه المعاصر».. هذه مقولة مبتورة، فالاجتهاد واجب فى معنى النص وليس فى النص نفسه.

القرآن كائن حى يتطور فهمه كلما تطور إدراك البشر، ومعانيه متجددة، دائمة التوافق مع العقل فى كل مكان وزمان. النص ثابت والمعنى متحرك. هذا هو الإعجاز. فما هو السبب فى إصرار الفقهاء على الالتزام باجتهاد فقهاء ماتوا منذ مئات السنين؟ ولماذا استراحوا للمقولة الشريرة: لا اجتهاد مع النص؟ ولماذا نسوا أن أمير المؤمنين عمر، اجتهد فى حد السرقة؟. إذا كان «قطع يد السارق» نص، فهل من المنكر أن نسأل عن معنى القطع، وكيف ننفذه؟. وهل أصدر مفتى السعودية بيانا يحذر فيه مستشفى فقيه السعودى العالمى، الذى يعلن عن إمكانية وصل اليد التى بترت، فيحرم عليه إعادة زرع «اليد المقطوعة» فى ذراع الحرامى نفسه. أو يأذن بشرائها من السياف أو المطوع، لتزرع فى يد «شيخ الحرامية» «يد اللص الصغير» تزرع فى ذراع من أصبح بحكم سلالته ونسبه ونفوذه «شيخ المنسر».

ما بين لصوص ولصوص فرق فى الأعلى والأدنى
لصغارهم الشـنق المزرى ولكبارهم الشرف الأعلى

خليل مطران

سرقت امرأة من بنى مخزوم وتشفع لها أسامة بن زيد بن حارثة. «أتتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة؟».. سؤال استنكارى؛ «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها» حديث شريف. فقطعت يد المخزومية ولو سرقت فاطمة لقطعت يدها؛ لكن من قال أن القطع هو البتر، هو الفصل؟ ومن الذى قال: لا مجال لتأويل؟ هذا ليس سؤالاً استنكارياً، ولا لصرف المعنى الظاهر. نحن نسأل السادة الفقهاء لعل المعنى قد خفى على الجراح الذى علمه وعمله وفنه، هو القطع والبتر، ومنهم نستفيد.

اغتصاب المحارم:

اغتصاب المحارم ممنوع. حرمه الله لأنه مضر جدا بالأنساب وبنقاء وطهارة الجنس البشرى. ليس معنى أننى لا أتزوج أختى فى الرضاعة أننى فقط أخاف الله، بل معناه أن الله هو الذى يخاف علىّ. انظر جرأة العبد وسماحة سيده ورحمة ربه. ومع ذلك لم يتفضل أحد من الفقهاء أصحاب الملايين برصد جزء من مال الله لتوضيح السر العلمى وراء حكمة منع زواج الأخت فى الرضاعة، ولا لماذا حرم الله أكل الميتة والدم ولحم الخنزير. ولا لماذا الخنزير بالذات؟. ولا لماذا حرم الخمر فى الأرض وأجراها أنهارا فى الجنة. ولا لماذا اللحم حلال إذا استنزف دمه؟ كل هذه الأسرار العلمية ستبقى دفينة، لأنها لاتهم من لا يعرف القرآن ولا من لم يسمع عن محمد ﷺ، إلى أن يتطوع مسلم قادر وغيور أو فقيه من «الفقهاء السمان» يكون عنده ضمير، فيساعد على إنشاء مركز أبحاث علمى ويموله، بأن يوقف عليه ريع بعض ثروته. ولنتذكر جميعا وقف «صلاح الدين الأيوبى» للمرضعات «وأبو الدهب» لتجهيز العرائس وتذكار «خاتون» للزوجات الغاضبات والأمير «يشبك» للعاطلين. محمد بك أبو الدهب أوقف أطيانا وعمارات على تجهيز أى فتاة مقدمة على الزواج لا أب لها ولا عم ولا خال، ويظل ناظر الوقف مسئولا عنها فى الأعياد والمواسم لتقديم الهدايا ومقومات معيشتها بعد الزواج حتى تتحسن أحوالها. لم يرصد أبو الدهب هذا الوقف ثم تركه، بل كان له جيش من الباحثين الاجتماعيين يقومون بتفقد من تشملهن عناية الوقف للوقوف على حقائق الواقع، منعا لاحتيال من يدعون الفقر. أما الأيوبى فقد كان يضع السكر واللبن وعسل النحل فى أوان كتب عليها «للمرضعات الفقيرات». بل كانت هناك أوقاف للقطط والكلاب والعصافير ومرضى المستشفيات. لكن مشايخنا الكرام فى وزارة الأوقاف يلتزمون الصمت

التام حيال تسرب الأوقاف من بين أيدى العاملين الأبرار مثلما تسربت محتويات القصور الملكية من أيدى الضباط الأحرار. أما مشايخنا المعارون إلى السعودية ودول الخليج: أم القرى والكويت والإمارات، فمتفرغون تماما لبناء بيوتهم فى مدينة نصر. هل يرد على أى فقيه: ما موقفك إذا اغتصب ابنك أخته؟ ما فتواك؟؟؟. هل تقيم عليهما الحد وترجم ابنك وابنتك؟ أم تتركها حتى تلد ثم حتى تتم الرضاعة، ثم تنسبها إلى «خابوه» الذى هو خاله وأبوه، وتصبح أنت بابا «جدو»؟ أم تجلده علنا فى ميدان الحسين وتعلن عن أسباب الجلد، وتعترف بمسئوليتك عن سوء تربيتهما، ثم تنتحر؟

الإعدام للذئاب البشرية وليس الزواج!

جرائم خطف الإناث والاعتداء على أعراضهن تعتبر من أبشع جرائم المجتمع وأخطرها أثرا على أفراده. فهى تروع الآمنين، وتشيع الخوف والفزع بين الناس أجمعين، وتجعلهم فى حيرة وقلق دائم على مصائر بناتهم أو أخواتهم كلما دعت الحاجة إلى خروج إحداهن إلى الطريق خشية أن تقع فريسة لأحد الذئاب البشرية وضحية لخسته ودناءته، فيلوذ بها وينقض عليها فى نزوة شيطانية قذرة يفقدها فيها أشرف ماتملك. ولذلك تضمن قانون العقوبات بيانا لهذه الأفعال الاجرامية والعقوبات المقررة لها.

وحول هذا الموضوع يقول المستشار عبدالمنعم إسحاق محمد نائب رئيس هيئة قضايا الدولة إنه ليس ثمة شك فى أن جريمة خطف الانثى ومواقعتها غصبا وكرها تعتبر من أخطر الجرائم التى تلحق بالمجتمع، بل إنها تتصدر كل جرائم الاعتداء على الأعراض لما لها من أثر سيئ وخطير فى نفوس الجميع. ومن هنا فقد كان لزاما على المشرع فى قانون العقوبات حتى يواجه هذا الجرم الفظيع، أن يلتزم بما ورد فى النهج القرآنى فى شأن حد الحرابة، حيث قال تعالى فى كتابه الكريم: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾ (المائدة: ٣٣)، فجاءت المادة (٢٩٠) من قانون العقوبات لتنص على أنه: كل من خطف بالتحايل أو الإكراه أنثى بنفسه أو بواسطة غيره يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة، ومع ذلك يحكم على فاعل هذه الجناية بالإعدام إذا اقترنت بها جناية مواقعة المخطوفة بغير رضائها.

وعلى الرغم من أن فضيلة مفتى الجمهورية وافق على هذا النص العقابى لمصادقته لأحكام الشريعة الإسلامية الغراء وتأسيسا على أن إعدام خاطف الأنثى الذى يقوم بمواقعة ضحيته، هو القصاص العادل لجريمته الشنعاء وفعلته النكراء، فإن هذا الذئب البشرى يستطيع فى لحظة أن ينجو من حبل المشنقة. ويبرأ من جريمته فلا توقع عليه أية عقوبة إذا ما تزوج

بفريسته وضحيته، وذلك إعمالا لما قررته المادة (٢٩١) من قانون العقوبات التى تقضى بأنه «إذا تزوج الخاطف بمن خطفها زواجا شرعيا لايحكم عليه بعقوبة ما»، أى أن الزواج وهو العلاقة الشرعية الكريمة والرباط الأزلى المقدس الذى وصفه الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز بالميثاق الغليظ، يأتى ليتوج هذا العمل الإجرامى الشنيع ويبعد عن عنق فاعله حبل المشنقة وكأن شيئا لم يكن.

وهنا تثور التساؤلات، هل هذا الزواج الذى تم فى تلك الظروف والملابسات يكون زواجا شرعيا صحيحا، أم أنه مجرد ستار وهمى خادع للإفلات من حبل المشنقة وكما يقولون «جوازة تفوت ولاحد يموت»؟

وأليس من الأركان الأساسية للزواج الشرعى الصحيح أن تكون الإرادة حرة خالية من أى ضغط أو إكراه، أو أية شائبة سواء بالنسبة للذئب أو فريسته؟

وإذا كان الزواج هو الوسيلة الوحيدة التى يستطيع الذئب من خلالها أن يهرب من حبل المشنقة، ألا يكون من الأيسر عليه أن يسلك هذا السبيل وهو غير راغب فى الزواج وعازف عنه، فيتزوج من فريسته فى سراى النيابة ثم يطلقها بمجرد خروجه منها، وأين شرط الكفاءة اللازم توافره بين الزوجين إذا سمحنا لمجرد أفاك أثيم، بأن يتزوج من بنت فاضلة من أسرة كريمة لالشئ إلا لأنه خطفها وفتك بها، ثم ألا يشجع ذلك على إغراء من يكون قد تقدم لخطبة فتاة، فرفضه أهلها لعدم صلاحيته للزواج منها، على أن يلجأ إلى هذه الوسيلة الدنيئة لتحقيق غرضه ويضع الجميع أمام الأمر الواقع فيسعد هو بجريمته بينما يشقى الآخرون؟

قد يقال إن الزواج فى هذه الحالة لستر الفضيحة، وهيهات فقد وقعت الفضيحة منذ اللحظة الأولى وسوف تستمر تلوكها الألسنة وتتناقلها الأفواه.

قد يقال ذلك حتى لايقوم الذئب بقتل فريسته والإجهاز عليها بعد الفتك بها، وهيهات فقد قتلها فعلا، وإذا تزوجها فسوف يقتلها أيضا فى كل مرة يلمس فيها جسده جسدها، إن المجنى عليه الحقيقى فى هذه الجريمة البشعة هو المجتمع بأسره وهو وحده صاحب الحق فى القصاص العادل من الذئب البشرى. وكل أولئك يستوجب ضرورة البحث والتمحيص فى مدى صحة هذا النص التشريعى وسلامته حتى لايتكافأ فى النهاية الزواج مع الإعدام.

وبناء على ما أورده المستشار عبدالمنعم إسحاق فإن باب «مع القانون» يقترح ضرورة إلغاء نص المادة (٢٩١) سالف الذكر، والإبقاء على عقوبة الإعدام وحدها حتى تكون ردعاً لكل من تسول له نفسه ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء، وحتى يبرأ المجتمع من كل هذه الأفعال الإجرامية، ويعيش الجميع آمنين مطمئنين.

من الذى وضع المادة ٢٩١ ؟ فقهاء القانون والمشرعون ثم وافق عليها مجلس الشعب، العمال والفلاحون، والآن نطالب بإلغائها!!

إن من يسمع آراء بعض الفقهاء يهيأ إليه أن:

الاغتصاب حلال والإجهاض حرام. الإباحة والإباحية.

بداية نسأل: هل إنقاذ عرض المغتصبة بإجهاضها معناه إشاعة الفاحشة؟ المغتصبة إنسانة بريئة مكرهة، فهل هى زانية؟ وما هو موقف المغتصبة المكرهة التى أتمت الحمل لسبب أو لآخر؟ ما مصير الطفل اللقيط؟ وما ذنبه وذنب المجتمع؟ أيهما أكثر خطرا على الأمة؛ الذى صان عرض الأمة أم الذى يبيع علنا ويروج لوسائل منع الحمل فى التلفاز والإذاعة. على الدولة أن تقدم إحصائية أمينة: ما هو عدد الفتيات المغتصبات اللاتى تم إجهاضهن؟ وما هو عدد الفتيات والسيدات غير المتزوجات اللاتى يستعملن حبوب منع الحمل ويشترطن وجود العازل الذكرى قبل الممارسة. أيهما أخطر على المجتمع: إباحة إجهاض المغتصبة، أم إباحة الوسائل غير الشرعية لمنع الحمل وإباحة بيعها لغير المتزوجات؟؟

هل هناك وسائل شرعية؟ نعم: هذا هو تنظيم الحمل الربانى؛

﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة... وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم..﴾ (البقرة ٢٣٣) . أما الآن، فى زمان النهود العارية والصدور المكشوفة، والمرأة العاملة فى غير بيتها، وغير المربية لأولادها، فإن الرضاعة أصبحت غير ممكنة وأحيانا مكروهة بل وضارة جدا بجمال المظهر العام واكتمال وامتلاء واستدارة ما تحت البلوزات الشفافة.

كان الصحابة يعزلون ولم ينههم الرسول ﷺ، إذن العزل أيضا هو إحدى وسائل منع الحمل الشرعية. الفاحشة كانت تحدث أيام الرسول ﷺ والصحابة رضى الله عنهم حوله: يقولون: إنّه جلد ماعزا لأنه لم يكن محصنا؛ ويقولون أيضا: إنه رجم الغامدية التى رآها زوجها مع أجيره، ورفض مائة ناقة للتشفع فيها؛ ويقولون إنها اعترفت والاعتراف سيد الأدلة، وإنه يغنى عن الشهود الأربعة الذين يحتم الشرع رؤيتهم «للمرود فى المكحلة»؛ بل ويقولون إن عليا رضى الله عنه جلد زانية يوم الخميس، على كتاب الله، ورجمها يوم الجمعة، على سنة رسول الله؛ ويقولون إن حد القذف هو الجلد بالملابس أما الزانى فيجلد عاريا ولكنهم لم يقولوا: هل تجلد الزانية عارية؟ هذه أقوال تقشعر منها أبدان المؤمنين ووجدان أتباع محمد ﷺ.

قال لى الشيخ الدكتور أحمد الطيار أستاذ الأديان: كان عمر رضى الله عنه - المكشوف

عنه الحجاب حين قال «يا سارية الجبل» ـ كأنه كان يعلم، أنك ستأتى فى آخر الزمان لتنكر آية الرجم وتؤمن فقط بالآية التى حلت محلها؛ وكأنك لا تدرى رغم أنك جراح أن: البطر (هكذا كتبها) = القطع ـ الفصل؛ وأن، نسخ = حل محل وأن ملك اليمين هن الجوارى.

وعلمت منه أن الأزهر لم يعد فقط، مؤسسة تعليمية تربوية بل سلطة تأديبية وأن للفقيه حصانة وأن التوسل بالأموات مرفوض لكن التمسك بتراثهم مفروض.

يقول الفقهاء أن «ملك اليمين» هم العبيد وأسرى الحروب والغزوات. هذا قول باطل ومحرج. إن حقوق المقاتلين وضحايا النزاعات المسلحة على قائمة حقوق الإنسان فالإنسان المحارب له فوق حقوقه العامة المكفولة للبشر أجمع، حقوق أخرى تكفلها له اتفاقيات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩، والبروتوكولان المكملان لهما الصادران فى عام ١٩٧٧، فضلا عن اتفاقيات لاهاى التى تضع قيودا على المقاتلين فى وسائل استخدام القوة. ويحتفظ الأسرى بكامل أهليتهم المدنية التى كانت لهم عند الوقوع فى الأسر، ويجب معاملة النساء من الأسرى بكل الاعتبار الواجب لجنسهن، فيعزلن عن الرجال فى الإيواء، مع التأكيد على المحافظة على شرفهن. فما بال فقهائنا الكرام يشوهون وجه الإسلام عمدا؟ ويظلمون النبى الكريم جهلا؟ ولا يطورون فهمهم لمعانى القرآن الكريم التى جاءت لتبقى فى كل زمان وتنفذ فى أى مكان؟. لابد أن لملك اليمين معانى أخرى ومتجددة. فإذا أحل الله لنا ما ملكت أيماننا، فلابد أن هناك حكمة خفيت علينا، لكن لا يخفى عليه جهلنا وتقصيرنا. ولابد أنه سبحانه، لا يمكن أن يسمح لنا بعلاقة غير شرعية لأننا انتصرنا «فى بدر»، فماذا لو انهزمنا «فى أحد»؟ لا زنا فى الإسلام تحت أى مسمى ولا فى أى ظرف.

موقعة الجمل:

هذه صورة من الأدب الرفيع مستمدة من تراثنا الإسلامى يجملها قول السيدة عائشة للإمام على رضى الله عنه فى أعقاب موقعة الجمل: «ملكت فاسجح». أى انتصرت فتعفف، لا تشمت بمن انتصرت عليه واكبح جماح زهوك. ولا تنتهز فرصة ضعف خصمك لتغلب شهوة الانتقام. إلى آخر هذه المعانى التى توجزها هذه العبارة البليغة فى الموقف التى قيلت فيه. كما أن التعفف يصبح أوجب إذا كان النصر قصير المدى ومشكوكا فى أمره مثل انتصارنا فى حرب اليمن وحرب ٥٦. حين كان المستشرقون الأوروبيون يبحثون عن مثالب العصور العربية المزدهرة، والعصور الإسلامية المشرقة كانوا يجدون فى موضوع الجوارى والعبيد والطواشى مادة دسمة للحط من قدر الحضارة العربية والإسلامية. هذه هى المشكلة. ولهذا كانت تسمية كتابى هذا بملك اليمين. لأن فقهاءنا لازالوا يصرون على أن ملك اليمين هم أسرى الحرب وأسيرات الغزوات. هكذا فهم الجنود الباكستانيون والعراقيون. فاستحل

الجنود المسلمون عرض المسلمات. وبالطبع سينهشون عرض كل أسيرة من أى عقيدة أخرى.

لقد ترتب على سوء تفسير فقهائنا الأفاضل لمعنى ملك اليمين، حدوث جرائم اغتصاب وهتك عرض لبريئات. لذلك تصديت لفهم هذه المشكلة وللبحث عن حل لها، وحين وجدت الحل الشرعى الذى يصون عرض الأمة ولا يخالف شرع الله، أصدرت كتابى الأول بعد أن اطلع عليه «مفتى الديار» الذى أصبح «الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر»، وأيد فضيلته وجهة نظرى. لكنهم صادروا الكتاب بأمر من المرحوم شيخ الأزهر السابق. صادروه دون إبداء أسباب: نحن لا نهتم بمثلك ولا يهمنا أن تعرف أين وكيف أخطأت، نحن «النيابة الفقهية» نخاطب المباحث لتتمكن من مصادرة الكتاب ومنعه من التداول. وبما أننى لم أعرف حيثيات القضاة الشرعيين فإنه قد يبدو لى، أنه من رأى فقهائنا الأفاضل: أن الاغتصاب حلال والإجهاض حرام. لذلك حق على وعلى كل صاحب فكر، مهاجمتهم وبشدة دفاعا عن العقيدة والشريعة وشرف أمة الإسلام. كل حى بن يقظان عليه أن يساهم فى إيقاظ أى كسلان بن غفلان. فبسؤالهم:

١- لماذا أحلوا الاغتصاب؟ أفتونا: لأن الأسيرات ملك يمين وجوارٍ للمسلمين؛ هذا خطأ فادح.

٢- ولماذا حرّموا الإجهاض؟ أفتونا: لأنه قتل نفس وإزهاق روح. هكذا وقع الفقهاء فى الفخ. فلا ملك اليمين تعنى الجارية المستباح عرضها. ولا الإجهاض فى الشهور الأولى قتل للنفس ولا إزهاق للروح. لسبب بسيط، إن الفقهاء لا يفرقون بين النفس والروح وبالتالى كانت كل فتاواهم باطلة، وكل الأحكام بما فيها أحكام النقض المستندة إلى تفسيراتهم. أحكاماً مريبة. أى تثير الشك فى فهمهم للشرع والعقيدة.

الناس إما ممثلون أو متفرجون:

البعض يظن أن القذارة دليل على الفقر، وقد يظن آخرون أن التخلف الفكرى ليس سوى انعكاس طبيعى لتخلف القاعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع العربى. وأنه أمر لا مفر منه. إلا أن هذه النظرة لا تصمد أمام وقائع تاريخ الفكر. فالتخلف التقنى فى المجتمع الإغريقى القديم لم يمنع ذلك المجتمع من إفراز أعظم نهضة فلسفية شهدها التاريخ، كذلك فإن التخلف الاجتماعى والاقتصادى والإقطاعى الذى كان سائدا فى المجتمع الألمانى فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر بالنسبة إلى ما كان سائدا آنذاك فى بريطانيا وفرنسا، لم يمنع ألمانيا من إنجاب «كانت»، و«هيجل» و«شوبنهور» ولا من احتلال مركز الصدارة على صعيد الفكر الفلسفى.

وقد يرى بعض الناس أن التخلف التقنى يعطى مجالا كبيرا للتأمل، لأن المتخلف تقنيا لا يركز فى ميادين الصناعة ويستنفد أغلب طاقاته فى تأمل الطبيعة والنظر فى السماء. لكنه فى الواقع ينظر ويتصور أنه يبصر، يسمع ويتصور أنه يفهم.

وقد لا يرى نفر من الناس فى هذا التخلف ما يثير القلق العام. إذ قد يرى أولئك الناس أن البحث فى أصل الخلق والمسائل الكونية، ليس إلا ترفا فكريا بعيدا عن هموم الناس والمجتمع خصوصا فى هذه الأيام الرزازية، التى تعز فيها لقمة العيش رغم أننا فى زمن «فيفى عبده» و«الزعيم» الذى سقط وحده فى بحر العسل. بيد أن هذه النظرة، رغم واقعيتها الظاهرية وعفويتها، تنبع من تصور ينزع إلى إهمال البعد الذاتى وإخفاء الجهل وستر عوراته. لذلك قررت ألا أكون متفرجا، فكان كتابى الأول «الإجهاض ضرورة قومية، والاعتقاد قضية علمية» هو المحاولة الأولى لمد الجسور مع أئمة المسلمين وكل المؤمنين لنتعاون معا فى حل هذه المشكلة الصعبة. وكان شعارى أن من طلب العلم ليباهى به العلماء، أو يمارى به السفهاء، أو يطلب به أن يقبل الناس بوجوههم عليه، أو يقصد به الشهرة، أو التملق إلى أولى الأمر، غضب الله عليه وأدخله نار جهنم. أليس: التواضع سلم الشرف: والتكبر أس التلف.

سكينة بنت الحسين:

فى عالم الذر قبل خلق السموات والأرض؛ فى يوم «ألست» تم توقيع عقد بين الله وبين كل الأنفس، التى ماتت والموجودة والتى لم تولد بعد إلى يوم القيامة: أنه الرب الواحد الأحد، عقد مسجل فى الفطرة، لايجوز نقضه، ومن ينقضه أو يلحد أو يكفر بربه، فالله وحده سبحانه وتعالى هو الذى له أن يقيم عليه الحد.

وفى ليلة المعراج تم فرض الركن الأساسى للإسلام: الصلاة، فرضها مباشرة بدون وساطة أمين الوحى جبريل. ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج لا يبيح لغير الله أن يحاسبك عليه. النطق بالشهادتين باللسان رغم الكفر بالله وبدينه وبرسوله فى السر لا يبرر لأى سلطة دنيوية أن تطالب بالقصاص منك؛ طالما احترمت نفسك واحترمت عقيدة غيرك فأنت آمن. لا تنكر أى حديث للرسول ولا أى حادثة جاءت فى كتب التراث، لكن من حقك أن تستفسر وتستغرب وتتعجب وتستنكر وتسأل، لتفهم أو لتنكر بينك وبين نفسك. وثنية الفراعنة لم تمنعهم من التوحيد. حى بن يقظان عرف الله قبل أن تنزل الرسالات.

فتح مصر كان واقعة بين مسلمين وغير مسلمين؛ ومع ذلك لم يأخذ عمرو بن العاص المصريين أرقاء وظل النصارى نصارى.

لكن:

تأليف كتاب:

إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا فى يومه إلا قال فى غده، لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

العماد الأصفهانى

لا ريب فى أن الآراء المطلقة المتوازنة، تجعل تفهم الشعوب بعضها بعضا أمرا عسيرا، كما تجعل احتقار بعضها البعض الآخر أمرا هينا يسيرا.

رومان رولاند

ليس ثمة شعب يسيء الغرب فهمه كالعرب والعروبة، إن العلاقة بينهما لترزح منذ قرون تحت أثقال شتى، بل إن شعوبا نائية، وشعوبا غيرها ذات أديان وضعية ليست من ديننا نقف منها موقفا سمحا ليس بالمعقد، على العكس من موقفنا من الشعوب العربية المسلمة، أو تلك التى تدين بالإسلام من غير العرب..

وجاء فى كتابها - «الله ليس كذلك» - وجه البابا أوربان الثانى فى ٢٧-٩-١٠٩٥ فى كليرمونت فرنسا نداء يهيب بقتال أعداء الرب. آه من هذا البابا - لقد أتقن دوره كل الإتقان، فقد دعا إلى مؤتمره الكنسى الذى أبرز أمامه فرسانا روعى اختيارهم بدقة، وخطط للمؤتمر بذكاء، وافتتحه كل مرة بعرض تمثيلى مؤثر فى مناقشات استمرت أياما طويلة، كان يختتمها دائما بندائه محرضا على القتال، ناطقا باسم المسيح عليه السلام، ثم يأتيه الأسقف أديمار، الذى استقر الرأى على أن يقود أول حملة صليبية، ليضرب المثل المحتذى للفرسان، فيتقدم الصفوف، ويركع أمام البابا، ملتمسا بركاته، فيتلقى منه إشارة الصليب وبذلك فرض الرئيس الروحى الأعلى للكنيسة بقوة تفويضه الإلهى وسلطته المقدسة، على فرسان الغرب، ألا يكفوا عن حرب العالم الإسلامى أبدا، وأحدث جراحا غائرة شوه بها وجه العرب والمسلمين تشويها، على مدى ألف عام، وبطريقة ظالمة. لا يمكن أبدا، إصلاح ما أفسده البابا.

زيجريد هونكه

يا رب: زدنى، بفرط الحب، فيك تحيراً

ما هى الحقيقة وراء الأقوال المأثورة التى استشهدت بها للسيدة سكينة بنت الحسين رضى الله عنها وللإمام الغزالى والعماد الأصفهانى ورومان رولاند وزيجرد هونكة؟

الحقيقة هى أن **الإسلام ليس كذلك.**

وأن الإسلام ضحية المسلمين، فالإسلام مظلوم والمسلمون هم الظالمون.

لذلك كان على كل صاحب فكر أن يساهم فى الدفاع عن الإسلام مبتدئا بالهجوم على فقهاء المسلمين، لأنهم وحدهم سبب تخلف الأمة الإسلامية.

دعنا نحلل شعار حزب العمل «الإسلام هو الحل»، وشعار حزب الأحرار: نحن رواد علاج «السحر والمس الشيطانى»؛ هذه الممارسات الخائبة مكنت الحزب الوطنى من الانفراد بالسلطة؛ وعلى الشورى السلام، والبقية فى حريتنا.

ما معنى «الإسلام هو الحل»؟؟ معناه أن:

الشرع هو الحل الدائم، والفقه هو الحل المؤقت.

الإيمان هو الحل الدائم، والإسلام هو الحل المؤقت.

لماذا الإيمان هو الحل؟

﴿ الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم﴾ (التوبة: ٩٧).

﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم ﴾ (الحجرات: ١٤).

يا حبايب ربنا تعا... صلوا عندنا.

أيها الكافرون، أيها الملحدون، أيها المشركون، أيها المفكرون، أيها الذميون «الإسلام هو الحل». نحن «كنا» خير أمة أخرجت للناس، لكن احذروا، اسمعوا وعوا، السارق سنبتر يده، الزانى سنرجمه، الذى يفكر فيما لا يجوز، أو فيما لا يفهم ولا نفهم، سنكفره وإذا كفر سنقتله، وإذا ارتد عن ديننا السمح الحنيف، سنقتله. ما هو رد الفعل الذى تتوقعه أيها الداعية الفظ غليظ القلب؟؟ من سيأمن لهذه الرسالة الدموية ويؤمن بهذا الدين؟؟ من سيؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم؟ من سيسلم لله؟ ماذا فعلت بالناس يا هولاكو؟ انفضوا من حولك ولم يستمعوا لك، لأنك كذبت على الله. الله الذى علمنا أن الدين النصيحة، وقال «لا إكراه فى الدين». الله الذى أمر بقطع اليد لا بترها، وبجلد الزانى لا برجمه، الأشقاء فى سودان الترابى، يغالون فى تطبيق الشريعة الغراء على صغار اللصوص، يشنقون ويصلبون السارق، ويظنون أنهم يحسنون صنعا.

من قال إن القطع هو البتر؟ نعم صدق رسول الله أن قال: «لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها». نعم تم تنفيذ القطع أيام الصحابة الكرام، كما تقول كتب التراث، لكن هل ذكر فيها صراحة أن اليد المقطوعة دفنت أو علقت على باب الكعبة، عظة وعبرة، حتى نطمئن إلى أن المقصود بالقطع هو البتر؟

إعدام برىء:

«ولا تزر وازرة وزر أخرى»

القاعدة الشرعية: يضاف الفعل إلى الفاعل لا إلى الآمر ما لم يكن مجبرا

ما ذنب اليد التى سرقت؟. من الذى أمرها بالسرقة؟؟. من المسئول عن النية؟؟: الذى أوحى بالفعل هو العقل، والتى أمرت هى النفس الأمارة بالسوء، والتى أطاعت الأمر ونفذته هى اليد، فطرها الله على الطاعة، لا يمكن أن تعصى أمراً أصدره المخ، القطع لابد أن يمارسه جزار «سياف» أو جراح، وعليه أن ينفذ ما نحدده له بدقة تامة. ليس لإرادته دخل في تنفيذ الأمر، لكن من حقه أن يسأل حتى يطمئن قلبه، ما الفرق بين القطع والبتر؟ ما الفرق بينهما، بالعربية وبكل اللغات؟ الفرق جسيم. وهناك فرق أيضا بين القطع الفعلى والرمزى. وبين الباتر والأبتر. من هو الأبتر؟ هو مقطوع الذرية. كيف انقطعت؟. كثيرا ما تؤنب السيدة المصرية ذاتها بقولها لنفسها «يقطعنى» أو تسب ابنها إذا طال لسانه بقولها له «قطع لسانك».

cut-wound & amputation

الجرح القطعى يحافظ على شكل الذراع ولا يفقد اليد وظيفتها، لكنها تحمل دائما دليل الإدانة. فيش وتشبيه، بعد أن يندمل الجرح، تظل الندبة دائمة الوجود تذكر اللص بفعلته، وبرحمة ربه، ولا تحرجه إذا تاب ولا تقطع عليه باب الرزق والتوبة، ولا تحرمه من الدعاء والوضوء والسجود.

الفاضى يعمل قاضى.

ثم إنه لاقطع لسرقة ما ليس بمال: سرقة الشعْر والنحو واللحن، إذا سرق عبد الوهاب لحنا، هل نقطع أذنه؟ والمغتصب الذى يسرق عِرضا، أين نقطع، نحوله بقطع العضو المغتصب أم نخصيه؟ ولا قطع لسرقة كلب مهما بلغ ثمنه ولو كان على رقبته طوق من ذهب. ولا قطع لسرقة جثة الميت، ولا سرقة المصحف ولو عليه حلية. ولا قطع لسرقة العبد والصبي والزوجة. أما إذا نقب اللص الجدار وناول زميله المسروقات فلا تقطع يد هذا ولا ذاك، الأول لم يخرج والثانى لم يهتك الحرز. وإذا خرج من الباب راكبا حمار الدار، فسير الدابة مضاف إليه وهو لم يتحرك عليها فلا تقطع يده. وتقطع يدك إذا سرقت «وديعتك» المحرزة عند غيرك. وهناك ألغاز فقهية كثيرة، مضحكات مبكيات، لذلك يجب علينا إعادة النظر فى هذه الأحكام الدموية، التى يصدرها الفقهاء باعتبار أن القطع يعنى البتر.

١ـ جاء فى «المستطرف من كل فن مستظرف» ص ٦٦٧: بعد حوار بين الحجاج بن يوسف الثقفى والشاعرة ليلى الأخيلية قال لحاجبه: اذهب فاقطع لسانها، فأخذها لينفذ أمر

مولاه فقالت له: ويحك ثكلتك أمك، ألم تفهم؟ قال لك اقطع لسانها بالمال لكى لا أهجوه. يعنى «سكتها» أو «اعطيها مصارى حتى تسكت».

٢- جاء فى سورة يوسف: ﴿... فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا...﴾ (الآية: ٣١). أى جرحنها بالسكاكين لفرط ذهولهن.

٣- جاء فى «نصيب الراية»: الجزء الثالث ص ٣٥٤: «اذهبوا به فاقطعوه ثم احسموه»، الحسم هو: كى الجرح بعد القطع بالزيت المغلى حتى يتوقف النزيف، وثمن الزيت على حساب اللص. لاحظ أن الحسم والكى جائز وممكن فى الجرح القطعى والجرح البترى.

القاعدة الشرعية: الدليل إذا دخله الاحتمال سقط به الاستدلال. كما تقرر فى الأصول.

قال ﷺ: «من سرق فاقطعوه فإن عاد فاقطعوه وكررها ٤ مرات».

هل نقطع يديه كما أمر الله؟ ورجليه أيضاً؟! وما أمر الله بذلك.

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه «إنى لأستحى أن لا أدع له يدا يبطش بها ورجلا يمشى عليها» وبذلك حاج بقية الصحابة فحاجهم «أى غلبهم». لأن بتر اليد سيمنعه من البطش أو إحسان الوضوء وبتر الرجل سيمنعه من الذهاب إلى المسجد وأيضا إلى الحانة.

ماذا نفعل لو سرق واحد من جماعة أو سرقت جماعة من واحد؟ عصابة قطعت الطريق وسرقت، أى اللصوص نقطع يده؟

إذا ورد حديث فيه مشقة وحديث فيه ميسرة، أيهما نختار؟. «ما غلب عسر يسرين». ﴿فإن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا﴾ (الشرح: ٥، ٦).

ما خير ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما.

٤- يسقط الحد، بالتوبة ﴿... إلا من تابوا﴾. ويسقط الحد، بالكذب، الرجوع بعد الإقرار «التقية»: إذا ادعى السارق أن العين المسروقة ملك له، سقط القطع وإن لم يقدم البينة، وبما أن الكذب منجى، فلا مانع أن يكذب اللص لسد باب الحد.

٥- ثم إنه من الواجب علينا أن نفهم حكمة بتر اليد السارق وجلد الزانى غير المحصن. هل هتك العرض أقل أهمية من هتك الحرز؟؟

الزنا جريمة تتم بدون سبق ترصد، لا إصرار ولا اضطرار، فاقد الوعى مسلوب الإرادة يرتكب الجريمة فى لحظة دون أن يدرى.

قالت سكينة بنت الحسين للفرزدق، أن جريرا أشعر منه حين قال فى النسيب:

إن العيون التى فى طرفها حور : قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

تصرعن ذا اللب حتى لا حراك به : وهن أضعف خلق الله أركانا

من يتصور أن الرسول الرحيم يرفع عقوبة الجلد إلى الرجم؟

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ (التوبة: ١٢٨) . المؤمن من يطيع الله ويجب أن يطيع رسوله، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، هذا هو الرسول الأمين الشفيع البشير الرءوف الرحيم. لكن أيهما أرحم وأعلم وأعدل وأحكم، الله أم نبيه؟. الفقيه يصور لنا الرسول الذى لا ينطق عن الهوى بصورة تفزع كل من أحبه وآمن به واتبعه.

أنت أيها الفقيه ـ حتى الآن ـ لم تؤد رسالتك فى الحياة، بل أسأت بأسلوبك الدموى إلى الرسول وإلى الرسالة، ولما نفر الناس من صراخك وانفضوا من حولك، حاولت أن تسترضيهم، ولما فروا حاولت أن تستبقيهم وتخاطبهم بالحسنى، كل على قدر عقله، لم تعد ترهبهم، لم تكرههم، لم تهددهم، انخفض صوتك وغيرت النبرة وقلت بصوت عذب خفيض، يا أحباب الله، أيها الظالمون لأنفسهم، أبشركم بالجنة، تجرى فيها الخمر أنهارا، والنساء حور عين، قاصرات الطرف لم يمسسهن إنس قبلكم ولا جان. اشتاق الحيارى والسكارى، حرمت الخمر على الأرض وجرت أنهارا فى الجنة. واستراح الأميون والفقراء المحرومون: (العين كسيرة واليد قصيرة) . لم يفهم المعدمون لماذا فرض الصيام على الجائع المحروم، الذى لا يزكى ولا يستطيع أن يحج ولا بالقرعة مع وعد بتأجيل الجزاء، فالفقراء نصيبهم فى الجنة، أما الأرض فهى جنة الأغنياء فإذا تجرأ أحدهم وسأل، وما نصيبنا فى نساء الدنيا؟ كان ردك: أيها الرجال تناكحوا تناسلوا، الزواج سهل جدا، إذا أغضبتك واحدة أو لم تعد تشتهيها، ذلها، اكسر نفسها، احبسها فى بيتك، صادر قلبها وأمرها أن تحفظ عرضها، أو احفظ لها فرجها بالقوة، ألبسها حزام العفة، أمم الأمة، فإذا سجنت جسدها فهل يمكن أن تمنعها عن غيرك حتى فى المنام أو الخيال؟ ثم تزوج بأخرى، أو بأخريات، مثنى وثلاث ورباع، أما إن كنت من ضباط وجنود القوات المسلحة وأسرت إسرائيلية أو يمنية أو كويتية أو عراقية أو إيرانية فماذا تفعل بها؟ حلال عليك. هذا عن الأسيرة فماذا عن الآسرة؟. هل نسمح لضابطات القوات المسلحة أن «يتمتعن» أى يغتصبن «ما ملكت أيمانهن» أى أسراهن من الرجال؟ سألنا المفتى الحربى!. فكان رده: أما الأسيرات فهن ملك يمينك أيها الجندى، افعل ما شئت بما ملكت يمينك، أما إذا كانت زوجتك رتبة، فمع الأسف لم أجد تفسيرا لما ملكت أيمانهن فى كتب التراث، فى أبواب السرايا والغزوات، ومن قال لا أعرف ـ يابنى ـ فقد أفتى. لكن لا تنس أنه إذا اختل ميزان القوى فإن أمك أو اختك أو ابنتك الصبية قد تأسر سبية

وقريبتك قد تصبح أسيرة، ملك يمين، جارية. أما المقهورة، سلما وحربا، زوجتك، فهى أمتك دائما وطلاقها بإرادتها مستحيل. الأرض جنة الرجال، وللنساء القهر والعذاب، دنيا وآخرة.

نشر فى أكتوبر ١٩٩٦/٨/٩ «فى ذكرى مولد الرسول الكريم استمعت إلى خطبة الجمعة مذاعة من قناة فضائية عربية. الخطيب شاب فى مقتبل العمر يبدو أنه درس أصول الدين فى شركة توظيف أموال! قال الخطيب الشاب وهو يذرف الدمع على مصير المسلمين فى هذا العصر: ليس هناك من سبب لهذا المصير الذى وصل إليه المسلمون الآن إلا عدم تعظيمهم لسيد الخلق محمد بن عبدالله ﷺ، كما ينبغى أن يكون التعظيم لهذا الرسول الكريم ﷺ الذى هو أول الخلق وآخره. ثم قال... لقد كان المسلمون الأوائل يعظمون النبى الكريم لدرجة أنهم كانوا يشربون بوله. يا سبحان الله... هل يليق أن يقال مثل هذا الكلام عن سيدنا محمد ﷺ؟ وهو القائل لأهل زمانه... «لا تعظمونى كما كانت تفعل الأعاجم بملوكها، فما أنا إلا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة»! هل هذا كلام رجل يسمح للناس بأن يشربوا بوله؟ نسى هذا الخطيب الوقح أنه لا يمكن الحصول على بول النبى بدون إذنه. ونسى الفرق بين الأولية والأولوية حين ذكر أن الرسول أول خلق الله. فهناك فرق بين المكان والمكانة. فالرسول ﷺ ولد فى مكة بعد ملايين البشر وكل الأنبياء فكيف يكون أول خلق الله؟. إنها الأولوية، هو أحب الناس إلى الله، هو حبيب الله، ولذلك كان الوحيد الذى اقترب قاب قوسين أو أدنى. هكذا يجب أن يفهم الناس معنى الكلام حتى لا يرددوه كالببغاوات. ذكر فى ركام المرويات أن الرسول «بال قائما»: أنكرت السيدة عائشة أن الرسول الكريم بال قائما، لكن هذا الادعاء أيده كثيرون فى المرويات. والأصل المتقرر فى فقه الإسلام أن «المثبت مقدم على النافى» وذلك لأن المثبت عنده زيادة علم.

الإسراء:

تحدى أبو جهل رسول الله وقال له: أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى؟ وأشفقت عليه أم هانىء وطلبت منه أن يعدل عما قاله. معنى هذا أن الأمر لم يكن حلما أو حتى رؤية منامية. كل الناس تحلم، حتى الجنين فى بطن أمه، وبعض الناس يرى الرؤيا وتتحقق، لكن الإسراء مستحيل إلا بإذن خاص: فما هو الإسراء؟

الإسراء ليس حلماً. الإسراء ليس رؤيا. الإسراء هو انتقال النفس لتقترب من الله وبإذن منه. رؤيا إبراهيم ورؤيا محمد ﷺ عام الفتح ورؤيا فرعون يوسف؛ هى إذن من عالم الغيب لبعض خلق الله بالاطلاع على غيب لا يعلمه إلا هو لغرض لا يعلمه إلا هو. أما الإسراء فهو استدعاء النفس بالبراق. إلى عالم الغيب مباشرة.

الإسراء فى اللغة هو السير ليلا. والنبى لم يسر من مكة إلى بيت المقدس ولم يطر فى

الهواء إلى السماء، ولم يقل أنه سار ولا أنه ركب البراق وطار. كل ماقاله أنه أُسرى به وهو لفظ يستنكره غير المؤمن ولا يعقله لا المؤمن ولا الكافر. وهذا أمر دعا ويدعو الناس إلى التساؤل، فأجاب أحمد شوقي:

يتساءلون وأنت أطهر هيكل	بالروح أم بالهيكل الإسراء
بهما سموت مطهرا وكلاهما	نور وروحانية وبهاء
فضل عليك لذى الجلال ومنة	والله يفعل ما يرى ويشاء

كل هذا الحب والإيمان لا يمنع من أن الحقيقة قد تكون خافية أو مختلفة، لكنها أبدا ليست متناقضة. فالإسراء:

هو تلبية دعوة، الداعي هو الله والملبى هو رسوله وحبيبه، يؤمن به كل المسلمون ولا يفهمه إلا عقلاؤهم.

هو رحلة نفس طاهرة، تمت ليلا، لحضور أحداث فى عالم الغيب، ومشاهدة ما لا يمكن رؤيته ولا حتى تصوره، فى عالم يتحد فيه الزمان بالمكان والماضى بالمستقبل والحاضر بالغائب، وبهذا يسهل علينا تصور وتصديق أنه رأى القيامة قبل أن تقوم، ورأى كيف بدأ الخلق والبث والبعث. كأنما أدير له فيلم فيديو ليرى فى لمحة خاطفة قصة الخلق التى استغرقت ملايين السنين .رأى البداية والنهاية، مع أن ما بينهما لم يكتمل بعد. دعاه فلبى، فاستقبله وأكرمه وأنعم عليه وحمله أمر تكليف لأمته: أن صدقوه، فهو وحده الذى شاهد وأبصر وسمع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ثم عادت النفس الطاهرة المكرمة إلى الجسد الشريف الحى، حاملة الذكرى العطرة. هذا هو الإسراء بكل بساطة، ليس من الإيمان أن تصر على تجاهل العلم وليس من الضرورى أن يظل الحب أعمى. وإلا فما معنى ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق....﴾ (فصلت: ٥٣) ؟

هذا وعد من الله لأول خلق الله، حتى آخر خلقه. وعد متجدد أبدا، «سنريهم» إلى متى؟؟ «حتى يتبين لهم»؛ فلابد أنه أرى الأمم السابقة وسيرى اللاحقة؛ فافهم وتعقل. فماذا بعد أن اتضح لك أن الإسراء لم يكن بالهيكل ـ الجسد ـ ولا بالروح؟ وصار أقرب إلى العقل والحكمة أن تدرك أنه كان بالنفس. وأن ذلك لا يقل إعجازا ولا قدرة عن الإسراء بالجسد. أليس المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف؟ وقوة الفكر لا تقل عن قوة الجسد. إذا صورنا المخ ورسمناه بالأشعة المقطعية والمغناطيسية ستجد أن كل الأمخاخ تتشابه تماما، مخ العالم مثل مخ الجاهل، تماما، لكننا حتى الآن، ومع الأسف الشديد ليس عندنا جهاز لرسم العقل، لإثبات تفاوت العقول فى الفهم والإدراك. ولا شك أن هناك عقولا يسعدها الإيمان الأعمى

وعقولا أخرى تشكر الله على نعمة العلم. أليس العلماء ورثة الأنبياء؟ ﴿.. هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون..﴾ (الزمر: ٩)، ﴿.. إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر: ٢٨)، لذلك تعجب أحد المسلمين المهاجرين العاملين فى وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» ولم يعلق حياء وأدبا. لم يفهم المستمع الكريم ماذا يقصد هذا الخطيب ولم يفهم كلامه عن حديث ابن عباس بخصوص الإسراء والمعراج. هو يعرف جيدا أن القرآن متعال فى محتواه على كل معلومات البشر فى عصر نزوله، وقد جاء القرآن بما لا يعلم به محمد ﷺ وبما لا يعلم به كل معاصرى محمد فى أمور الفلك ونشأة الكون وانقسام الذرة والتلقيح الهوائى للنبات وأطوار الجنين وما صرح به بكلمات موجزة مثل: ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾ (الذاريات: ٤٧)، حير العلماء أمثال: نيوتن وآينشتين وكوبرنيكوس وكبلر، بين نظرية الكون المتكور المتمدد ونظرية تباعد المادة فى الفضاء وكروية الأرض ودورانها وحركات النجوم بل وحركات الجبال وتنبأ بانتصار الروم على الفرس قبل تسع سنوات من حدوثه وأشار إلى سرعة الضوء ومقدارها الصحيح فى آيتى:

﴿... وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ (الحج: ٤٧).

﴿.. فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ (السجدة: ٥).

وكان قد قرأ للدكتور منصور حسب النبى أستاذ الفيزياء بجامعة عين شمس كتابا كاملا عن أسرار هذه الآية وكيف استخرج منها سرعة الضوء فى دقة تطابق قياسات الليزر وللكسر الرابع وتذكر أن اللغة العربية تفرق بين الضوء والنور وأنه لابد أن يكون لذلك حكمة لا زالت خافية على علماء الفيزياء. ﴿... فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ (المعارج: ٤). وتصور أن الدكتورة بنت الشاطىء بصفتها «شاهدة على العصر» يمكن أن تكون هى الأخرى، ذات رؤية علمية ناضجة، خاصة بعد أن قرأ لها النصف الأول من مقالها «حديث الإسراء بين ليل ونهار». فهو لم يفهم كيف يطوى محمد ﷺ بجسده، المسافة بين مكة والقدس ثم من الصخرة عبر السموات السبع إلى سدرة المنتهى ويعود فى طرفة عين إلى فراشه الدافىء؟. هذا فى حدود علمه غير معقول. لأن أى مركبة تنطلق بسرعة الضوء - وهذا غير ممكن - أو أسرع - وهذا مستحيل - لابد أن تقطع ملايين السنين الضوئية فى مليارات السنين، هذا غير ممكن مطلقا، هذا مستحيل. المركبة التى تسير بهذه السرعة لابد أن تحترق وتتحول إلى طاقة، بمن فيها. المركبة والراكب. لكن الله القادر، الذى «يحيط» بكل ما خلق يمكنه أن يسمح بذلك من أجل حبيبه محمد ﷺ. بيد أنه من الواضح تماما، أنه تعالى، كان قد سبق وقرر من فرط حبه لمحمد، أن محمدا ﷺ بالذات، ليس فى حاجة إلى أى إعجاز آخر غير القرآن. عظمة محمد ﷺ وجلال قدره جعلتاه ليس محتاجا للوصول إلى

سدرة المنتهى بجسده، نفسه تكفى، ولا لفلق بحر، أو لشق صدر، أو لانشقاق قمر، أو لإحياء ميت، أو إبراء أبرص أو أكمه، أو إنبات قرع من عرقه، ولا لخلق عينين فى قفاه، كما يدعى إمام مسجد البوصيرى أو تعظيمه بشرب بوله!

وقد يتساءل غير العارفين وأحيانا المغرضون: لماذا كل هذه الرحلة الطويلة والله نفسه أقرب إلينا جميعا من حبل الوريد؟ استعصى على الفقهاء إعراب وبالتالى فهم كلمة الروح.

الروح: هو أمر الله، داخل كل بذرة وحبة ونواة. داخل كل خلية حية فى جسد كل كائن حى، هذا هو معنى أنه أقرب إلينا من حبل الوريد، أما الله ذاته فهو محيط بكل من وما خلق، لذلك فهو الأبعد والأقرب، الظاهر والباطن، الأول والآخر. يستحيل الوصول إليه إلا بإذن خاص، لابد من جواز مرور إلى عالم الغيب من عالم الشهادة. هذا الجواز لا يمنح لكائن حى أبدا إلا بعد نومه، أى أن الله يجب أن يتوفاه أولا، حتى تنفصل نفسه عن جسده، ثم يسمح للنفس وحدها بالمرور من عالم الشهادة إلى عالم الغيب. لا علاقة مطلقا بين الجسد والروح ورحلة الإسراء والمعراج.

مقال بنت الشاطىء:

«جاءت ذكرى الإسراء والمعراج فى موعدها من السنة القمرية، والمركبة الفضائية «جاليليو» قد أخذت مجالها حول كوكب المشترى، أكبر كوكب فى المجموعة الشمسية، بعد رحلة استغرقت ستة أعوام قطعت خلالها شاسع المسافات، تبدأ بعدها مهمتها فى اكتشاف المجهول من أسرار الفلك وغيابات الفضاء، فى مدة مقدر لها عامان، حيث تطلق مجسا يخترق الغلاف الجوى للمشترى، فى مهمة انتحارية لجمع معلومات بالغة الأهمية قبل أن يحترق المجس «بحرارة اللهب الوهاج لغلاف المشترى فى رياح كالأعاصير تبلغ سرعتها ٣٢٠ كم فى الساعة، وسوف تقوم جاليليو بتخزين المعلومات التى التقطتها من المجس خلال الرحلة، على جهاز تسجيل خاص، ترسله إلى مرماه على الأرض، حيث يستقبله علماء الفضاء على اختلاف تخصصهم وتحمل هذه المركبة الفضائية، فى رحلتها الفذة بغير قائد ولا ملاح، اسم العالم الإيطالى جاليليو: أكبر علماء الفلك فى القرن الخامس عشر بل وعلى الإطلاق حتى أتى كبلر: والعلم فى زمانه ممتحن برقابة صارمة من رجال الإكليروس، الذين استأثروا بتفسير الظواهر الكونية، إبان صدمة الكنيسة بما عرف «بهزة كوبرنيكوس»: الفلكى الهولندى فى كتابه «دوران الأجرام السماوية» وكان غير متداول، وقد صدره ناشره بمقدمة تتقى لعنة الكنيسة: بأن «هذا الدوران من زخرف القول وأفانين الخيال». وقد عز على جاليليو أن يبقى هذا الكشف العلمى فى منطقة الظل، فنشره، وعرضه ذلك للمحاكمة بتهمة الزندقة، فلم ينج من حكمها عليه بالموت حرقا إلا بإقراره علانية بأن «ما ذهب إليه من دوران

الأجرام السماوية حول الشمس، لم يكن إلا وهما زائغا وضلالا بعيدا، وظلت مع ذلك «الأرض تدور، رغم أنف الكنيسة».

ظن الرجل بعد هذه المقدمة الجميلة، أن الدكتورة الجليلة قد أدركت كيف تمت معجزة الإسراء والمعراج، لكن تبين له بعد متابعة المقال، أنها سلفية حتى النخاع، عقلها بديع عميق رائع، وقلبها سلفى، فقهى، يخشى الاجتهاد واحتمال الخطأ، فآثرت أن تعيش فى فجر الإسلام، زمانا ومكانا، لكن ما حيلة المسلمين فى ما قاله ابن عباس وقد التزمت به كاتبة قديرة وقادرة؟. لكننا نحن المتعلمين العالمين، مع احترامنا الكامل لأستاذتنا هبة السماء للعالم الإسلامى كله، لا يمكن أبدا أن نعترف بتسلط بشر على بشر، ولا زمان على زمان بعده. نحن لا نستطيع أن نعيش زمن القدماء وهم لن يعيشوا أبدا دنيانا. لو عشنا زمانهم لقلنا رأيهم، ولو عاشوا زماننا لاستنكروا ما سبق أن قالوه.

عباد الرحمن فى الأرض وفى السماء:

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله﴾ (الإسراء: ١).

إذا حاولت أن تتفاهم مع أى فقيه بخصوص حقيقة الإسراء والمعراج، تمسك بهذه الآية الكريمة واعتبر أنها دليل قاطع على أن الإسراء والمعراج تما بجسد الرسول الكريم وبروحه نسى الفقيه الكلمات الصريحة الدالة على وظائف النفس: البصر والفؤاد.

﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ (النجم: ١١)، ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ (النجم: ١٧).

وتمسك بكلمة عبده ومع ذلك، والذى «نفس» محمد بيده، فهذه هى الآية القاضية:

﴿يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعى إلى ربك راضية مرضية * فادخلى فى عبادى * وادخلى جنتى﴾ (الفجر: ٢٧ ـ ٣٠).

لا شيء عند الله غير ممكن، لا شيء على الله مستحيل. لكن، يستحيل على الله أن يظلم نفسا أو أن يظلم عقلا. الإيمان هو تصديق المستحيل إذا لم يمكن تصوره. والمؤمن القوى، أى العارف العالم، أقوى من المؤمن الضعيف، أى الجاهل العاجز.

النفس لها قبلٌ وبعدٌ:

معنى الكلام، أن النفس سترجع، ومعنى ترجع يعنى أنها تعود من حيث أتت. ثم تدخل جنة الله مع عباد الله، إذن عبادى معناها عباد الله فى السماء. بل وهناك فرق بين ادخلى مع عبادى وادخلى فى عبادى. وهكذا خاطب الله نفس محمد واستدعاها إلى حيث أراد. هذه الآية القاضية يجب أن تفحم كل فقيه يدعى أنه لم يفهم بعد.

نسى ابن عباس أن الله هو «الغفور» «الرحيم» «التواب» «الحليم» «الحكيم»، وتذكر فقط أنه «المتعال» «المتكبر» «المنتقم» «الجبار» «المميت». وليؤكد هذه الصفات بالذات وأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم آخرتها سوداء، أضاف: الله تعالى استدعى رسولكم، فركب البراق، وهو دابة فوق الحمار ودون البغل، له وجه كوجه ابن آدم وجسده كجسد الفرس: (ذكّرها ثم أنثها) عرفها من اللؤلؤ الرطب منسوج بقضبان الياقوت وأذناها من الزمرد الأخضر وعيناها مثل كوكب درى، بلقاء، محجلة الثلاث، مطلقة اليمين، عليها جل مرصع بالدر والجوهر. فوصل فى لمح البصر إلى القدس. فإذا كانت أى نفس بشرية تغادر الجسد عند النوم وتحوم حوله أو تحلق بعيدا عنه، فليس هناك ما يمنع أن مغادرتها للعالم المباح إلى عوالم أخرى بالقرب من خالق الكون لا يتم إلا بإذن منه وبوسيلة انتقال تحملها وتعود بها، اسمها البراق، وكأنه ليس فى مقدورنا أن نعرفه أو أن نصفه.

محمد ﷺ والمسيح عليه السلام:

لاحظ أيها القارىء الكريم، أنه ﷺ، هو والبراق (: إنسان ودابة) وحدهما لهما جسد من لحم ودم، فكيف يتجول النبى بجسده الذى خلق من تراب الأرض فى عالم من الملائكة التى خلقت من نور؟. كيف يتواجد فى عالم نورانى لا مكان فيه لجسد ولا قيمة، ويتردد بين السماء الخامسة والسابعة حائراً بين موسى وربه. وعلى أى حال فالفترة التى قضاها نبينا الكريم كانت قصيرة جدا لأنه عاد إلى فراشه الدافىء بعد زيارة خاطفة، أما حكاية المسيح عليه السلام فلا يمكن عقلها بالمرة.

فهذا هو ما نشرته جريدة الهدف السعودية فى ٢٠ـ٧ـ٩٦ الصفحة الخامسة «عيادة الروح» إعداد وإشراف الشيخ أحمد الحصين: السؤال من باكستان أرسله الأخ فى الله الشيخ منظور أحمد رئيس الجامعة العربية جنيوت وهذا نصه: «ما قول السادة العلماء الكرام فى حياة سيدنا عيسى ورفعه إلى السماء بجسده العنصرى الشريف وما حكم من ادعى أنه لم يمت بل هاجر إلى كشمير وعاش فيها طويلا ومات، أفتونا مأجورين؟».

أجابه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز: «وبالله المستعان وعليه التكال ولا حول ولا قوة إلا بالله» عيسى بن مريم رفع إلى السماء بجسده الشريف وروحه، لم يمت ولم يقتل ولم يصلب، وقد أجمع علماء الإسلام الذين يعتمد على أقوالهم على ذلك وإنما اختلفوا فى التوفى المذكور فى الآية ﴿إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ﴾ (آل عمران: ٥٥)، فبعضهم قال إن المراد بذلك:

١ـ وفاة الموت، لأنه الظاهر من الآية بالنسبة إلى من لم يتأمل بقية الأدلة فقد تكرر فى القرآن بهذا المعنى، ففى الآية تقديم وتأخير. والبعض قال:

٢ـ معناه القبض، نقل ذلك ابن جرير عن جماعة السلف واختاره ورجحه على ما سواه فيكون معنى الآية إنى قابضك من عالم الأرض إلى السماء وأنت حى ورافعك إلى. وقال آخرون:

٣ـ المراد بذلك وفاة النوم لأن النوم يسمى وفاة، وقد دلت الأدلة على عدم موته. فوجب حمل الآية على وفاة النوم جمعاً بين الأدلة.

والقولان الأخيران أرجح من القول الأول، فالحق أنه عليه السلام رفع حيا وأنه لم يمت بل ولم يزل حيا فى السماء.

ولا أدرى كيف يعقل المؤمنون: مسلمين ومسيحيين أنه حى بجسده فى السماء، ما فائدة جسده؟ كيف يعمل جهازه الهضمى؟ هل يأكل ويشرب ويخرج؟ وكيف ترى عيناه وتسمع أذناه من حوله فى عالم الغيب من ملائكة؟ كيف يعيش جسد من لحم ودم فى عالم من نور؟ وكيف ينام؟ الحل أبسط مما يتصوره كل الفقهاء والكهنة مجتمعين. المهم هو النفس. حين تركب سيارة أو حصانا، وقبل دخولك على الملك، فلابد أن تترك السيارة أو الركوبة تأدبا، لا يليق أن تدخل عليه بها. السيارة هى جسدك وقائدتها هى نفسك، المهم هو نفسك. لابد أن تتجانس الكائنات. إما أن يتجسد جبريل ليراه النبى، أو يلقى الله بالنور فى قلب محمد ﷺ ويشرح صدره، فتلتقى النفس النورانية بالملك، وتتلقى الرسالة منه. ومعنى أن عيسى توفاه الله، أنه نام، ثم أمسك الله نفسه ورفعها إليه. وهى النفس الوحيدة من كل البشر التى خرجت ولم تعد. نفس محمد ﷺ صعدت ورجعت.

ما معنى قول إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين﴾ (الأنعام: ١٦٢)، لماذا لم يقل حياتى وموتى؟. لأن معنى محياى ومماتى هو التكرار، تكرار الحياة والموت. وهذا يحدث يوميا، أليس النوم هو الموتة الصغرى؟ أليس الصحيان هو إرسال النفس مرة أخرى لتحل بالجسد؟. ﴿وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (الأنعام: ٦٠)، ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ (الروم: ١٧). أدرك العالم عمق تفسير هذه الآية الكريمة وسأل نفسه، هل يستحيل انتقال بشر عبر الفضاء؟ أبدا، هذا ممكن، هذا ليس مستحيلاً، إذا أدركنا الحقيقة الكبرى التى أشار إليها القرآن الكريم مرارا وبوضوح شديد. الإنسان كائن مثنوى التكوين. جسده من تراب الأرض، مادى، محدود المكان والزمان، ونفخة من روح الله، نورانية أبدية لا تموت أبدا إلا حين يهلك كل شىء إلا وجهه. ورغم ذلك فمازال الفقهاء يخاطبون الإنسان على أنه جسد، وغفلوا تماما عن ماهية النفس. وظلوا يتصورون أن الصيام والصلاة لترويض الجسد. والواقع غير ذلك تماما. الباقية هى النفس، والتى كلفت هى النفس، والتى ستنعم أو تعذب هى النفس.

الانتفاع بالشيء لا يعني بالضرورة أنك تعرف حقيقته:

هذا هو ما نشره الإمام الشعراوى فى ذات الجريدة وفى ذات العدد. التقاء الروح بالمادة ينتج النفس. «وهذا صحيح بالنسبة للنفس النباتية والنفس الحيوانية، لكنه ليس صحيحا بالنسبة لأعلى مراتب النفس الإنسانية وهو العقل «واستطرد فضيلته وقال: ولن يتوصل الإنسان أبدا إلى معرفتها».

الروح:

فى الكون فى البرق فى الأنوار مندمج	فى الزهر فى العرف فى الأنواء فى الماء
فى كـل ذرات هـذا الكـون منبعـث	يعطـى الحـياة لـه فى كـل حـدباء

بتصريف عن محمد الفراتى

جمع روح: ريح أرياح. جمع نفس «أنفس» والنفس هى الذات والصفات.

أرواح وأشباح

الروح يُكلّفُ ولا يُعذَّب.. النفس مكلفة وتحاسب. الروح هو مصدر الحياة. لاحظ أن الروح لفظ مذكر، فإذا قال الله، بلغت التراق أو بلغت الحلقوم، فمعنى ذلك أنه يتكلم عن النفس وليس عن الروح كما فهم أستاذنا الشعراوى.

﴿كلا إذا بلغت التراقي * وقيل من راق * وظن أنه الفراق﴾ (القيامة: ٢٦ ـ ٢٨)، ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينئذ تنظرون * ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ (الواقعة: ٨٣ ـ ٨٥).

فسر فضيلته هذه الآيات الكريمة بأن الله سبحانه وتعالى يتحدث فيها عن الروح وهى تغادر الجسد، وهى تخرج منه، أى أنه يتحدث عن لحظة الموت، لحظة الفراق بين الجسد والروح، يتحدث عن شىء له دخول وخروج، أى أنها عنصر تام، وتساءل: لكن هل هناك ما يمنع أن تكون إرادة وفى نفس الوقت لها كيانها واستقلالها؟ هل هناك تناقض؟ إن كون الروح عنصراً تاما لا يتناقض أبدا مع كونها من إرادة الله.

انظر: كان فضيلته على باب المعرفة الحقة، لكن الله، لأمر ما، منعه من دخوله، ربما ليحميه من الغرور فيتركه يخطىء أخطأ فضيلته مرتين حين أنث الروح وحين غفل عن أنه أمر الله وليس فقط إرادته. هذا هو الروح أيها السادة أمر الله تجسد فى أى وكل خلية حية. لذلك فإن قوله أن كل الأبحاث التى تجرى عن الروح مجرد عبث، فلا يمكن أن تضعها فى معمل ولا أن تجرى عليها تجارب، ولا يمكن أن تدخل فى طاقة البحث العلمى فلا هى شىء يستطيع الإنسان أن يراه أو يمسكه أو يضعه فى معمل ليجرى عليه تجاربه، وكل ما يقال عنها ليس إلا على سبيل الظن والتخمين.

كل هذا الكلام مع الأسف الشديد غير صحيح بالمرة، ولا يمكن أن يكون صحيحا، وعلى فضيلته أن يطلع قليلا على ما تم إنجازه فعلا فى الهندسة الوراثية من أمور، المذهل والمحير فيها، أنها أدتنا إيمانا بالخالق جل وعلا، وتمسكا بدينه وحبا فى نبيه.

الله حى. والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون. والأنبياء أحياء - عند ربهم بالطبع، وليس فى قبورهم - وكل نفس توفاها الله حية أيضا. مكانها هى التى حددته. إما عند ربها إذا كانت مطمئنة، أو حيث أرادت لنفسها وأراد الله لها. ولا يمكن أن تظل ملايين السنين معطلة تنتظر الحساب، هذا حساب دنيوى. أما الأنفس فموجودة فى عالم آخر له حساب آخر لايمكن أن نعلمه، لابد أنها مكلفة بمهمة تسعدها أو تشقيها، جزاء فعلها وقدر إيمانها فى الحياة الدنيا. وكل الأنفس منذ خلقت لا تظل معطلة حتى تحل فى الأجساد حين تخلق، ربما تختار النفس مصيرها وتختار الطينة التى ستحل فيها، وربما تكون مجبرة على الحلول بذات الجسم التى هى صورته أو الذى خلق على صورتها. هذا أمر ممكن ويستحق التروى والبحث. كل الأنفس نورانية، خلقت قبل خلق الأجساد وتبقى بعدها فى البرزخ أى الحد الفاصل بين عالم الغيب وعالم الشهادة وهو مستودع النفوس، حيث تلتقى النفوس الطيبة، وتتنافر الشريرة، أما الأبرار من الشهداء والأنبياء فـ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾.

خلق الله الناس بعضهم فوق بعض درجات، والأنفس كذلك، لكل نفس مرتبة، حسب عملها. الأجساد خلقت من الأرض وتعود إليها، والأنفس خلقت من روح الله وتعود إليه.

ما أحلى الرجوع إليه:

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾. ﴿وإليه يرجعون﴾. ﴿إلينا ترجعون﴾. ﴿إلى ربكم ترجعون﴾. ﴿إلى ربهم راجعون﴾. ﴿إلينا راجعون﴾. ﴿إليه ترجعون﴾. الرجوع معناه العودة إلى حيث كنت كان الله ولا شىء معه وفى النهاية كل شىء هالك إلا وجهه. أول الطريق هو منتهاه.

يقول البابا شنوده الثالث: «القيامة هى قيامة الجسد وحده. أما الروح فهى دائمة الحياة». هو بالطبع يقصد النفس، وهذه هى نقطة خلافنا مع قداسته. الروح أمر مقدس لا يؤنث ولا يموت ولا يقتل ولا يزهق ولا يطلع ولا ينزل ولا يخرج ولا يدخل ولا يعذب ولا ينفخ، كل ما يقال غير ذلك ليس إلا ناتجا عن سوء فهم، لابد أنه غير مقصود.

نعود إلى عالمنا الفاضل. لأن العالم يعرف كل ما سبق ويؤمن به، فقد سأل نفسه: إذا كانت الكاتبة القديرة بنت الشاطىء ملتزمة وبتزمت بما قاله ابن عباس، فهل يمكن للإنسان البدائى أو المواطن غير المتعلم أن يصدق أو حتى أن يتصور أن الأرض مكورة. كرة من الصلب «النواة»، تسبح فى كرة من الحديد الذائب «الوشاح»، عليها قشرة مكونة من عدة صفائح تحمل كل ما على الأرض من حيوان ونبات وجماد ومياه، وتدور بهم فى الفضاء

الكونى. الإنسان فى القطب الشمالى كما الإنسان فى القطب الجنوبى، منتصب القامة: الرأس لا ينقلب، والأرجل لا تنزلق، ومياه المحيطات لا تندلق. وأن الأرض وكل ما عليها ليست إلا ذرة فى الكون الفسيح البديع. إن العالم يعرف كل هذا وأكثر، ويدرك أن علم «الباراسيكولوجى» و«التليباثى» أثبتا أن وجود أشباح لا تراها العين، أمر جائز وممكن.

جوهر العلم غيب. ماهية الإلكترون غيب، لم يره أحد ولم يشك فى وجوده أحد.

رأى المستمع العالم أن يتخذ خطوة ايجابية، منطقية وعلمية، فتفرغ ليقدم رسالة الدكتوراه فى البراق. وكان مبرر اتخاذ قراره، أنه قد عرف السر. السر يكمن فى الفرق بين النفس والروح، والفرق بين الضوء والنور. أدرك السر الذى غاب تماما عن فكر الفقهاء «بالقوة» لأنهم لم يدرسوا فيزياء، ولأنه لا يمكنهم ذلك. وغاب عن فكر أستاذتنا الجليلة «بالاختيار» لأنها آثرت الخوف. أدرك العالم معنى كلمة الروح وكيف أنها أمر الله. وكيف أن هذا الأمر، نفس الأمر هو الذى أحيا النبات والحيوان والإنسان. وأن ما يتصوره الفقهاء: أن الله حرم علينا البحث فى الروح هو الضلال البعيد، لأنهم يحرمون ما أحل الله. ربنا هو الذى أمر العلماء وليس الفقهاء ﴿سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾ (العنكبوت: ٢٠)، ولما أطعناه كشف لنا سر أمره. وهذا موضوع كتابى الجديد: خلق أم تطور؟ قضية النفس والروح سنجد هناك الإجابة عن: ما هو الروح؟

اختلف فقهاء العصر الحديث مثلما اختلف أئمة السلف، بما فيهم السيدة عائشة زوج النبى، رضى الله عنها، بعضهم قال أن المعجزة حدثت بالجسد وقال الآخرون إنها حدثت بالروح، والواقع أنها لم تحدث لا بالجسد ولا بالروح، المعجزة الخالدة حدثت فعلا، لكن بالنفس. لا جسده ولا روحه ﷺ، لهما أى علاقة بموضوع الإسراء والمعراج. خروج النفس من الجسد أمر يحدث لكل كائن حى عندما ينام.

﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ (الزمر: ٤٢). كيف يفسر أى فقيه هذه الآية الكريمة، مهما بلغ جموده وتحجر فكره. النفس كائن مستقل عن الجسد مرتبط به. أما ماذا تفعل النفس، وأين تنطلق، فهذا من علم الله، هو وحده القادر على أن يأذن لها بالتجول فى مناطق غير مسموح بها إلا لمن اصطفاه، هناك علاقة وثيقة بين خروج النفس والأحلام. المخ يستمر فى العمل أثناء النوم لغربلة الحوادث التى حدثت للإنسان فى صحوه كإلغاء ما لا فائدة منه، وتثبيت ما هو ضرورى وهام، وهذا له علاقة قوية بتكوين الذاكرة. النفس تفارق

الجسد عند النوم وتحوم غير بعيدة عنه. وقد قال الرسول الكريم «الناس نيام حتى إذا ماتوا استيقظوا» ويلاحظ من بردية شيستربيتى، أن فعل «يحلم» فى اللغة المصرية القديمة هو نفسه فعل «يستيقظ».

التى أسرى بها، هى نفسه، «نفس المصطفى» وإعجاز الإسراء والمعراج أن نفس محمد ﷺ وحده هى التى كشفت لها الحجب. وهى التىْ حملها البراق إلى سدرة المنتهى.

﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (ق: ٢٢). والغطاء هو الجسد.

يا واصف الأقصى أتيت بوصفه وكأنـك الرسـام والبنـاء

التى أمت وصلت بالأنبياء في القدس، هى نفسه، لم يحى الله الأنبياء ولا أنزل عيسى من السماء، لأنه إذا كان الشهداء أحياء يرزقون، فالأنبياء أولى، هم أيضا أحياء عند ربهم يرزقون، بأنفسهم لا بأجسادهم. ليسوا أحياء فى قبورهم بأجسادهم، هذا غير مقبول ولا معقول، ووضع لا يرضاه الله لخير خلقه «رائع ومروع أن تفهم معنى النفس، وأنها خلقت قبلك، فى عالم الذر، فى «يوم السبت» كما يقول الفقهاء، وتحل فيك وتخرج منك، عند النوم كما جاء فى سورة الزمر وتبقى بعد أن تموت، كما جاء فى آيات كثيرة. هل يجرؤ فقيه واحد أن ينكرٍ هذه الحقائق القرآنية؟ التى عرجت إلى السماء وسجدت تحت العرش، هى نفسه، والتى كلفت بالصلاة، ووقفت عند سدرة المنتهى وشاهدت جنة المأوى، هى نفسه. أيها الفقهاء رتلوا القرآن، بعد أن تفهموا أولا، الفرق بين التلاوة والقراءة والترتيل. اجمعوا كل آيات النفس، وصنفوها لتدركوا الفرق بين النفس والروح. تستريحون وتريحون.

صمت العالم تماما عندما استمر الفقيه فى لغوه. فقد استطرد يعنعن: ابن عباس قال: وفى القدس أحيا الله له الأنبياء وأنزل عيسى من السماء، ليصلى بهم، ثم عرج به إلى السموات العلى، حيث التقى بهم مرة أخرى. رأى موسى وهو يصلى فى قبره ثم صلى بموسى فى القدس ثم قابل موسى مرة أخرى فى السماء الخامسة. معنى هذا أن الله أحيا موسى مع الأنبياء، ثم انطلقوا جميعا، كل إلى سمائه، لم يذكر الراوى: أكل واحدٍ على براق، أم كلهم فى براق واحد؟. ولم يذكر هل أماتهم الله بعد أن هبطوا إلى الأرض مرة أخرى ودفنوا فيها، المعلوم لنا أن كل أجساد الناس بما فيهم كل الأنبياء جسد، وعيسى فى باطن الأرض. نفس عيسى وحدها رفعها الله بعد أن توفاه. لم يدرك الفقهاء الحقيقة الجليلة الجلية: أنه لا علاقة للأجساد مطلقا بالحياة «قبل وبعد» الحياة الدنيا وأن:

«نفس» النبى التقت «بنفس» موسى وليس بموسى نفسه:

واستمر الراوى الكريم: «وشاهد النار والمعذبين فيها، والجنة والمنعمين بها». كل هذا، ولم تكن القيامة قد قامت بعد، ولا جاء يوم الحساب!!. «ثم عندما توقف جبريل، أقعدت الملائكة

النبى على رفرف، فلما استوى عليه، حملته إلى سدرة المنتهى،، ولما التفت «محمد ﷺ» إلى يمينه، رأى سيف النقمة يقطر دما، وهو معلق بساق العرش، فقال لله سبحانه وتعالى ارفع السيف عن أمتى فقال: يا محمد، سبق حكمى وقضائى، لا يفنى أكثر أمتك إلا بالسيف، وفى حديث آخر، إلا بالطعن والطاعون، أى الروايتين أصدق فأصدق؟ أتمنى لو أنى لم أخلق فعذاب الله شديد.

تشكك الكثيرون، وفر العاقلون، لعلمهم أن الله القادر على كل شيء، رحمن رحيم، غفور كريم، وأن محمدا ﷺ يكفيه القرآن، ولا يحتاج تعقل رسالته والإيمان بها إلى كل هذا الوهم الذى حدثنا به ابن عباس، أقواله لا دليل عليها ولا حاجة بنا إليها. وعلى أى حال فإن ابن عباس أرحم من غيره، الذين وضعوا الأحاديث المنكرة، الواهية، الضعيفة، والمؤذية، واحتفظ بها الأئمة بعد أن دسها المغرضون فى كتب التراث. أليس من واجب الأزهر الشريف مصادرة هذه الكتب الساذجة المدمرة للإيمان السليم؟. هذه الأحاديث المكذوبة، هى التى أفرزت سلمان رشدى، ونصر أبو زيد، وتسليمة نسرين. ليس الحل أن يقول الأديب والمفكر الكبير الدكتور مصطفى محمود صاحب كتاب «الله والإنسان» الذى لازال مصادراً والذى لولا أن قذف الله بنور العقل والعلم والإيمان فى قلبه لما انشرح صدره ولولا أن وسوس له الشيطان لما ضاق به وعليه، ولما قال: «سلمان رشدى كاتب سفيه، ونصر أبو ريد ده راجل هجاص، إيه نصر أبو زيد ده؟، لا يجوز الحوار معه، إنه يقول على من يراجعه أنه رجعى. يا رجعيون يا أولاد الكلب مفيش رجعى غيره. وتسليمة «مرة»! مهتوكة هلفوتة وكتابها سافل وابن كلب».

أليست هذه بذاءة تفوق الوصف؟ حصوله على جائزة الدولة التقديرية كان يجب أن يلزمه، بالعفة والموضوعية وأدب الحوار، لماذا؟ لأن مصطفى محمود كان فى الأصل ملحداً وآمن، فكيف يطالب «مفكر» بمصادرة أفكار الآخرين؟ وكيف يستبيح لنفسه اقتباسها بلا إذن؟

كان فى التاريخ الإسلامى «ملاحدة» كثيرون، كتبوا الكتب ودبجوا الرسائل، فرد عليهم مفكرون إسلاميون جادلوهم وكشفوهم وسجلوا تهافت أقوالهم، فهل فعل هذا رجال الأزهر الذين أمروا السلطة بمصادرة كل كتاب يكشف زيف كتبهم الصفراء؟. كان يجب عليه أن يطالب بتنقية التراث من الجهل المؤسف الضار جداً بالرسالة وبالرسول وبنا. الأرصفة مغطاة بكتب الجنس والعهر والفجور والدروشة والشعوذة. كتب الجاهلية القديمة والحديثة لكن قوى الجهالة والظلمة تترك الكتب الآثمة وتتجمع لتصادر الكتب الهامة التى تكشف بوضوح عما فعلته الكتب الصفراء بعقول المفكرين. هذه الكتب قيمة. كتب نصر أبو زيد، والمستشار العشماوى، ورواية نجيب محفوظ «أولاد حارتنا» وكتب سيد القمنى «حروب دولة الرسول، الحزب الهاشمى وتأسيس الدولة الإسلامية، رب الزمان، النبى إبراهيم والتاريخ المجهول»

كتب عميقة المغزى وأسفلها جميعاً وأحطها آخر كتبه «الرأى الآخر»، لكنها الوجه الآخر للقمر،وكتاب الشيخ على عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم» وكتاب « فى الشعر الجاهلى» لعميد الأدب العربى طه حسين، وكتاب « من هنا نبدأ» للكاتب الإسلامى خالد محمد خالد» والكتاب الذى أصدرته أخيراً دار روز اليوسف وقامت الشرطة بمصادرته بناء على طلب الأزهر «التحليل النفسى للأنبياء» وكتاب «مسافة فى عقل رجل» للمدعو علاء. كل هذه كتب هامة جداً، ويجب ألا تصادر. ما هى أهمية مثل هذه الكتب؟ إنها تكشف عن مرحلة انعدام الصبر عند كبار مفكرينا، تكشف عن ظلمة القلب قبل أن ينيره الإيمان، أو عن مرحلة الشك الذى هو أول الطريق إلى اليقين، أو مرحلة «المراهقة الفكرية» التى يمر بها الكاتب حتى ينضج، أو عن غيظ المستشار من تسلط التتار الدينى وغفلته وسيطرته على الرعاع. الله يحفظ الدين ويعصم الرسول، ولا خوف علينا، مثل هذه الأراجيف تسلط أشعة تحت الحمراء تكشف عن المرجفين، خفافيش الظلم والظلام، وتكشف أيضاً، عن من وراء الشتامين الشامتين، الذين ينكرون الله ويسبون أنبياءه. إن لمثل هؤلاء بروتوكولاً دولياً خاصاً لرعايتهم وتمويلهم ونشر مؤلفاتهم. ولهم مكانة عند مسز تاتشر، ومكان على المكتب البيضاوى فى البيت الأبيض، ويحميهم حلف الأطلسى، خرجت وزيرة الخارجية السويدية مارجريتا أجلاس بنفسها إلى مطار ستوكهولم لكى تستقبل الطبيبة البنغالية تسليمة نسرين - التى أثارت الجماهير البنغالية المسلمة فأمر السلطان بمحاكمتها - لتسليمها جائزة إهانة الإسلام. هكذا يتصور المسلمون. والحقيقة أن موقف الغرب من الإسلام لم يعد مواجهة بين الصليب والهلال. لن تحدث أبداً حرب صليبية جديدة. لماذا؟؟ لأنه لم يعد للصليب وجود إلا فى ذهن الأميين والمسنين، خاصة فى البلاد المتخلفة حيث بلغ التبشير مداه. أما الجيل الجديد فى الغرب فلم يعد يصدق أن مريم «بتول». هكذا تم الاختراق الصهيونى للمسيحية. لم يعد يدافع عن الحقائق الخالدة: أن مريم «بتول» وأن المسيح كلمة الله، وأن اليهود أرادوا صلبه، وأن الصلب تم والمصلوب مات! والمسيح توفى وقام ورفع - إلا الإسلام والمسلمون. وأعذب السور هى سورة مريم، مجدها الله فى كتابه الذى أنزله الله على قلب محمد ﷺ وتعهد بحفظه. لذا يعد الغرب للمواجهة الجديدة، مع الله وليس مع الهلال. لأن الهلال هو الرمز الدينى الوحيد الباقى. تطلع إلى النجوم وتأمل، هل ترى نجمة داود؟ هل ترى كواكب متصالبة؟ ترقب الهلال... لن يختفى من السماء أبداً. أعلن الغرب الحرب على الله، على الأرض وفى الفضاء. سخروا منه فى كل وسائل الإعلام المرئية وفى الفضاء عبر الأقمار الصناعية. قد ينخدع البعض حين يعلن أحد المتكهنين، أن الله لم يلد ولم يولد، لأن من يقول هذا لا يعترف بوجود الله أصلاً. ورغم أنه لا كهنوتية فى الإسلام، إلا أن المتغطرسين من الفقهاء والعلماء يريدون السيطرة على عقل الأمة وتأميمه. مصادرة الفكر تكشف عن انعدام الوعى

والمسئولية عند فقهائنا المصادرة هروب وجبن واعتراف صريح بانعدام القدرة على الرد والمقاطعة أحد أشكال المصادرة. كيف يردون وقد أصبح عدم الاجتهاد قانوناً فقهياً غير شرعى، فرضوا علينا الخضوع له بالقوة الغاشمة، وإلا؟ بأمر من الفقهاء، تحكم المحاكم، وتنفذ الشرطة المصادرة والتفريق بين الزوجين. إباحة الدماء والتكفير، أمر غير مباشر بالقتل، ينفذه أى صعلوك ولا قصاص. أبو جهل وأبو لهب مازالا موجودين فى كل زمان وكل مكان، بين الكتاب وبين الأئمة.

لكن لولا الخمينى ما كان سلمان رشدى، ولولا ما فعله المسلمون بالهندوس ما كانت تسليمة نسرين، ولا كان كتابها «العار» ولولا جهل الفقهاء ما أصدر المرتزقة هذا السيل العارم من الكتب السامة، ولولا امتلاء التراث بالأساطير والأحاديث الضعيفة والإسرائيليات، لما صدرت تلك التفاهات التى تعبر، عن ضيق الأفق وانعدام الضمير، وعن الأفكار الخاطئة المريضة والقيم السلبية. كل هذه الكتب الهامة ليست إلا معاول لهدم الجهالة وتطهير التراث، ستسقط تلقائياً من على الرفوف إلى سلة مهملات «النفايات الفكرية» ثم تتسرب مع «الصرف الفكرى» إلى العدم. متى؟ بعد أن تكون قد أدت مهمتها النبيلة وهى إيقاظ علماء الأزهر من غفلتهم، ليحملوا الأمانة ويتخلصوا إلى غير رجعة من الكتب الصفراء بما تحويه من الأكاذيب والأوهام التى تدمر عقل العامة، حتى لا يقرأ الجيل الصاعد، هذه الخرافات فيهزأ بها وبنا.

أما عن ابن عباس، فأنا أعتقد تماماً أنه مظلوم. وأن ما يروى عنه غير ما رواه. هذه كلها إسرائيليات خبيثة. لكننا لابد أن نفترض أنه قال ما قيل، حتى يسحب الأزهر الكتب الصفراء التى تتحدث بلسانه، ليحمى عقول الأمة ويحافظ على كرامة المسلمين، لم يكتف هذا الراوى بما رواه، وأكد به أنه محكوم على أمة محمد ﷺ، بالعذاب دنيا وآخرة، بل أكد لأمته أيضاً، أنه يلحقهم العذاب، بين الدنيا والآخرة، فى القبر. لن يفر منه أحد حتى لو قطعته زوجته «حتت»، وألقت به للكلاب الضالة والقطط، أو إذا ابتلعه حوت، أو التقطته حواصل الطير، أو إذا اشتعلت فيه النيران وصار فحماً أو رماداً، فسيأتيه الملكان، «ناكر» و«نكير»، ويسألان قطعة اللحم أو كتلة الفحم أو ذرة الرماد، «من ربك وما دينك»؟ أو سيحييانه ويسلطان عليه الثعبان الأقرع ويذيقونه الويل والثبور. العذاب لا محالة هو مصير كل من خلقه الله، هذا مايقوله الفقهاء، ولهذا خلقهم. عذاب القبر هو عذاب النفس، يا أيها السادة الأفاضل، أساتذة التخويف والنكد.

ويستطرد فقهاء السلطة، وعاظ السلطان، مشايخ النفط: يجب أن نحتمل أيضاً عذاب الدنيا. والأدهى من ذلك أن فقهاء العصر الحديث يأمروننا بأنه يجب أن نطيع أولى الأمر، ولا نأبه لترف الحكام، واستبداد الملوك، وعبث السلاطين، وفساد الأمراء، وطغيان الأسر

الحاكمة، وفرعنة الرؤساء. لم يعتبر الفقهاء بفساد وطغيان من قال: «أنا ربكم الأعلى» الذى حكم مصر بثالوث بشع: ١ - الداهية السياسى هامان. ٢ - والرأسمالى المستغل قارون. ٣ - والكاهن المخادع.

وتجاهلوا أمراض الحكم المزمنة فى كل دول العالم الثالث، وغفلوا عن الحقيقة الغائبة: الماسونية العالمية تحكم العالم وتحارب الأديان منذ سنة ٣٢ ميلادية،وتعرف كيف تسقط أمة بدون طلقة واحدة، نصر بلا حرب، بأن تغزوها فكرياً وتحطمها جنسياً، بأدوات ومسميات حديثة متجددة، مثل المؤتمر العالمى للسكان، الذى اشترط فى إعلانه الأخير بنداً ظاهره برىء وباطنه فاجر داعر: تقديم تقرير عن نجاح الدولة فى تنفيذ المخطط، مع ربط النتيجة بسيطرة البنوك الدولية على اقتصاد الدول المتخلفة وإسقاط أو تجميد ديونها وتمويل الجمعيات النسائية غير الحكومية NGO وتعظيم دورها لترسيخ المساواة بين الذكر والأنثى فى العمل والميراث ومنع خفاض الأنثى وغداً ختان الذكر. ومحاربة الانتماء والقومية وتشجيع الرشوة والبرطلة، والتصفية الجسدية للمعارضين واغتيال الأبرياء والقمع الفكرى، وتوزيع الجنيهات الذهبية ثم السبائك على القيادات لتكميم أفواهها أو ضربها على القفا. القاعدون يمسكون بزمام السلطة والمتقاعدون يحتلون كل المراكز المدنية الحساسة ويسيطرون على وسائل الإنتاج ورأس المال. رؤساء الشركات القابضة والبنوك ينهبون أموال الدولة، بإهدارها سلبياً. مثل بيع القطاع العام ببعض ثمنه للمستثمرين لإخفاء المشترى الحقيقى الأجنبى. أو الصرف بلا ضمانات للمحاسيب والفئة المتصلة الحاكمة وتلويث موارد بيت المال بفرض الضرائب على أموال تجار المخدرات والقوادين والقوادات فى الأندية الليلية والصالات، وتجميعها لتصب فى نفس الوعاء الذى يتقاضى منه الفقهاء مرتباتهم والحوافز. فالقاعدة فى القانون المالى أو الضريبى هى أن تحصل الدولة على حقها فى صورة ضريبة من دخل الممول أياً كان مصدره حتى لو كان غير مشروع، كتجار المخدرات والمقامرين والقوادين والسكارى والعاهرات متجاهلين أن هذا يضفى نوعاً من المشروعية على هذه التجارة الخسيسة. والاستعانة بخبراء أمريكان لتعديل المناهج التربوية فى بلاد الخراف: لوضع السم فى الدسم، مثل: إلغاء الغزوات وجعل دراسة التاريخ اختيارية. وإلغاء التربية الدينية للنشء لتخريج جيل جديد ينتمى إلى وطنه ولايعرف ربه. بعض هذا يحدث فى كل دول العالم الثالث.

٤ - Decency Act قانون العيب:

بعض الدول التى تُصدر البرامج الهدامة الفاجرة إلى الدول التى تلهو بها حكوماتها، تهتم بمصير شعوبها فتوفر لها الحماية من شرور هذه البرامج. أصدر كلينتون هذا القانون رغم معارضة شديدة وكذلك فعل قادة الصين فأحاطوها بسور أخلاقى عظيم، وفعلوا مثل

ذلك فى ماليزيا. كيف؟: ١ - تنقية الإرسال الأجنبى من الدنس Filtration . ٢ - استبعاد المصادر القذرة كلية Exclusion . ٣ - تصنيف البرامج إلى أبيض وأسود ليتمكن المستقبل من حجب مايريد عن أهله. أما حكومتنا الرشيدة فلا تدرى شيئاً عن هذه التقنية المانعة الحافظة لشرف الأمة وعفة أبنائها.

ورغم الفساد المستشرى فى كيان الأمة وقياداتها

ولولا القيادة المصرية الواعية الرشيدة والقادرة لما استطاع «مبارك» العبور بمصر إلى القرن الواحد والعشرين بسلام.

الفرق بين الإمام السنى والإمام الشيعى أن الأول يقبض من الدولة والثانى له حق الثلث فى دخل كل فرد. السنى أرحم مادياً. الأول هو المتحدث الرسمى باسم الحكومة والثانى هو المتحدث الرسمى باسم الله. الشيعى ظاهرياً، أكثر منطقية. وبفضلهما معاً، ظهر الزبد على سطح المجتمع، الحوت، والمرأة الحديدية والشيخ المخادع الذى سجلت له المباحث فيلم فيديو بالصوت والصورة وهو يعلن: «الله والحكومة مع الريان» وهو ذات الطاغية الذى كفّر الدكتور نصر أبو زيد واستباح دمه. ورؤساء الأحياء - وقد ضبط أحدهم عارياً فى شقة مواطنة ذكية استدرجته.. والطفل المعجزة أشرف مروان زوج ابنة الزعيم الراحل. والمحجوب شقيق سيد قراره. والحباك سمسار الصهاينة. أما عمولات تجار السلاح فمحظور تماماً فتح هذا الباب أو حتى طرقه، تجنباً للعواقب الوخيمة. كل هذا الفساد لا علاقة لمشيخة الأزهر به، لا تهتم به ولا تتدخل فيه، بل وتحميه أحياناً، ولازالت حكاية الأرمنية مع الحكومة السابقة شاهداً أكيداً على كيفية استدراج الفقيه لحماية السلطة.

لماذا أيها الناس؟ إن مثل هذا الفقيه عميل للحزب الحاكم، ولأى سلطة غاشمة، لا يدعو أبداً إلا لما تأمر به حكومته، ويحقق هواها باسم الدين، ويحقق أحلامه الدنيوية، الفقيه اليوم يهرول إلى أم القرى، ليبنى بيتاً ويركب سيارة ويستمتع بكل متع الدنيا الزائلة، ولا يجرؤ أن يعلن رأياً يخالف مذهب أسياده. إنه أخطر على الدين من أعدائه، وعلى الرسول من الكفار، إنه أصلح العملاء للقضاء على الإسلام بيد بنيه، إنه لا يفرق بين العبادة والخضوع: العبادة هى طاعة العقل. (الشرع فى العقل). الخضوع هو طاعة القلب. (الفقه فى القلب). هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون؟

كيف يكون أن اسمى محمداً، وأنكر الإسراء والمعراج وعذاب القبر؟ الواقع أن الإسراء والمعراج حقيقتان مؤكدتان. وعذاب القبر أيضاً حقيقة، القبر هو المكان الذى تحل فيه نفسك، أينما وكيفما كان جسدك. انظر إلى الحشائش فى المراعى والبرسيم فى الحقول، هذا العشب الأخضر كان أنت وأصبح أنت، أكلته البقرة فسقاك ربك من ضرعها، من بين فرث ودم، لبناً

طهوراً، صنعت منه، الجبن والزبد، والقشدة، ثم أكلت البقرة: لتجدد جسدك بلحمها، وكذلك يتحلل كل ما تأكله، لقمة الفول، قرص الطعمية، ورك الفرخة، ملعقة الأرز، طبق السلطة كل هذا يسرى من أمعائك إلى دمك. فيدفعه إلى أجهزة الاستقلاب التى تحول البتلو، والضانى، والكندوز وكل ما تأكله إلى لحمك الحى، إلى خلايا تحمل بصماتك أنت وحدك، كل خلاياك تتجدد إلا خلايا مخك، فإن عددها لا يزيد منذ ولدت إلى أن تموت، ومع ذلك فإن مخك يتطور من مخ طفل إلى مخ ناضج، بتحسين وتطوير فقط، شبكة المواصلات السلكية واللاسلكية التى تصل بين الخلايا تتطور. وعندما يصيبك الكبر وتصل إلى أرذل العمر، تشيخ الخلايا العصبية. وحين تموت يتحلل كل ما فيك، الذى أتى كله من الأرض فيعود إلى الأرض. جسدك يبلى بعد أن يتعفن ويأكله الدوّد، ثم يستحيل إلى أشياء أخرى فى أماكن أخرى، أما نفسك فتبقى بعد وفاتك، خلقت قبلك قبل أن تحل فيك. وأنت الذى تحدد موقعها بعد وفاتك، عند ربها راضية مرضية، أو فى البرزخ فى انتظار حائر، أو فى القبر تشهد أقسى وأقصى العذاب، وهل هناك أفدح من أن ترى جسدها الذى كانت ترتديه وتختال به وفيه، بالياً عفناً؟ ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (ق: ٢٢)، النفس واقع لا يجب أن ننكره، ولا محالة واقع. ولكن لكى تفهم كل هذه الأمور الغيبية وتؤمن بها عن علم، يجب أن تفهم أولاً الفرق بين النفس والروح، يجب أن تعيد قراءة الآية ٤٢ من سورة الزمر، وتبصر ما لم يبصره كل من فسروها، مع الأسف الشديد.

ملك اليمين والرق والاسترقاق:

والآن لكى نفهم معنى كلمة «ملك اليمين» وعلاقتها بالاسترقاق. يجب أن نعود إلى موضوع الرق وكيف قضى الإسلام عليه. وكيف أنقذ محمد ﷺ الجوارى والعبيد، وقصر العبودية على الله وحده. «محمد عبدالله»، هذا هو اسم النبى الكريم، هو عبدالله، فلا يجوز أبداً أن تكون أنت عبدالنبى أو عبدالملك أو عبد أى شيطان. ومن بعده قال خليفته الفاروق «عمر» لواليه على مصر «عمرو بن العاص»: لم تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ لأن ابن الوالى ضرب قبطياً، فشجعه عمر على أن يقتص من ابن الأكرمين. هكذا كان السلف الصالح. ليس مهماً ماذا كان يلبس ولا كيف كان يأكل، المهم هو كيف كان يتعامل ويتعالى. ثم لما تفجرت الأرض العربية بترولاً، عادت المسخرة والسخرة والعبودية، كل ما فى الأمر، أن العبيد السود أصبحوا «صفراً وقمحاويين»، أما الجوارى فقد أصبحن «شقراوات وبيضاً»، البلاد العربية أحيت النظام الذى قضى عليه رسولنا الكريم، وغيرت اسمه إلى نظام الكفيل. الكفالة مثل الاسترقاق، نوع من العبودية. كان من المفروض ومن المتوقع أن تكون العلاقة بين «أم الدنيا» و«أم القرى» ذات وضع خاص. لكن ما يحدث فعلاً ليس إلا استرقاقاً. الهجرة المرتبطة بالهجر: استقدام الرجال دون زوجاتهم وأولادهم تدمير للأسرة المصرية،

وهدم للزوجية، وإهدار البنوة نوع من العبودية. استبعاد النساء المتزوجات، واستعباد الرجال واللواط.. أنواع من العبودية. استيراد النساء، من روسيا البيضاء، وأوروبا الشرقية، وأمريكا الجنوبية، وشرق آسيا، والفجور بهن، وممارسة كل أنواع العلاقات المحرمة معهن، نوع من العبودية. هاتيك النساء، لسن «أسيرات حرب» ولا «سبايا غزوات»، بل «أسيرات سلم» و«ضحايا الانحلال والإلحاد والفقر والحاجة». ضحايا «البترودولار». السيد العربى، يمارس معهن كافة أشكال العلاقات المحرمة، يتلذذ بتعذيب أمته، وإذلال جاريته، فيهدر كرامة أمة الإسلام.

«عبد الكافى» أصبح «عبد الكفيل»

الرق لا زال موجوداً. قصور الملوك والأمراء من المشرق العربى إلى المغرب ملآنة بالجوارى سراً، أما فى العلن فكل ما فى الأمر أن الاسم تغير، ولون العبد تغير، وكذلك جنس السيد، وشكل غطاء رأسه. كل ما فى الأمر أن حافى القدمين أصبح يلبس غطفة أو عقالا، ولابس الطربوش خلعه وأصبح حاسر الرأس! فتبخرت كرامته مع عقله، بفضل القومية العربية وأحلام الزعيم الخالد، الذى باع الجثث الصفراء التى كانت ترقد فى البنك المركزى «غطاء» لنقدنا. الجنيه المصرى كان أغلى من الجنيه الإنجليزى ومن الجنيه الذهب. الجنيه المصرى كان بعشرة ريالات. فما قيمة الإنسان المصرى الآن؟ هل تعملق الريال أم تقزم الجنيه؟ الزمن لا يطول ولا يقصر. اليوم دائماً ٢٤ ساعة. الذى يتغير هو الإنسان. من لا يحترم نفسه ولا تحترمه حكومته، يباع عبداً فى سوق النخاسة. المرجع دائماً، هو قيمة الإنسان فى نظر من اختارهم لحكمه، وولاهم أمره، أو فرضوا أنفسهم عليه قسراً وقهراً واغتصبوا السلطة ليغتصبوا حقوقه ولا مانع أن يغتصبوه هو أيضاً، أو يتركوا هذه المهمة القذرة للمستوزرين، فيصدروه ذليلاً إلى حيث يتدفق المال بلا تعب، ويسيطر الفقه «المفصل» بالضبط على مقاس السادة الجدد، والقانون الذى يحمى النظار ويعاقب ويجلد علناً من يتجرأ على الشكوى، شوف الفجر؟

الفقه الملكى:

تُصدر مصر فلاحيها الأشداء لتخضير «الصحراء العربية» فأدت هجرتهم إلى تصحر «وادى النيل»، لأن حكومتنا الرشيدة تولول من تزايد عدد السكان، وتتصور أن الحل الوحيد هو تحديد النسل والحد من التكاثر باستخدام الوسائل غير الشرعية. الفكرة ضالة والأسلوب ليس إلا اعترافاً بانتصار الفاجر على العاجز. هنا يتفجر الذكاء العربى، فتنفيذاً لأوامر سيادية ملكية سامية تهدف إلى تعمير السعودية بالكوافل تمهيداً لطرد المكفولين، يروج فقيه البلاد العالم العلامة المتشدد المتمسك بأحكام الله والمطبق بقسوة لحدوده «كما فهمها هو» فيقول:

زوجة واحدة لا تكفى، الأصل هو التعدد. فى الغالب لن تشعر الزوجة السعودية الأولى بأى حرج لأن الدولة تحميها وتضمن لها رزقها ورزق عيالها وتمول التعدد لتحقيق الهدف السامى. فإذا كانت مصر للمصريين فالجزيرة العربية بنجدها وحجازها للسعوديين. لا شك أن سياسة المشرق العربى حققت له هذا النمو الاقتصادى والتجارى الضخم، ولا شك أنهم فى الكويت رواد العلم والمعرفة والمترجمات العالمية الحديثة والمتطورة. لكن ليس هناك أبداً ما يبرر أن نلتزم بمذهبهم الدينى، سواء الوهابى أو مذهب ابن تيمية.

فقه الحياة:

الفقيه البسيط، كالشعراوى والطنطاوى، مثلاً، عف اللسان قوى الحجة يخاطبك من داخلك، حديثه كأنه «حديث النفس» يشجيك ويبكيك ويرضيك. تستمع إليه بإجلال وتعذره إذا أخطأ. هو الإنسان الذى وهب نفسه لله ولإرشاد عباده عنده إلمام بفقه الحياة، أى مثقف بثقافة عصره، عالم بأحوال الناس، واقف على كل ما يجرى حوله، قارىء للعلوم المبسطة السياسية والاقتصادية والطبية، ملم بما تذيعه وتنشره وسائل الإعلام المختلفة، متكلم بأكثر من لغة حية أو مستعين بمترجماتها، يهدى ولا يهدد، يعد ولا يتوعد. أما فقهاء السلطة، المتغطرسون الذين يخاطبوننا من علٍ، فلن يكونوا أبداً من السلف الصالح وسيفرح كل عاقل يوم يختفون عن الساحة، ويشمت. أما الفقهاء الذين فرض علينا أن نسمعهم بالإكراه يوم الجمعة فالذنب ليس ذنبهم. الذنب ذنب وزارة الأوقاف. يريد بعض الفقهاء من «خطباء الجمعة» أن يؤكدوا الإشاعة الفاسدة أن فى هذا اليوم «ساعة نحس». فيعلنوا الحرب باسم الله على الآخرين وعلى المصلين بتهديدهم بنار جهنم وبئس المصير وعذاب القبر وأهوال يوم القيامة، والحل الوحيد لمن يريد الهروب من هذا المصير هو: وجوب طاعة أولى الأمر والحذر من التفكير.

الفصل الثانى

الزواج مشكلة !!

رأى الإسلام فى مشكلة الزواج ومايترتب عليه

الحلول: الحل الأفضل عندما لا يكون هناك حل آخر. الحلول المحتملة فى غياب الشريعة

تعال معى نناقش بهدوء الشعار المعروف «الإسلام هو الحل» ثم تعال نبحث عن مشكلة اقتصادية أو اجتماعية أثبت الإسلام بحلها، أنه هو الحل قولاً وفعلاً. أبسط مشكلة حياتية يعيشها كل الناس هى الزواج، الذى إذا فشل كان الطلاق ضرورة.

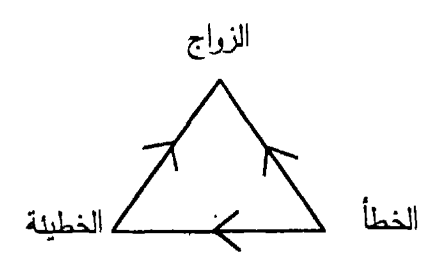
وبدايةً، أعتقد أن الشعارات الأنسب هى «الدين هو الحل». «دين بلا مذاهب». أو «الإيمان هو الحل». فكل الموحدين مؤمنون، حتى لا نستفز اليهود والنصارى ولنشجعهم على أن يساهموا معنا فى البحث عن جدوى هذا الشعار، الذى سيقدم لنا، الحل الأمثل. أعترف أن الإسلام هو الذى حرر المرأة، وأن المسلمين هم الذين أسروها واستعبدوها، وضحكوا عليها قروناً طويلة. أنشدوا أرق أشعار الغزل فى الفتاة الحبيبة، العاشقة، البكر، اللعوب والرشيدة. فإذا تمكنوا منها وخدعوها وتزوجوها، فأسروها وقيدوها أمةً، لايفك أسرها إلا زوجها إذا أراد. ثم يدعون ظلماً أن هذا هو « رأى الدين».

وقاية النفس البشرية والنكاح:

العلاقة بين الأنثى والذكر علاقة خطية بدايتها احتمال الخطأ ونهايتها الوقوع فى الخطيئة.

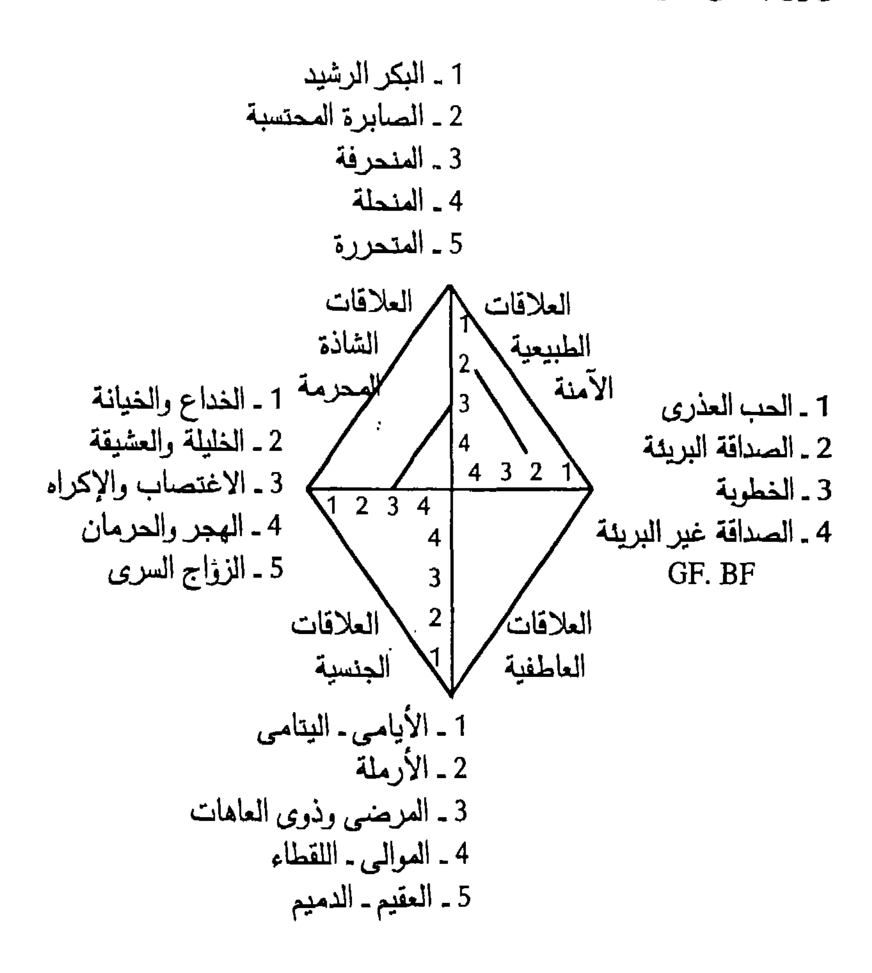
خطأ ----< ---- خطيئة

كان الحل الشرعى هو الزواج، وبذلك تم تحديد هذه العلاقة الخطية بمثلث أركانه الخطأ والخطيئة والزواج.



لكن الزواج هو الحل المستحيل.. أحياناً!!

والآن نبحث عن جميع العلاقات الممكنة بين ذكر وأنثى، رجل وامرأة، شاب وفتاة. العلاقات الشرعية والعلاقات غير الشرعية. العلاقات العاطفية والعلاقات الجنسية. طرفا أى علاقة هما الخطأ والخطيئة. كان من الطبيعى وبالفطرة، أن يحدد المجتمع هذه العلاقة. لا يمكن تحديد خط مستقيم بالحلول الدائرية. الحلول الدائرية - حلول الخط المنحنى - تقلل المساحة الحلال الشرعية الممكنة. أما حلول الخط المستقيم التى تنشىء أشكالاً هندسية فتستبعد كل صور الحرام من منطقة العلاقات المقدسة. أقل الأشكال الهندسية حدوداً هو المثلث. أى أن الحل الوحيد للبعد عن الخطأ وعدم الوقوع فى الخطيئة هو الزواج. وللزواج طرق تؤدى إليه، واختيار الطريق يتوقف على نوع ومدى العلاقات القائمة بين الرجل وأنواع النساء. لمن توجه قذائفك الشرعية؟ ٥٠٠ مليون طفل محتمل فى كل قذفة، ماذا سيحدث لو أخطأت؟ من سترتوى بأقدس السوائل، أطهر النساء أو أحطهن؟



أنواع النساء:

الملتزمة: الرقيب عليها هو الله وضميرها.

المتحررة: الرقيب هو الأسرة.

المنحرفة: لا رقيب نسبته أو لا تعرفه.

المنحلة: لا رقيب، تعرفه ولا تعترف به.

المحترفة: لا رقيب، تعرفه وتتحداه، وهذه النوعية تستضيفها كثيراً وسائل الإعلام. هن السلعة الرديئة التى تروج لها القنوات الفضائية العربية والغربية. هن المثل الأعلى والنموذج المرموق للمراهقات المسلمات والمؤمنات.

وهناك أنواع أخرى من النساء، ظروفهن لا تسمح لهن إلا بتمنى ارتباط شرعى بالرجل المناسب لهن، الذى يقبلهن، ويتمنين أن يكن ضرائر. مثل المطلقة، الأرمل، المريضة، ذات العاهة ،الصماء، العمياء، الخرساء، العرجاء، العقيمة، واليتامى والأيامى. فممن تتزوج؟ وأى النساء تختار؟. إذا كنت كامل الأهلية، شاباً قوياً راغباً، قادراً مادياً ومعنوياً، فلن تقبل إلا بواحدة من الصنف الأول تتمناك كل الأخريات، وقد زادك غروراً أن الفقهاء قد صوروا لك أن التعدد من حقك، مثنى وثلاث ورباع، وتجاهلوا حكمته. فرحوا بالكم وتجاهلوا الكيف.

أنواع العلاقات العاطفية:

كيف يتطور الخطأ عند من يعملون السوء بجهالة؟ المجتمع الحالى أصبح يتيح فرصة الانفراد للجنسين، فتنشأ بينهما العلاقات العاطفية غير الهادفة إلا لتحقيق الإشباع الجنسى. تخرج الفتاة عفيفة من بيت أبويها - ما كان أبوها امرأ سوء ولا كانت أمها بغياً - فتلتحق بالمدارس أو الدراسات الحرة، لتأتى شيئاً فرياً، فتفقد حياءها أو عذريتها، وقد تتزوج عرفياً، وتحمل وتجهض إذا لم تحتط بوسائل منع الحمل الشيطانية، ثم تستغيث بالطبيب، فيتم رتق الفتق، وتزف إلى المستغفل. الزمالة لها مكانها وزمانها، داخل جدران المدرج أو حوش المدرسة، أو فى المكتب. الأبواب يجب أن تكون مفتوحة، وللصداقة مفردات لا تخرج عنها ولا تدخل فيها أبداً الخصوصيات والمجاملات ولا الثرثرة والكلام الفارغ أو الجارح أو التصرفات غير اللائقة. الصداقة غير معترف بها فى الأوساط المحافظة، لأنها فى نظرهم كمن يعطى رغيفاً من الخبز لشخص جائع أو محروم. وقد تلتقى القلوب على حب عذرى، صداقة بريئة، ارتباط شفهى سرى يتفق على التكتم عليه حتى تتغير الأحوال وتأذن الظروف، فتتم خطوبة علنية - وتحيط دبلة الخطوبة بالإصبع، قبل الكتاب الشرعى.

الحب والحبوب Girlfriend - Boyfriend

ثم ننتقل الآن من السوء إلى السيئات، بقبول وضع تعارف عليه المجتمع الغربى

والعربى المتحضر! المحتضر! الصداقة غير البريئة، حيث يبدأ التحول إلى والتجول فى منطقة العلاقات الجنسية. الدخول فى المنطقة الحرام لاكتساب الخبرة ولكى تنجح التجارب، لابد من استعمال وسائل منع الحمل لمنع التبويض هرمونياً بالحبوب أو منع الحيوان المنوى ميكانيكياً. بالحاجز الذكرى أو باللولب النحاسى أو بالقذف الخارجى ليمكن ممارسة كل العلاقات والأفعال الممكنة تحت مظلة واقية. لكن الحرص لا يمنع الفضيحة. وفى كثير من الأحيان، حين يحدث الميل العظيم رغم كل وسائل منع الحمل، يتم اختراق حاجز العفة وتخطى الحدود بين الفضيلة والخطيئة، وتتطور التجربة، بعد أن تشتعل النار بالإثارة المستمرة، إلى الإكراه فالاغتصاب ثم الزنى فالاحتراف. إذا لم يكن الزواج ممكناً لسبب أو لآخر.

العذرية:

الرجل فى المجتمع الغربى يُفضل الارتباط بفتاة سبق لها الزواج أو ذات تجربة. بينما فى مصر يفضل الرجل الزواج من بكر أو عذراء يدفع لها أغلى مهر. كما يحتفل بالمرأة احتفالاً خاصاً بعد الولادة ينتهى عادة «بالسبوع». والعكس يحدث لدى بعض قبائل افريقيا إذ تحتفل بنجاح الرجل فى الإنجاب لمدة ٤٠ يوماً. فى البلاد الإسلامية وفى الهند يحبذ الرجال أن يتزوجوا النساء العذراوات، والعذرية عندهم، أمر هام جداً، انعدام العفة مرفوض. وفى بلدان أخرى يفضل الرجال الحالة المعاكسة تماماً، لا يعترفون بالعفة ولا يقدرونها. لأن قدرة المرأة على الإنجاب أمر مهم وحاسم، بحيث أن معظم العرائس المفضلات هن اللاتى يحبلن أو اللاتى أنجبن أطفالاً قبل الزواج، من رجل غير الزوج.

الزواج عند العرب:

لن نناقش فى هذا الكتاب الزواج فى العالم، ولا الزواج العبرى والمسيحى والاشتراكى والسياسى وزواج المصلحة، ولا تحديث الأسرة والزواج العصرى، بل سنقصر كلامنا على الزواج عند العرب فى الجاهلية والإسلام، ومنه سيتضح أن الفساد المستشرى حالياً فى الشرق والغرب ليس إلا عودة إلى الجاهلية.

أنواع الأنكحة فى الجاهلية:

ليس هناك فرق بين النكاح والزواج. كلاهما يعبر عن علاقة شرعية محللة لذلك أدهشنى ما جاء منسوباً إلى السيدة عائشة عن أنواع من أنكحة لا تعتبر فى نظر الشرع إلا علاقات محرمة.

«أفضل من يعرفنا بهذه الأنكحة السيدة عائشة زوج الرسول، فقد حدث البخارى عنها قولها كان النكاح فى الجاهلية على أربعة أوجه:

١ ـ فنكاح منها، كنكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها.

٢ ـ ونكاح آخر: الاستبضاع: كان الرجل يقول لامرأته، إذا طهرت من طمثها أرسلك إلى فلان فاستبضعي منه، ثم يعتزلها زوجها حتى يبين حملها، فإذا تبين أصابها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك طمعاً فى إنجابه الولد، ويسمى هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

وشبه الاستبضاع ما يحدث اليوم وتجريه فى الغالب النساء لعقم أزواجهن (التلقيح الاصطناعى inesmination artficielle)، فتحقن المرأة بماء رجل تختار أوصافه. وقد شاع أخيراً فى أوروبا وأمريكا هذا النوع من الاستبضاع بين النساء المتزوجات، يجرى بمعرفة أزواجهن، وأصبح له مؤسسات تجمع النطف لرجال يتمتعون بصفات متميزة. تعرض على المرأة النماذج وتختار، فإذا حملت ينسب الولد الحاصل إلى زوجها. ومثل ذلك أطفال الأنابيب، واستئجار الأرحام.

٣ ـ ونكاح آخر: المخادنة: كان عرب الجاهلية يشتركون فى المال وفى المرأة، فلهم زوجة واحدة فإذا أراد أحدهم الاتصال بها وضع عصاه على باب الخيمة لتكون علامة على أن أحدهم بداخلها، أما فى الليل فتكون من نصيب الأخ الأكبر أو يجتمع الرهط (ما دون العشرة) فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر عليها عدة ليال، أرسلت إليهم، فلا يستطيع الرجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم ما كان من أمركم، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، وتسمى من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع عنه الرجل.

٤ ـ ونكاح رابع: البغاء: يجتمع ناس كثيرون فيدخلون على المرأة، لا تمتنع ممن جاء، وهن البغايا، ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن، دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت جمعوا القافة: (جمع قائف) وهو الذى يعلم بالفراسة ـ ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون فالتاط به ـ أى التصق ـ ودعى ابنه، لا يمتنع من ذلك. فلما بعث محمد ﷺ هدم نكاح الجاهلية إلا نكاح اليوم». رواه البخارى وأبو داود: التاج ٢ـ ٣٦٨ ـ ٣٦٩.

أنواع البغاء الأخرى فى الجاهلية الغربية

كتاب «اسم الوردة» لأمبرتو إيكو: اقرأ فيه: كان البابا كليمنت الخامس من أصل فرنسى، قد حول مقر الرسولية إلى فرنسا، تاركاً روما، مدينة المسيحية المقدسة، فتحولت إلى ماخور بعد أن تملص الكهنة من السلطة المدنية، وأخذوا يقودون المتمردين، ويعيشون على النهب، شاهرين السيوف، وأخلوا بواجباتهم الدينية، ومارسوا كل ما هو دنىء. البغاء الدينى: نوعان: النوع الأول كانت تمارسه العذراء مرة واحدة مع رجل غريب إرضاء لآلهة الإناث. والنوع

الآخر، كانت تمارسه النساء مع كهان المعبد وزواره، ويتحول المعبد إلى ماخور، إرضاء لآلهة ذكور. وهناك ٦ أنواع أخرى لنكاح الجاهلية.

٥ ـ المضامدة: الحب الحر amour libre: معاشرة المرأة لغير زوجها، كانت تلجأ إليه نساء الجماعات الفقيرة فى زمن القحط. الجوع هو الدافع إليه. وتعرف المضامدة باسم: الحب خارج نطاق الزواج. الزواج شيء متميز عن إشباع الغريزة. والحب تغله وتخمده الاعتبارات الاقتصادية والأخلاقية.

٦ ـ نكاح الضيزن أو وراثة النكاح: كان الرجل فى الجاهلية إذا مات وترك زوجة وكان له أولاد من غيرها، ورث نكاحها أكبر أولاده من جملة ما يرث من مال أبيه، فإذا أعرض عنها وزهد فيها، انتقل حقه إلى الذى يليه من إخوته.

٧ ـ نكاح الشغار: هو أن يزوج الرجل ابنته أو أخته، على أن يزوجه الآخر ابنته أو أخته، ليس بينهما مهر. وإلى زمن قريب كان هذا النوع من النكاح ـ على الرغم من تحريمه ـ مألوفاً فى أرياف بعض البلاد العربية، وتقضى العادة أنه إذا طلق الرجل زوجته فعلى الآخر أن يطلق زوجته أيضاً.

٨ ـ نكاح البدل أو تبادل الزوجات: الرجال فى الجاهلية وفى جزر هاواى وعند زنوج أنجولا، لا يصبر الرجل على طعام واحد. وهذا أمر مألوف فى الإسكيمو.

٩ ـ نكاح المسبيات أو المخطوفات. الصليب الأحمر الآن هو الذى يحافظ على حقوق المقاتلين وضحايا النزاعات المسلحة.

١٠ ـ الزنى: هو وطء الرجل امرأة تحل أو لا تحل له بقصد الاستمتاع بلا عقد، ويسمى سفاحاً، لأنه بمنزلة الماء المسفوح بلا حرمة. الزنى اعتداء على الشرف، وعند عقائد أخرى، اعتداء على الملكية.

ما هو تعريف الزنى؟ ولماذا لا يثبت إلا بأربعة شهود ينظرون دخول المرود فى المكحلة من أربعة اتجاهات. جغرافية الزنى، وضرورة رصده من الجهات الأصلية الأربعة؟ فإذا شاهد الرابع ولم يشهد جلد كل الشهود لشهادة الزور وبرئت الزانية. هل معنى ذلك أن التفريج حلال وغير مؤثم؟ ألا تزنى العين؟ ألا يزنى كل الرجال والشباب البالغ، أثناء استمتاعهم بالرقص الشرقى وبممثلاتنا العرايا: فيفى ولوسى وإلهام ولبلبة، فى كل القنوات الفضائية الإسلامية؟

تعدد الأزواج: النساء المردفات:

أهمية هذه القضية هو عدم الحط من قدر المرأة المطلقة وعندها أولاد، أو الأرملة، أو المطلقة قبل الزواج، لمحاربة العنوسة ولإنقاذ الأرامل واليتامى

ولمنع الخطيئة. وقد عالج فيلم What a way To die! الأمريكى هذه المشكلة مما ينبه إلى أنها مشكلة دولية.

قد تتزوج المرأة عدة أزواج، واحداً بعد الآخر، فتسمى المردفة. وفى الجاهلية كانت المرأة لا تتحرج من الإرداف إذا طلقت أو مات عنها زوجها ما دامت تجد من يرغب فيها. وكانت المردفة تشترط على من يتزوجها أن يجعل لها حق تطليق نفسها منه. فكانت إذا ملت الزوج طلقت نفسها منه وتزوجت بآخر. واستمرت هذه العادة بعد الإسلام، كانت أكثر المردفات من الأشراف. أكثر المردفات اليوم من الراقصات والفنانات والمتسلطات والغانيات والمحترفات.

أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضى الله عنه: تزوجها ابن عمر بن الخطاب فقتل عنها، فتزوجها ابن عمها عوم بن جعفر بن أبى طالب فمات عنها فتزوجها أخوه محمد فمات عنها. فخلف عليها أخوه عبدالملك بن جعفر. ومنهن:

سكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب: تزوجها عبدالله بن الحسن بن على فمات عنها فخلف عليها مصعب بن الزبير فقتل عنها فخطبها عبدالملك بن مروان فأبته فتزوجها عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم ثم الأصبع بن عبدالعزيز بن مروان ثم زيد بن عمرو ابن عثمان بن عفان ثم إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف فلم ترضه، ومنهن:

ميمونة بنت عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق، تزوجها عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك فمات عنها فتزوجها محمد بن الوليد ثم تزوجها سليمان بن عبدالملك ثم تزوجها هشام بن عبدالملك.

العباسة بنت المهدى وأخت هارون الرشيد، تزوجها محمد بن سليمان بن على العباسى فمات عنها فتزوجها إبراهيم بن صالح بن المنصور العباسى فمات عنها فتزوجها محمد بن على بن داود بن على العباسى ثم أراد أن يخطبها عيسى بن جعفر العباسى فقال أبو نواس:

ألا قل لأمين الإله وابن السادة الساسة
إذا ما ناكث سرك أن تفقده راسه
فلا تقتله بالسيف وزوجه بعباسة.

فلما بلغ عيسى ما قاله أبو نواس أعرض عنها، وتحامى الرجال عن تزوجها إلى أن ماتت.

كان العرب لا يرون بأساً أن تنتقل المرأة إلى عدة أزواج ما دام الرجال يريدونها، وهم اليوم يكرهون ذلك ويستسمجونه ويعافون المرأة الحرة إذا كانت قد نكحت زوجاً واحداً، ويلزمون من خطبها العار، ويلحقون به اللوم، ويعيّرونه بذلك، ويتحظون الأمة وقد تداولها عدد لا يحصى من الرجال والموالى. فمن حسن هذا فى الإماء، وقبحه فى الحرائر.

الفاجر والعاجز:

نحن نعيش فى عالم يضع قيوده على نموه العددى (الكم) لأن الحكام يخططون لصالح الفئة القادرة ويرون أن الأطفال عبء على المجتمع، وأن الجنين إذا لم يمكن إجهاضه، والمولود الذى يستحيل وأده أو التخلص منه بالكامل أو بالقطعة، ليس إلا فماً يلتهم، ومقعداً فى مدرسة، ومكاناً فى سيارة، وسريراً فى مستشفى، ومكتباً فى إدارة وشقة فى عمارة أو لصاً فى مغارة. صدر أخيرا بالولايات المتحدة كتاب بعنوان «مستقبلنا المسروق» يكشف عن انحطاط قدرة الإنسان الإنجابية، أثار هذا الكتاب قلق «آل جور» نائب الرئيس الأمريكى، وقارن ماجاء فى هذا الكتاب الخطير بما ذكر قبلاً فى الكتاب الكلاسيكى «الربيع الصامت» لراشيل كارسون «فقدت النسور والطيور الرغبة فى التزاوج، وصغر حجم قضيب التمساح، وقلّ فقس البيض، وأصبحت أنثى النورس تميل للعيش مع الإناث لا مع الذكور، وأصبح الرجال أقلّ قدرةً على استعادة هدوئهم بعد التعرض للإثارة (جرائم الجنس، المشاكل السلوكية والإنجابية، عدم قدرة الأجنة على التطور، السقط، نقص القدرة المعرفية للأطفال، تدهور عدد الحيوانات المنوية للرجل، زيادة نسبة الحيوانات المنوية المشوهة) . وحذر شعبه من عواقب تحديد النسل. لكن الحكومة المصرية لم تشاركه اهتمامه، مع أنها إحدى دول العالم الثالث التى تفتقر إلى آليات الرقابة والاختبار والحماية، من السموم التى تلوث البيئة، مثل المبيدات الحشرية والمطهرات والأسمدة والمواد الحافظة التى تتسرب من العبوات البلاستيكية إلى الأغذية المحفوظة ومياه الشرب والمرطبات. كل هذه المواد السامة تعمل كمشوشات هورمونية، فتلتقطها المستقبلات الموجودة على سطح الخلايا، تعشّق فيها، وترتبط بها بدلا من المفاتيح الأصلية، الهورمونات الطبيعية، فيختلط الأمر على الخلايا ويؤدى ذلك إلى تحفيز عمليات حيوية غير مستهدفة ولا سليمة وتوقُفْ عمليات حيوية كان من الواجب ومن المفروض أن تتم، فيختل النظام، وينهار الهدف. ورغم الجهل والتجاهل فقد استمرت حكومتنا بفضل المعونة الأمريكية بتحريضٍ من الغرب، فى تنفيذ مخطط تحديد نسل المصريين بصفتهم ممثلى العالم الثالث، الذى يتحتم تقليص عدده، لصالح الاحتكار والاكتفاء الذاتى للشعوب المتقدمة، المسيطرة على إنتاج المملكة النباتية والحيوانية وكل الخيرات الخام المستخرجة من أراضى الشعوب النامية.

واستمرت «ماما كريمة» تروّج لسياسة «ماما أمريكا» بل وتحرض الفتيات والسيدات على استخدام وسائل منع الحمل التى ليست إلا انتصاراً للفاجر على العاجز. فلولا الحقن والحبوب واللوالب والعوازل، لامتلأت الشوارع بأطفال بلا مأوى ولا أهل، ولأصبحوا سلعة تشتريهم وكالات بيع الأطفال بالجملة وتصدرهم وتبيعهم بالقطاعى، أجزاء لاقيمة لها عند أصحابها تزرع فى أجساد بيضاء محتاجة، أو لحصدتهم الحروب فى البوسنة والشيشان وكوسوفا ودفنتهم فى المقابر الجماعية. ولخرجت البغايا عرايا، ولاغتصبتْ أشرف الفتيات اغتصابا

جماعيا. أمريكا هى راعية مؤتمرات السكان التى تهدف إلى هدم الأسرة وإلى شرعيّة اللواط وشرعيّة السحاق وشرعية زواج الرجال بالرجال والنساء بالنساء وحماية العذارى اللاتى يحبلن بلا زواج، وإجهاضهن متى شئن.

رأى محمد ﷺ والمسيح عليه السلام فى تحديد النسل:

نسى الحكام الذين فشلوا فى علاج البطالة والفقر والجهل والمرض أن الطفل، عقل يُفكر ويبدع، يد تزرع وتعمل وتنتج، ويد أخرى تقلع وتحصد وتصنع. التطور هو تحسين الكيف، ومادة التطور هو الكم. من الأعداد الوفيرة سيبزغ عقل لا يزل، ويد لاتكل، يعثر على الحل الذى فشل فى تصوره أسلافه، وسيصبح شعار محمد ﷺ «تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم» هو الحكمة، والمبرر القوى لحتميّة التكاثر، وضرورته.

يقول القس إبراهيم عبدالسيد: إن الزواج نظام إلهى وسر من أسرار الكنيسة السبعة الغرض منه نمو البشرية والإكثار من النسل وملء الأرض.

ما هى أسرار الكنيسة السبعة؟

١ ـ سر الاعتراف، التوبة. ٢ ـ سر الزواج لا تعترف الكنيسة بالطلاق حتى لو حكمت به المحكمة. ٣ ـ سر الكهنوت. ٤ ـ سر المعمودية. ٥ ـ سر الإفخاستيا. (التناول) الخبز والخمر رمزان للحم المسيح عليه السلام ودمه. ٦ ـ سر مسحة المرض. دهان بالزيت لإبراء الأمراض النفسية والجسدية. ٧ ـ سر الميرون. دهان الأيقونات بالزيت المقدس ودهان الطفل حين تعميده أثناء حلول الروح القدس. وهكذا يسيطر الكهنة على مقادير الناس باحتكار الصلة المباشرة بين المسيح وربه.

الجاهلية الجديدة:

رُوِى عن أمير المؤمنين الفاروق «عمر بن الخطاب» أنه قال: إنما تنقضى عُرى الإسلام عُرْوةً عرْوةً إذا نشأ فى الإسلام من لايعرف الجاهلية، وذلك أنه إذا لم يعرف ماكان عليه أهل الجاهلية وقع فيه وهو لايشعر.

فى ظل متغيّرات ناجمة عن إنجازات خارقة فى مجالات الطب والهندسة الوراثية، بإمكانيات تكنولوجية لم يشهد التاريخ مثيلاً لها، تم التلاعب بمفاهيم جوهرية خالدة، كالأمومة والطفولة، الذكورة والأنوثة، الولادة والوفاة، وتم تحنيط أسماء لم يعد لها قيمة غير الذكرى، مثل الشرف والعفة والرجولة والتراحم، فقد أصبح من الممكن إنجاب طفل خارج رحم أمه، فى أنبوبة، ثم فى رحم أم بديلة ـ خالته، جدته، أو إحدى المتطوعات التى تؤجر رحمها مفروشاً ـ وربما فى بطن أبيه. وأصبح اختيار جنس الجنين حسب مشيئة والديه،

وأصبح من الممكن زرعه فى رحم حيوان، ثم استئصاله قبل تمام تكوينه وتقطيع أوصاله وأحشائه لاستخدامها فى الجراحات التجريبية. ليس مهماً بالطبع معرفة والده، وأحيانا لايمكن التعرف عليه، ومن الجائز جدا أن يكون والد هذا الطفل قد مات منذ سنوات واحتفظ الأطباء بسائله المنوى، لاستخدام الحيوانات المجمدة فى إنجاب أولاد وبنات من صلبه، حسب الطلب وعند الحاجة. أما إذا استحال استخدام الأجنة الطازجة يتم إيداع الخلايا المخصبة المجمدة فى مقابر جليدية بأحد البنوك. أذنت الحكومة البريطانية للبنك بفترة تخزين، كانت ٥ سنوات فى أغسطس ٩١، أصبحت عشر سنوات فى مايو ٩٦. هذا البنك يمارس عمليات السحب والإيداع والإقراض للبويضات والحيوانات المنوية بل والأجنة البشرية. واشترط البرلمان ضرورة التخلص من البويضات المخصبّة المجمدة التى ينساها أصحابها أو التى لم يحددوا طريقة التصرف فيها. فماذا يحدث للجنين المجمد المودع فى الحساب الجارى لو تدهورت العلاقات بين الزوجين وقررا الانفصال؟. المشكلة الشرعية هى: هل هذه المادة الوراثية لها حقوق؟. هل إعدام الأجنة التى يستغنى عنها مودعوها بعد الأجل الذى حدده القانون يعتبر قتلا لكائن حى؟ والمشكلة الفقهية هى: هل يرث الأولاد الذين أنجبهم الرجل بعد وفاته بسنوات أو الذين أنجبهم قبل زواجه؟ الكنيسة الكاثوليكية تعارض بشكل قاطع كل التقنيات الإنجابية التى تتم بغير الجماع الطبيعى بين الزوج وزوجته، ولا تقدم حلاً للأسر العقيمة المحطمة وتعتبر أن الإجهاض قتل، وإعدام الأجنة قتل. هذا ليس موقفاً متشدداً بقدر ما هو موقف من يجهل الحقيقة. أنا أوافق الكنيسة تماما على موقفها المشرّف من وسائل منع الحمل. وأوافق تماما على أن الروح موجود من بداية الإخصاب وليس بعد ١٢٠ يوما كما فهم الفقهاء خطأ حديث الرسول. وأزيد عليه أن الروح موجود قبل الإخصاب، فى الحيوان المنوى وفى البويضة غير المخصبّة. لاحظ أننى أذكّر لفظ الروح. الروح لاتطلع ولاتنزل. لأن الموت إمساك نفس وليس طلوع روح. المشكلة أن الكنيسة والجامع لم يحددا بعد الفرق بين الروح والنفس. ولم يدركا أهميّة ذلك. إن الذى ينفخ بعد فترة «الحمل الخفيف»، هى النفس، والنفس «من روح الله». بعد النفخ يصبح الحمل ثقيلاً.

معنى الزواج:

يقول الأستاذ صلاح منتصر:

«دعونا نواجه القضية بصراحة ونسأل: ماهو السبب الحقيقى لأنواع الزواج التى أصبحنا نسمع عنها: العرفى والمتعة والمسيار وماقد يكون مختفياً أو قد يستجد؟ فى كلمة واحدة نستطيع أن نقول: الجنس.. إن هذا يعنى أن كل هذه المسميات هى واجهات تجرى محاولة إعطائها الشرعية بينما الهدف الحقيقى لها هو ممارسة الجنس سراً.. وهو مايجعلنا نسأل: لماذا

يختار المسلم مثل هذه الأنواع الملتوية من الزواج فى حين أن هناك نوعاً مشروعاً طبيعياً يعرفه كل الناس فى العلن، ويفرحون له ويطلقون الزغاريد ويدقون الدفوف إعلاناً بإقامته والاعتراف به؟ هناك من يرى أن العلاقة الزوجية لها شقها الخاص بين الزوجين والله، وبين الزوجين والمجتمع. وحجة البعض أنهم يختارون العلاقة الخاصة مع الله فى حين أن علاقة الزوجين بالمجتمع وإعلان الزواج فيه ضرورة يمليها الحفاظ على حقوق الأبناء وحرمات الأنساب.. وهو سبب يجعل من الضرورة الإعلان عن أى تعاقد بين زوجين مهما كان المسمى الذى أخذه. بل أكثر من ذلك فإن عدم توثيق العلاقة الزوجية يمنع الاعتراف بما تنتجه هذه العلاقة من أولاد وتحرم المرأة من حقوقها وتخل بحرمات الأنساب.

وإذا تأملنا فى مفهوم الحق من الزواج نجد أنه رسم هذا المفهوم فى أجمل تصوير عندما قال: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾. وهذ الصورة الجميلة السامية تعنى أن الزواج كما وصفه الله مؤسسة مشتركة يقيمها الرجل والمرأة يسكن فيها الاثنان ويرتاحان إليها ويمتد بينهما فى مسكنهما المشترك جسر من المودة والرحمة. وهذا المفهوم أكبر من الجنس والحب بمفهومه المعنوى. فالإنسان حين يقرر أن «يسكن» فإنه لايفكر فى ذلك بصورة مؤقتة، والزواج التقليدى الموثق المعلن هو الشعور بالسكن الهادىء، أما غيره فهو علاقة عابرة فى فندق أو خلف باب يرتعب الاثنان من أى دقة عليه للإحساس الكامن بعدم الأمان والاطمئنان. وبالتالى فإن كل زواج لايتضمن مفهوم السكنى المادية والمعنوية هو زواج مكروه شرعاً وإن جرت محاولة تزويقه وتزيينه بما يجعل أصحابه يخدعون ربهم ودينهم وأنفسهم».

الجنس ليس المبرر الوحيد للزواج. فالعلاقة الجنسية لا تدوم، والأسباب الأهم، أبقى وأعظم.

والآن نعود إلى المشكلة التى نأمل أن يحلها الدين. ما دام للزواج معانٍ مختلفة فلابد أن له أيضاً أنواعاً مختلفة:

أنواع الزواج:

١ ـ الزواج الشفهى. ٢ ـ الزواج الصورى. ٣ ـ الزواج العرفى. ٤ ـ زواج المتعة.

٥ ـ الزواج الرسمى. Monogomy التعدد polygomy. ٦ ـ زواج المسيار.

٧ ـ زواج ملك اليمين.

١ ـ الزواج الشفهى:

حيلة جديدة لتزويج القصر. ليس القاصرات فقط بل القصر أيضاً. هناك قرى فى صعيد مصر وريفها وأحياء فى قلب العاصمة، القاهرة الكبرى، تتحايل على قرار وزير الصحة الذى

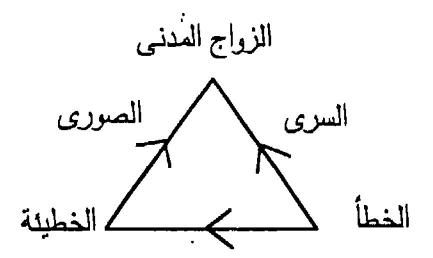
أصدره سنة ٩٠ بإلغاء شهادات التسنين إلا من القومسيون الطبى، للإفلات من مأزق تقديم المستند. فيتم تزويج البنت من سن ١٠ سنوات شفاهة بطقوس معينة، ويتم الإعلان فى أنحاء القرية عن إتمام زواج فلانة بنت فلان فى يوم كذا. ويدعى الجميع وتقام الولائم وتعلق الزينات وتطلق الزغاريد ويعلن هذا الزواج فى جلسة يحضرها ، العريس البيبى، وأهله وولى أمره وأهل العروس. وغالباً لا يكون هناك أى اهتمام بأخذ رأيها، ومن ذا الذى يهتم برأى طفلة فيأخذ رأيها؟ وتؤخذ على الزوج: (أكبر من ١٢ وأقل من ١٦) بضمان ولى أمره، الضمانات الكافية من مؤخر صداق وقائمة بكل منقولات الزوجية وشيكات ضمان موقعة من الطرفين والشهود وبعد أن يتم كل ذلك تنتقل العروس إلى منزل الزوجية، وهو فى الغالب حجرة فى منزل والد العريس الطفل وحين تبلغ السادسة عشرة، أو الثامنة عشرة حسب قانون الطفولة الجديد، يتم تزويجهما رسمياً بعقد شرعى يكتبه مأذون المنطقة. ولا يبالى أحد بالمشكلات التى يمكن أن تترتب على هذا التحايل والتسرع. وهى مشاكل نفسية واجتماعية ومادية ونفسية وقانونية. والأدهى من ذلك كله، حدوث حمل، واستخراج شهادة ميلاد بدون وثيقة زواج. فما هو موقف المسئولين من هذا العرف الذى أخل بالشرط الجوهرى للزواج، وهو أهلية الزوجين نفسياً وجسمانياً لممارسة الحياة الزوجية بطريقة آمنة وسليمة؟ هل عند مثل هذا الزوج من الخبرة والتجارب ما يؤهله لتحمل المسئولية والقدرة على التصرف؟ هل هما ناضجان عقلياً ونفسياً لتحمل مسئوليات أسرة؟ مع ملاحظة أن البنت تنضج جسدياً أسبق وأسرع، قد يظل مثل هذا الزواج قائماً شكلياً لكنه على المدى البعيد ينهار لأسباب جلية. أما من الناحية القانونية فتجريم مثل هذا الزواج قائم، فالسن القانونية للبنت ١٦ وللولد ١٨ . أما إذا تم الزواج بشكل شفهى دون سند رسمى فهو خارج عن سلطة القانون، فهل نحن نحتاج لتشريع جديد يحرم الزواج الشفهى للقصر؟ مصيره سيكون مثل أى قانون وجد ليخالف.

٢ - الزواج الصورى:

١ - الزواج من عربية: السفارة العربية تحمى بناتها فتطالب بتوافر ٢٥ شرطاً، كأن المصرى سيدخل الجنة. ٢ - زواج العربى من مصرية: القانون المصرى يشترط ألا يزيد فارق السن عن ٢٥ سنة، لكن وزير العدل يملك حق الاستثناء، ليصل بفارق السن إلى ٤٠ سنة. والغريب فى الإحصاءات المؤلمة أن هذا الاستثناء يتحقق بنسبة ٧٥٪. بل إن أحد قدامى رؤساء الشهر العقارى قام بدراسة ميدانية وأثبت أنه فى أحد مراكز الجيزة يتم عرض ثلاثين فتاة فى عمر الزهور على الكهل العربى لكى ينتقى من هذه السلعة الرخيصة من يشتهى الزواج منها، وتسانده سفارة بلده فى عدم الحرص على بناتنا، فتمتنع عن موافاة الشهر العقارى، طبقاً لما يشترطه القانون المصرى، بشهادة البيانات الكاملة عن رعيتها الكهل الذى جاء يشترى شباب امرأة، وتعتذر بأن الموافقة على الزواج ليست من سلطة السفارة، لأن

تقديم البيانات من سلطة الحاكم وحده. ٣ ـ زواج المصرى بأجنبية: ٣٥ ألف عقد زواج مصريين بأجنبيات سنوياً (٢٠ ألف زواج مصالح + ١٥ ألف حكم «صحة ونفاذ» تصدره المحكمة بمجرد أن تقر الأجنبية أن المصرى عاشرها معاشرة الأزواج. هذه الأحكام تفيد فقط فى إثبات النسب لكنها لاتقوم مستنداً لتوثيق عقد زواج لأنها مفتقدة لتوافر الشروط التى أوجبها القانون رقم ١٠٣ لسنة ٧٦ «توثيق زواج الأجانب» والتى كان افتقادها أصلاً هو السبب فى اللجوء إلى استصدار أحكام صحة ونفاذ الزواج وفى مقدمة هذه الشروط شهادة من سفارة الفتاة الأجنبية بعدم وجود موانع زواج. ولايهم فارق السن حتى لو كان قرناً من الزمان. فى غفلة من الرأى العام وبعيداً عن سمعه وبصره: الزواج بـ ٤٠ جنيهاً والطلاق بـ ٥٢. ليس أيسر ولا أسهل ولا أرخص ولا أخطر من الزواج من أجنبية ذات مستوى متدنى، بائعات، شغالات، مصففات شعر، مساعدات مضيفات. يكفى أن يقر الطرفان بأن مقدم الزواج ٢٥ قرشاً والمؤخر جنيه فلا يطالبون بغير الحد الأدنى لرسوم توثيق العقد. نحن لسنا عنصريين ولا نحرّم ما شرعه الله، لكن المأساة فى الزواج من أجنبية تكمن فى جانبين مختلفين تماماً:

١ ـ مايتعرض له الشباب المصرى من مهانة وإهدار كرامة، فهو يتحول بعد هذا الزواج المأجور إلى دمية فى يد الزوجة الأجنبية أو ملطشة فى يد من يملكون أمرها فى أماكن عملها، فيمنعونه من مقابلتها فيكفى أنه قد قبض الثمن وانتهى الأمر ويمكنه أن يضرب رأسه فى الحائط، فهى قد تحايلت لتوقعه فى شباكها لتمتد تأشيرة الإقامة إلى ٥ سنوات دفعة واحدة طبقاً للقانون، ونصبت له شبكة الاصطياد متطلعة لانتزاع الجنسية المصرية. ٢ ـ أما الجانب الأخطر والأهم فهو الأمراض الخطيرة (الإيدز والكبد الوبائى) والأمراض الاجتماعية المجهولة والتى قد يكون لها عواقب سياسية فى مجتمعنا العربى.

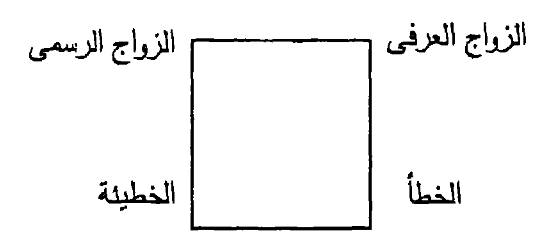


الزواج علاقة مؤبدة غير مؤقتة، إذا التزم الطرفان بالواجبات والحقوق. قال الله فى محكم كتابه العزيز ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ (البقرة ٢٢٩) وقال أيضاً ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله﴾ (البقرة ٢٣٠) وقال ﷺ: «ثلاث جدهن هزل وهزلهن جد، النكاح والطلاق والرجعة» والمرأة تحرم على الرجل بالطلاق البائن بينونة كبرى، أى

بعد الطلقة الثانية، هذا التحريم مؤقت، فلا يجوز له أن يعقد عليها مرة أخرى إلا بعد أن تتزوج رجلاً آخر زواجاً صحيحاً، ويدخل بها دخولاً حقيقياً، ثم تحصل الفرقة بينهما لسبب من الأسباب، وتنقضى عدتها.

فإذا جاء رجل وتزوج، المطلقة طلاقاً بائناً، ولم يكن غرضه دوام العشرة ولا تكوين الأسرة، وإنما غرضه مجرد تحريرها للأول، فهذا الزواج، زواج صورى صورية مطلقة. هذا الزواج ليس صحيحاً، ولا تجوز له معاشرتها، ولا تحل لزوجها الأول بعد طلاقها من المحلل، إذا كان الطلاق مشروطاً فى العقد أو قبله أو بعده أو كان منوياً عليه فقط. والأدلة على صحة هذا الرأى كثيرة وأولها حديث الرسول (لعن الله المحلل والمحلل له) وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه (لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما). لن يحل هذه المشكلة إلا الرجال. لن يحلها عادل إمام. وهذا واضح تماماً من السيناريو الهابط لمسرحيته العبثية (الواد سيد الشغال). مهمة مثل هذا الممثل، هو الضحك على الجماهير والسخرية من كلمات ربها وأحكامه. ليس معنى أن الدولة بكبار مسئوليها وصحافتها ونقادها تحتل دائماً الصفوف الأولى المجانية، إن الزعيم لا يرشو الحكومة ويستغفل السلطة فقط، لكنه فى الحقيقة يضحك عليها أيضاً، لتباركه وتحميه، وتستغيث به ليواجه معها الإرهاب بالكباب! أليس فى مصر رجل رشيد؟

٣ ـ الزواج العرفى:



المجتمع فرض حلاً يخالف القانون ولا يخالفُ الشرع.

ثم كان البحث عن حل آخر غير الزواج التقليدى بسبب اختلاف أنواع وظروف الإناث والذكور، فليست كل أنثى بكر ثيب رشيدة حرةً ولود ودود، تحمى نفسها وزوجها وبيتها وذريتها، لكن هناك أيضاً الغيورة الغبية العنيدة المتكبرة التى تقامر ببيتها وزوجها وأطفالها بسبب أوهام وأمراض نفسية. لكن أن يأتى الشاب باثنين شهود من على القهوة ويكتبوا ورقة فى حجرة مغلقة، وتصبح بذلك الأنثى زوجة، فهل هذا الزواج السرى مشروع؟ بالطبع لا. لأنه لم تتوافر فيه موافقة الولى أو الوصى، ولم يتوافر فيه شرطا المهر والإشهار. كيف يتم بناء وحدة اجتماعية جديدة، أسرة سعيدة، من وراء المجتمع وبدون علمه؟ كيف يباركها الله

ولم يباركها الناس؟ يتخفى فاعلاها بالظلام ثم إذا اختلفا يمزقان الورقة مثلما يمزقان عقد الإيجار. كيف تؤجر الأنثى الشريفة نفسها لرجل جبان بلا عقد معترف به؟ قد يترك الدكان، الذى اغتصبه سراً ويتركها حاملاً، تحاول إجهاض نفسها فتموت. وقد ينكر الزواج أصلاً لأنه سرق منها ورقتها. وقد يحلو فى نظرها عريس جديد، لقطة، يريد أن يتزوجها شرعاً، لكن الزوج العرفى يرفض ويهدد بالفضيحة أو يوافقها ويبتزها. ولا توجد جهة رسمية واحدة تقبل أن تنظر المنازعات التى تنشأ من هذا النوع من الزواج.

أجاز العرف للزوج أن يتنازل لتصبح عصمة زوجته فى يدها: كوكب الشرق. وأجاز للزوجة أن تتهاون فى حقوقها الزوجية، النفقة ومعاش الزوج والميراث، وتتسبب فى ضياعها لكنه لا يسوغ لها بأى حال من الأحوال أن تكون سبباً فى ضياع طفلها ما دام أنه ليس وليد زنى، حفظاً على حقوقه الشرعية والحياة الكريمة. وبمناسبة مناقشة مشروع قانون الطفل بمجلس الشعب، كيف نثبت نسب ابن الزواج العرفى؟ هذا السؤال كان جائزاً قبل الـ p c r (بصمة الوراثة)، ورغم ذلك فلم يتطور فكر الفقهاء ولا تعدل القانون، لا زال الرأى للفقهاء والحكم للقضاء برأيهم، لكن دعنا نعيش فى حدود الفقهاء. وتجاهلهم للواقع المر. قد تلجأ بعض السيدات من الأرامل والمطلقات إلى الارتباط بعلاقة زوجية عن طريق الزواج العرفى وذلك خشية أن يفقدن معاشهن فى بعض الأحوال وتسقط عنهن الوصاية على أولادهن القصر وتنتقل إلى الأعمام مثلاً، أو غيرهم من الأقارب الذين قد يبددون أموالهم. وهناك أسباب أخرى يكون توثيق الزواج فيها بصفة رسمية فيه مساس بمصالح الأرملة أو المطلقة. لكن إذا أثمرت هذه العلاقة طفلاً، فهل يستطيع الأب أن ينكر بنوة هذا الابن؟ نعم، هذا كان ممكناً.

الرجل من الفحل إلى الوغد، ومن البعل إلى البغل، فى ظل القوانين الوضعية

وفضلاً عن ذلك ونكاية فى المرأة فإنه إذا أنكر الأب العلاقة الزوجية وجحدها، حكمت المحكمة بعدم سماع دعوى الزوجة لأنها لا تستطيع أن تقدم وثيقة رسمية، وما بنى على باطل فهو باطل، إعمالا لما تقضى به المادة ٩٩ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية السارية من أول أغسطس ١٩٣١ . لكن ماذا تقول القاعدة المقررة فى الشريعة الإسلامية؟

أركان الزواج: الإشهاد والإشهار والتوثيق.

إجراء صيغة العقد بين الرجل والمرأة دون شهود باطل. ولابد للزواج المشهود عليه من شاهدى عدل والتدوين على الورق وإذا اتفق مع الشهود على كتمان العقد فإن الإمام مالك ابن أنس يرى أن هذا يفقد الشهادة روحها، ولايزيل الريبة عن هذا الزواج. «الكتمان» يفسده لأن «الإعلان» هو الفصل بين الحرام والحلال. وقد قال الرسول الدف والصوت هما الفصل.

والصوت هو الغناء أو مايحيط بالعروس من بهجة وذيوع وشيوع. ولا عبرة للوثيقة العرفية نفسها رغم توقيع الشهود عليها، فلا تثبت للزوجة حقاً سوى صحة نسب الابن إذا أنجبت ووجوب نفقته على أبيه، وأجر أمه كحاضنة ومرضعة له، ولا تستحق هذه الزوجة نفقة شرعية ولا متعة ولا مؤخر صداق إذا لجأت إلى القضاء رغم استيفاء العقد العرفى لأركان الإشهاد والإشهار معاً.

متى اكتملت أركان الزواج وتوافرت مقوماته التى استوجبتها الشريعة الغراء فإن ذلك يؤدى على سبيل الحتم واللزوم إلى حلْ استمتاع كل من الزوجين بالآخر، سواء تم توثيق عقد الزواج لدى المأذون المختص أم لا. إلا أنه من الأصول المقررة فى فقه الشريعة الإسلامية أن نسب الولد يثبت من أبيه بالفراش. وهو الزواج الصحيح، وما يلحق به استناداً إلى قول رسول الله «الولد للفراش وللعاهر الحجر». على الفقهاء تخريج هذا الحديث.

١ ـ هل المغتصبة عاهر؟ إذا كان الرجم قد تم أثناء حياة النبى فهل حدث ذلك قبل نزول سورة النور أم بعدها؟

٢ ـ وهل معنى ذلك أنه إذا زنت الزوجة مع رجل غير زوجها وأنجبت منه ولداً فإن هذا الولد لا يثبت نسبه إلى الرجل الزانى بل يثبت نسبه شرعاً للزوج الغافل البرىء طالما أن هذا الزوج لم ينكر بنوته ونسبه إليه، ويثبت أنه جاء وليد زنى زوجته مع شخص آخر، باعتبار أن الزنى لا يثبت نسباً، إذ هو ليس بفراش صحيح، ولا شبه فراش.

٣ ـ وإذا تسلل رجل إلى حجرة نومه ليضبط زوجته الخائنة عارية فى أحضان رجل آخر وهم بقتله، إلا أن الزانى كان أسرع وأقوى فقتل الزوج، فلا جريمة قتل ولا شروع فى قتل ولا جريمة هتك عرض. لأن القتل كان دفاعاً عن النفس والمقتول وحده هو الذى يملك تحريك دعوى الزنى.

٤ ـ وإذا اغتصبت امرأة قبل «أربعين» زوجها المتوفى، أو تم ذلك برضاها، وولدت قبل ميعاد السنة. فإن المحكمة بناء على رأى الفقه الضال: مدة الحمل أقلها ٦ شهور وأكثرها سنة، ستحكم بنسب هذا ابن الحرام إلى الزوج المتوفى فيستولى على الميراث كله إذا كان وحيد الخائنة ويظلم بنات المتوفى ويجب حق أخى المتوفى.

العرف والزواج:

نشرت «المسلمون» فى سبتمبر ٩٦: زواج المسافة:

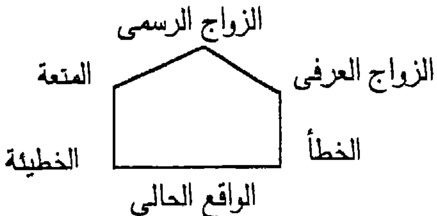
ماذا يحدث فى الصومال عند القبائل المتمسكة بالإسلام إذا رفض أهل الفتى أن يزوجوه من حبيبته؟ يمكنه أن يهرب بها إلى مسافة تبعد ٦٠ كيلومتراً عن مقر فتاته، ويعقد عليها بلا مهر ولا ولى ثم يعود بها واضعاً أهله وأهلها أمام الأمر الواقع.

٤ ـ زواج المتعة:

الزواج له أركان ستة، زوج وزوجة، مهر وشهود، ولىّ وصيغة، فإذا اكتملت هذه الأركان كان زواجاً شرعياً. ثابت فى البخارى أن الذى حرم زواج المتعة هو عمرو بن العاص وليس النبى. «من أقوال إمام مسجد كوبرى الجامعة».

تم القبض على هذا الإمام وفصل من عمله وتقرر حبسه. ورد عليه فضيلة الإمام الأكبر: «الزواج الشرعى مبنى على التأبيد وليس على التوقيت. وقد ثبت فى الحديث الصحيح أن الرسول كان قد أباح زواج المتعة فى ظروف معينة، ولفترة معينة، ثم حرم ذلك تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة».

ما المانع أن تتكرر هذه الظروف؟ وهل أباح الرسول شيئاً محرماً؟ ثم حرم عمرو ذات الشىء؟ وما هو السند القرآنى للتحليل والتحريم؟ أليس تحريم الحلال أبغض عند الله من تحليل الحرام؟



المتعة حرام عند أهل السنة والنكد حلال:

جاء الحل الشيعى، الذى حول المربع إلى معين بأن أضاف ضلعاً آخر. نوع آخر من العلاقات الزوجية اسمه زواج المتعة. وجد الشيعة «٥٠٠ مليون مسلم» حلاً لحماية المجتمع من ارتكاب الخطأ أو الوقوع فى الخطيئة، ولمنع ما يترتب على ذلك من تلويث لشجرة الأنساب وهتكاً للعرض فأحلوا زواج المتعة، وهو زواج مؤقت، وزواج المتعة المؤقت، ليس هناك ما يمنع من امتداده واستمراره، وأتوا من القرآن والحديث الصحيح بما يؤيد وجهة نظرهم، وبذلك ألبسوا الانحراف عن الشرع غطاءً شرعياً، واعترضت السنة على ذلك بشدة. زواج المتعة غير معترف به ويرفضه أهل السنة رفضاً مباشراً، وحجتهم أنه مثل الربا، محرم شرعاً لأنه يحدد قيمة الربح، والمتعة مكروهة شرعاً لأنها تحدد المدة، نوع من أنواع الربا، لا يربو عند الله ومع ذلك فهم:

١ ـ يعترفون بأن الزواج العرفى السرى شرعى رغم أنه يحرم المرأة من حقوقها ويصعب عليها إثبات النسب وحق أبنائها فى الإرث أيضاً. لكن ما رأيك أن زواج المتعة مقبول أيضاً، لكن بطريقة غير مباشرة من السنة؟

٢ ـ فالسنيون يقولون إنه إذا تم زواج صحيح مستكمل لأركانه، فلا يؤثر فى صحته أن

الزوج ينوى طلاق زوجته، فقد يغير الله حاله بحال، فيجد نفسه متمسكاً بها. ولا يعتبرون هذا المتمتع السنى محتالاً أو مخادعاً. من الذى يستطيع أن ينكر أن الله قادر أيضاً أن يغير رأى وحال المتمتع الشيعى؟

قابلت شيعياً متزمتاً فى حلب الشهباء. وأذهلنى ما قاله عن نساء العراق اللاتى يقمن فى الزوايا من أجل المتعة. وأدهشنى أنه لا يستحى من إباحة زواجٍ مدته بعض الساعة أو إلى أن يقضى الرجل وطره. هذا بالقطع شيعى جاهل بل وحمار. فلا يعقل أن يجيز الإسلام ولا أن يقبل أئمة الشيعة والعقلاء منهم مثل هذا العبث. أنا أرفض زواج المتعة على هذه الصورة الحرة العابثة، وأتصور أن المقصود بزواج المتعة هو زواج ملك اليمين. لاحظ اختلاف الأسماء والفعل واحد. العبرة بالنية.

وقد رد الأستاذ صالح الوردانى على تعليق شيخ الأزهر على فتاوى شيخ مسجد كوبرى الجامعة قائلاً له: الزواج المؤقت حلال. وأن فقهاء السعودية قد أفتوا مؤخراً «بجواز أنٍ ينكح الطالب المغترب امرأة فى بلاد الغربة نكاحاً مؤقتاً طوال فترة غربته - شريطة ألا يعلمها بذلك». أى ضلال هذا؟ واستطرد قائلاً إنه لم يختلف فى حكم شرعى مثلما اختلف فى زواج المتعة، وأن الفقيه الحنفى المشهور «زفر» كان ممن يقولون بالإباحة.

٥ - الزواج الرسمى:

قال الأستاذ صلاح منتصر فى «مجرد رأى» بأهرام ٩٦/٩/١٩ فى أرشيف المحفوظات المصرية عقود زواج تعود إلى القرن الثالث الهجرى وما بعدها. ومن أهم ما جاء فى هذه العقود أنه فى كثير منها يضع طرفا العقد شروط الزواج مثل أى شركة بين طرفين، لكن الملاحظ أن بعض هذه الشروط كان غريباً جداً، ولو وضعها أحد اليوم لوصف بالجنون إلا أن الملاحظ أنها لا تحل حراماً ولكنها فى المقابل تضع قيوداً على قواعد محللة شرعاً ولهذا كانت هذه العقود تصدر عن قضاة شرعيين يعرفون قواعد الشريعة. نماذج من هذه العقود محفوظة فى دار الكتب المصرية، بعضها كتب على ورق البردى وبعضها على الجلد والقليل منها مكتوب على الورق:

١ - تحصل الزوجة على مؤخر الصداق بعد ٥ سنوات، دون انفصال أو طلاق.

٢ - تشترط الزوجة الأولى أن تكون عصمة الزوجة الثانية بيدها.

٣ - إذا سافر الزوج أو غاب عن زوجته ٦ أيام، تكون زوجته طالقاً بالثلاثة من تاريخه: هذه الوثيقة سجلت فى محكمة دمياط الشرعية فى القرن الثامن.

إلى أى نص فى الشرع، تستند آراء من يدعى أن الزواج علاقة أبدية، وأن تحديد المدة حرام، وماذا إذا انعقدت النية على ذلك دون إفصاح؟

ألقى الدكتور «محمد إسماعيل على» أضواءً كاشفةً على علاقة القانون بالزواج والفقه بالشريعة، فى سلسلة مقالاته قول على قول:

١ ـ هل الزواج عقد ملكية؟ أجمع الفقهاء على تعريف الزواج بأنه يفيد حلْ استمتاع كل من الزوجين بالآخر على الوجه المشروع، وينشىء لكل من الطرفين حقوقاً لدى الآخر. لهذا فهو عقد أملاك، يرد الملك فيه على حق تمتع كل فرد بالآخر على الوجه المشروع. كما أنه عقد منتج لآثاره وإتمامه، ولا يحق أن يكون مضافاً لأجل أو معلقاً على شرط أو محدداً بمدة معينة. والزوج يحل له الاستمتاع بزوجته المعقود عليها بناء على هذا العقد، مع استطاعته الاستمتاع بسواها شرعاً انطلاقاً من الآية التى أحلت التعدد.

٢ ـ الزواج له أركان، وحتى يكون مشروعاً، لابد أن تتحقق فيه أركان الإيجاب والقبول والرضا والتكافؤ والسن القانونية والعقل وموافقة ولى الأمر أو الوصى والمهر والمقدم ومؤخر الصداق وضمان حقوق الزوجة والأولاد، ثم الإشهار وهو شرطه الأساسى. ثم بعد ذلك نبحث إذا كان موثقاً وصدرت به تسمية أو غير موثق. ولا يمانع الشرع فى أن تشترط الزوجة على زوجها أن تكون العصمة بيدها.

٣ ـ الزواج وصال بالمعروف أو فراق بإحسان، هكذا أمرنا الله وهذه هى شريعته، أما الزواج على المذاهب الفقهية المختلفة فهو نوع من العبودية، هناك فرق بين الفقه والشرع. كيف؟ هناك فرق كبير بين أن نقول: إن هذا القانون مستمد من الشريعة الإسلامية وبين أن نقول: إنه مستمد من الفقه الإسلامى. فإذا كان مستمداً من الشريعة الإسلامية فهو ملزم شرعاً بموجب الحكم الشرعى فيه، لأنه يستند إلى القرآن أو السنة كمصدرين أساسيين للشريعة، وهو ملزم قانوناً بحكم وجوب الانصياع للتشريع الصادر من الدولة.

٤ ـ الزواج هو الكهف الوحيد الذى يجمع بين الذكر والأنثى، وكل وطر يقضى بعيداً عنه فهو عصيان لله واعتداء على حدوده، لا خلاف على ذلك بين موسى وعيسى عليهما السلام ومحمد ﷺ .

الزواج سكن:

مكان الزوجية هو سكن home وليس بيتاً house. وهو منزل ﴿رب أنزلنى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾ وظيفة منزل الزوجية الحفاظ على الإيمان والعبادة والخلق الشريف والمسلك القويم والتقاليد الراشدة والمثل العليا. من المجون أن يكون الزواج لطلب المتعة فقط. السكن يبنى على الحب، والحب هو السكينة (الاستقرار النفسى). هو المودة (الرضا والسعادة). هو الرحمة.

٥ ـ الزواج قانون اجتماعى تحكمه دوافع الإنجاب ورغبة خفية فى استمرار النسل،

تحركها غريزة الجنس، يأخذ شكلاً ثقافياً وسلوكاً حضارياً يختلف من مجتمع لآخر تقديراً منه لأهمية دور المرأة أو الرجل في التناسل. في خبر طيرته وكالات الأنباء ونشر بالصحف طالب نواب برلمان سوازيلاندا حكومتهم بإصدار قانون يحمى الرجال من الاعتداء والتحرش الجنسي الذي يمكن أن تقوم به السيدات ضدهم. إن هذا المجتمع أعطى مساحة من الحرية للمرأة أكثر من الرجل للإنجاب.

الكنيسة والزواج:

يقول القس إبراهيم عبدالسيد: حتى البطريرك لابد أن يكون متزوجاً وله نسل صالح يشهد له بحسن أبوته وفضائل تربيته. ويكون قد مارس الأبوة الجسدية والحياة الزوجية وخبر الحياة الطبيعية التي يحياها كل إنسان عادى . أوجب الإنجيل هذا ولم يقل يجوز أو يستحسن بل قال يجب وهى كلمة ملزمة لا مجال فيها للاجتهاد. واستطرد قائلاً: يجب أن يكون للبطريرك امرأة هادئة وإن كان له أولاد يكون قد رباهم في خدمة الله وعلمهم مخافته وأن يكون أهل بيته مطيعين له غير متمردين عليه، وإلا فكيف يؤدب شعبه إن لم يكن قد أدب بيته؟ إن هؤلاء الذين لم يتزوجوا ولم ينجبوا ولم يعيشوا حياة طبيعية بين عائلاتهم، من أين لهم بروح الأبوة وحنان العاطفة، وكيف يرعون مصالح المتزوجين ويصالحونهم إذا اختلفوا؟ على رجل الدين أن يكون بعل امرأة واحدة يحسن تدبير بيته وتربية بنيه على الطاعة والطهارة، فإن كان لا يحسن تدبير بيته فكيف يحسن تدبير بيت الله؟

الاختراق اليهودى للمسيحية:

هذا يمكن أن ندركه من أقوال القس المتحضر الحكيم: كان الزواج والإنجاب في العهد القديم نقمة وعلامة غضب إلهى. وفي فترة مظلمة من تاريخ الكنيسة، في ظروف عصيبة وغير عادية بدأ الأقباط يختارون أساقفتهم وبطاركتهم من غير المتزوجين.

في عيد الميلاد المجيد وتكريماً وتعظيماً للعذراء البتول مريم Mere de Dieu نشر الدكتور حليم دوس عضو مجلس الشورى: **رحلة المسيح**.. «في رحلة السيد المسيح إلى مصر، يرسم المصورون السيدة العذراء وهي تحمل وليدها على ظهر أتان وبجوارها يوسف النجار حاملاً عصاه. واختص غبطة البابا الأنبا شنودة الثالث هذا الرسم بتوجيه من عنده، هو اجتهاد، لوضع الحقائق في نصابها، وذلك لأن عهده الذى بدأ عامه الثامن والعشرون منذ شهر تقريباً، قد تميز بالموضوعية والنظرة العلمية والفكر المتفتح، فجاء قراره بأن صورة الميلاد التي تكرس يجب أن يظهر فيها يوسف النجار كما وصفه الإنجيل برجل كهل ناحل الجسم هزيل البنية. وهو مايؤكد أن باب الاجتهاد لم يغلق، والفكر ولاد، يخلق الجديد ويضع الحلول المناسبة لكل مشكلة حاضرة.

وهذا التعليق لايقل خطورة على المسيحية عما أجازه الشيخ الطير عضو مجمع البحوث من افتراء على الإسلام.

مشكلة العنوسة:

من الطبيعى أن يبحث كل راغب فى الزواج وقادر عليه عن الشريك الذى يعوضه عن حرمانه وأحزانه ويضمد جراح تجربته أو تجاربه السابقة. هذه الخبرة السابقة تعتبر تأميناً له ضد الاختيار المتسرع غير الهادف. فإذا كانت زوجته الأولى عقيماً فسيبحث عن الأرملة الولود. وإذا كان عنيناً فلن يبحث عن البكر الشابة. وإذا كان عقيماً فسترضيه التى سبق أن أنجبت ثم طلقت أو ترملت. وإذا كان ضريراً فإنه سيتمنى المبصرة التى تقوده وترضى به، هو قلبها وهى عيناه. وإذا كان ذا عاهة أخرى فسيبحث عمن تعينه وتقبله. وإذا كان غبياً لن يبحث عن عالمة أو مثقفة وإذا كانت مطربة فسيتزوجها «نور على نور» ! وإذا كانت ممثلة فسيضمها الشيخ إلى أتباعه ! هى رايداه وهى من مريديه. ومن شريت الهوان يكفيها حضن الحنان وحصن الأمان. لقد ثارت مشاكل عديدة حين أعلن عن وثيقة الزواج الجديدة التى ضيقت الباب على الراغبين فى الدخول إلى جنة الزواج أو الخروج من ناره.

القوادون مسيطرون:

ما هو السر فى عزوف الشباب عن الزواج؟ هل لا زال السبب الأهم هو تعنت الأهل وشروطهم المالية المجحفة؟ أم أن المجلات الجنسية والأفلام العارية والأقلام الزرقاء والكتاب المرتزقة والتبرج والعرى والاختلاط والتحرر، هم بعض الأسباب الحقيقية؟ إلى متى سنحمل الغرب وإسرائيل مسئولية فسادنا؟ صحيح أن الحضارة الغربية يسرت للدهماء من المتع ما كان حكراً على الملوك والرؤساء والأمراء، فأضحى الصعلوك لا يكتفى بواحدة ويعدد كما يشاء فى ظل قانون غير مكتوب ويفجر وزراء الإعلام القنابل الجنسية عبر الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية داخل كل بيت آمن مؤمن: باسم حرية الإباحية، لكن لا يجوز أن ننسى أبداً أن الحكومة قادرة على حجب الفساد من الفضاء تماماً، بتقنية بسيطة، لكنها لا تريد. ويكفى أن أضرب مثلاً واحداً على أن الفساد الحقيقى ينبعث من الداخل. هذا هو أهم أسباب العنوسة. هناك فرق لغوى بين:

فى الشرق الأوسط: الفرجة، والفرج، والتفريج. الإخراج فى الحمام والإخراج فى السينما.

إذا كان ما نشرته «صباح الخير» صحيحاً ولم تكذبه إيناس فهذا هو تعليقى: لا تنس أن الفرد لكى يحيا لابد أن يأكل ويشرب ويخرج. لكنه إذا استطاع أن يخرج مثلما تخرج إيناس فإنه سيصبح مثلها، إنساناً بلا قيمة ولا قيم.

هذه هى السينما المصرية تعلن على لسان امرأة؟ مخرجة السينما البورنو، إيناس الدغيدى: لن أتوقف أبداً حتى يشبع الجمهور، أنا مقتنعة تماماً بما أقدمه ولن أفعل عكس ما يدور داخلى ـ وتحزق حضرتها ـ لإخراج ما فى جوفها، فتقول: مش ها أتوقف. ثم تابعت المخرجة العارية: وها أفرج الناس حتى تتعود أعينهم على الممثلات العرايا وتشبع.

«هذا رأى لى نشره بريد الأهرام»

وفى الشرق الأقصى:

قضية فنية وسياسية وسابقة سينمائية، فجرتها المخرجة الهندية الشابة «ميرا نائير» بفيلمها «قاما سوترا». ليس فقط لأنه أول فيلم هندى يتناول دقائق العلاقة بين الرجل والمرأة فى الفراش، وليس فقط لأن السلطات الهندية تحاكم مخرجته وفريق العمل المشارك فيه أمام المحكمة العليا، وليس فقط لأن هذه السلطات طلبت من دول عربية عديدة ومن الولايات المتحدة منع عرضه، ولكن لأن إسرائيل باعتبارها واحة الحرية المفقودة فى الشرق الأوسط، بادرت بعرضه تجارياً، وصاحبت هذا العرض حملة صحفية فى جريدتى «يديعوت أحرونوت» و«معاريف». والفيلم يتحدث بحرية عن العلاقات الجنسية والأوضاع المختلفة بين الرجل والمرأة وتأثير ذلك على الحب والمشاعر. والكتاب الذى أخذ عنه الفيلم مبنى على شرح أحوال المحظيات والعاهرات والعشيقات اللاتى امتلأت بهن قصور الهند القديمة! وهو يماثل مايمارسه الأمراء بالجوارى وملك اليمين «المتعة الحلال» فى قصور العرب حديثاً. وقد أحيت دور النشر اللبنانية التراث العربى الفاجر فى معرض القاهرة الدولى للكتاب ٩٧ وتزاحم المسلمون على جمع هذه النسخ النادرة: ١ ـ الحب والجنس عند السلفية. ٢ ـ النصوص المحرمة. ٣ ـ نزهة الألباب فيما لايوجد فى كتاب. ٤ ـ تحفة العروس ومتعة النفوس.

مشكلة العنوسة.. وموقف الإسلام منها

قامت بعض النساء الكويتيات بإنشاء «جمعية محاربة العنوسة» لامتناع الزوجات عن قبول زواج أزواجهن من أخريات. لكن هذه الجمعية سرعان ما فقدت القبول المجتمعى وتضاءل نشاطها.

قضية تأخر سن الزواج عند الذكور والإناث فى الواقع المعاصر أصبحت تشغل بال كثير من الآباء والأمهات، بل والأبناء فى عدد من البلاد العربية والإسلامية، وهى محل اهتمام الباحثين وأهل العلم لاقتراح أنسب الحلول لها. وحول هذه القضية يؤكد الدكتور عبدالرحمن عميرة الأستاذ بجامعة الأزهر ارتفاع نسبة الذين تخطوا سن الزواج من الجنسين موضحاً أن المحللين للإحصائيات فى هذا الشأن يتساءلون عن الأسباب فيقولون: أهى قلة المساكن وارتفاع أثمانها وعجز الشباب عن القدرة على شرائها؟! أم هى عادة المغالاة فى المهور

ومـايتطلبه الزواج من تكاليف لتأسيس عش الزوجية؟ أم أنهـا البطالة وإتخام سوق العمل بالعمـالة الزائدة وقلة الطلب عليهـا من الخـارج؟ أم أن ذلك يرجع إلى عـزوف البـعض من الجنسين عن الزواج؟ وإذا كان الأمر كذلك، هل يجوز للأب أو ولى أمر الفتاة أن يتقدم لشاب تتوافر لديه متطلبات الزواج ويخطبه زوجـاً لابنتـه؟ ويضـيف: فإذا كـان هذا جـائز شرعـاً ولامحـاذير عليه فهل حدث فى الأزمنة السابقة من قام بعرض ابنتـه على راغبى الزواج من الرجال؟! نعم، إن صاحب كتاب «تاريخ الرسل والملوك» يقدم لنا أول حـادثة عـرض للزواج من نوعها وكانت فى عـهد النبى صالح عليه السلام وكانت الحادثة الثـانية التى ذكرها القرآن عندما قال شعيب لموسى بن عمران عليهما السلام: ﴿إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجـرنى ثمـانى حـجج فـإن أتممت عـشراً فـمن عندك...﴾ (سـورة القـصص: ٢٧). وهكذا فى بساطة وصراحة عرض شعيب إحدى ابنتيه على موسى، عرضها فى غير تحرج ولا التواء، فهو يعرض زواجاً لايخجل منه، يعرض بناء أسرة وإقامـة مجتمع، وليس فى هذا مايخجل ولا مايدعو إلى التحرج والتردد أو الإشارة عن بعد، أو التصنع والتكلف مما نشاهده فى هذه البيئة التى نعيش فيـها والتى تعبر عن الفطرة السليمة وتخضع للتقاليد المصطنعة والتى تمنع الوالد أو ولى الأمر من التقدم لمن يرتضى خلقه ودينه وكفاءتـه لابنته أو أخته أو قريبته، وتحتم أن يكون الزوج أو وليه أو وكيله هو الذى يتقدم، ولا يليق أن يجىء العرض من الجانب الذى فيه المرأة.

ولقـد كـان الآباء يـعرضـون بناتهم على الرجـال فى عـهـد الرسـول ﷺ، ويتم هذا فى صراحة ونظافة وأدب جميل لاتخدش معه كرامة ولا حياء.

من ذلك أن حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما تزوجت خنيس بن خذافة ابن قيس واستشهد فى غزوة أحد وعاشت حفصة فى بيت أبيها تجتر أحزانها، وتعيش آلامها وأخذت زهرة شبابها تذبل ونضرتها تضوى وكان عمر رضى الله عنه يلحظ بعينه اللماحة وقلبه الكبير ماتعانيه ابنتـه من قلق وضيق ومن حزن وألم بعد أن فقدت رجلها بعد أن كانت ملكة فى بيتها. وبينما ينقل عمر خطواته فى إحدى الطرق الممتدة داخل المدينة وقعت عينه على عثمان بن عفان رضى الله فاقترب منه وبادله التحية وجلسا يتكلمان وبينما هما فى ذلك لمعت الفكرة فى ذهن عمر فقال بكل مايحمله قلب الإنسان من حب لابنته ورغبته فى إسعادها، فقال: ياعثمان، فأجابه: نعم ياعمر. أتتزوج حفصة ياعثمان..؟ وأخذت المفاجأة عثمان لأنه لم يفكر فى هذا الأمر من قبل ولم يكن لديه جواب، فقال: ياأخى ياعمر.. مالى فى النساء حاجة. ولكن عمر لم ييأس، ولم ير أن فى ذلك عيباً ينقص من قدره أو يزرى بمروءته والتقى بأبى بكر الصديق رضى الله عنه وماقاله لعثمان قاله لأبى بكر: أتتزوج حفصة يا أبا بكر؟ ولكن أبا بكر لأمر فى نفسه، سكت ولم ينطق. فغضب عمر، وكيف

لايغضب وهؤلاء إخوته فى الإسلام لايتقدمون لمساعدته فى مشكلته، ولايخففون عنه بعض مايعانيه. فاتجه إلى رسول الله ﷺ ليضع أمامه جملة حاله ويشكو له هؤلاء الذين تخلوا عنه فى مشكلته، وعندما وقف أمام الرسول قال: يارسول الله ألا تعجب من عثمان. إنى عرضت عليه حفصة فأعرض عنى، فقال الرسول ﷺ: «ياعمر قد زوج الله عثمان خيراً من ابنتك، وزوج ابنتك خيراً من عثمان»، وأشرقت فى خاطره لمعة مضيئة، أيتزوج رسول الله من ابنته؟ إن هذا لشرف عظيم لم تتطاول إليه أمانيه.. أتتزوج أم كلثوم بنت الرسول ﷺ من عثمان؟ نعم، فهذه خير من حفصة، وتتزوج حفصة رسول الله ﷺ، فهذا خير من عثمان.. ونهض إلى الرسول ﷺ يصافحه مهللاً وقد زال عنه ماكان يجد من مهانة الرفض، وخرج مسرعاً يزف إلى ابنته وإلى أبى بكر وعثمان وإلى المدينة كلها بشرى الخطبة المباركة.

وكان أبو بكر أول من لقيه بعد خروجه من عند رسول الله، فما نظر إليه حتى أدرك على الفور سر تهلله وفرحته فمد يده مهنئاً معتذراً بقول: «لاتجد علىّ ياعمر.. فإن رسول الله ﷺ ذكر حفصة فلم أكن لأفشى سر رسول الله، ولو تركها لتزوجتها».

ويتساءل: هل يفعل أولياء أمور الفتيات فى عالمنا هذا مافعل أجدادهم بالأمس..؟

لو تم هذا لحلت الكثير من المشكلات، وماعرف المجتمع جيل العوانس، ولأدت كل فتاة منهن دورها فى الحياة من إسعاد زوجها ورعاية أطفالها وطهارة المجتمع.

١ - الحل الشرعى لهذه المشكلة هو التعدد.

٢ - والحل المثالى هو التنازل.

٣ - والحل المجهول هو ملك اليمين.

أولاً: التعدد.

موقف الإسلام من التعدد:

التعدد تشريع قديم أباحته التوراة، وأقره الإنجيل إلا فى حالة الأسقف الذى لن يستطيع الرهبنة مع تعدد الزوجات. وقد استمر هذا النظام معمولاً به فى العالم المسيحى حتى حرمته القوانين الوضعية. فلما جاء الإسلام حدده وقيده ونظمه (الكم والكيف) وقرر أن الأصل فى التشريع زوجة واحدة، أما الإباحة فمقيدة بأسبابها الاجتماعية. فى الغرب، فى العالم المحتضر خلقياً، أتاحت حرية الاتصال الجنسى للنساء أن يتبرجن لغير أزواجهن،ويعاشرنهم بلا حرج والمجتمع يتكفل بالنتائج، أما فى الشرق، فى العالم المتحضر تربوياً فالأسباب هى بالنسبة للرجل: ١ - مرض الزوجة. ٢ - عدم الإنجاب (المسيحية تبيح طلاق المريضة والعاقر). ٣ - من لم تحصنه زوجة واحدة، والعلاج بقدر العلة (البرود الجنسى والكراهية). بالنسبة للمرأة: أن تتزوج متزوجاً: ١ - أكرم من أن تصبح خليلة لا حقوق لها ولا لأولادها

غير الشرعيين. ٢ ـ أرحم من حياة العانس. وشرطا التعدد هما: ١ ـ الباءة (القدرة على الإنفاق). ٢ ـ العدل: ﴿... فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ (النساء: ٣)، ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ (النساء: ١٢٩).

لماذا تزوج النبى ٩ ؟

لم يسأل أهل الكتاب عن عدد زوجات وجوارى سليمان وداود. وتعدد زوجات كل الأنبياء قبل محمد ﷺ. حسناً، نتهم وندافع عن محمد وحده. فإليك الحقيقة البيانية:

لا زواج	التعدد	زوجة واحدة	العزوبية
	١ بكر ٣ أرامل ٢ ملك يمين هدية هبة		

٦٣ (وفاة) — ٦٠ — ٥٥ — ٥٠ — ٢٥ — ميلاد

الفترة مابين الـ ٥٥ والـ ٦٠ هى التى تعددت فيها زوجاته: قبطية، يهودية، أسيرة، مطلقة، أرمل. فإذا تزامنت هذه الفترة مع انتشار الدين والدعوة إليه والذود عنه. فتوح وغزوات نجد أن للقائد حكمة سياسية ودينية واقتصادية واجتماعية ونفسية دعته لقبول هذا التعدد. لكن أمراً واحداً يشكك فى هذه الحكمة. زواجه من الطفلة عائشة. ليست أسيرة ولا أرمل ولا مطلقة، بل كانت عذراء بكراً غير رشيدة حين خطبها، ولولا أن منّ الله علىّ بفكرة أنه ليس للقرآن أسباب نزول بل توقيت نزول، لما وجدت عذراً للنبى فى هذا الاختيار. حديث الإفك له آية فى القرآن.

القرآن فى اللوح المحفوظ قبل ولادة النبى وقبل ميلاد عائشة. وجود حديث الإفك فى القرآن معناه ضرورة أن تولد عائشة وأن يتزوجها الرسول وأن يتأخر بها الجمل. النبى لم يتزوج الطفلة عائشة بإرادته، إنما هى إرادة ربه لحكمة اتضحت لنا الآن فقط. لولا عائشة ومحاربتها لعلى ما انقسم المسلمون إلى شيعة وسنة وهذا التحزب رغبة إلهية لو لم يرده ما أذن به.

السر العجيب!

قرأت كثيراً من الكتب التى تبرر والتى تهاجم التعدد خاصة بالنسبة للنبى. ولم أشعر براحة نفسية عميقة إلا بعد أن قرأت «السرالعجيب فى تعدد زوجات الحبيب لفضيلة الشيخ طنطاوى جوهرى (سنة ١٩١٤م).

١ ـ أكثر من ألف مليون من المسيحيين واليهود يؤمنون بداود وزبوره ومزاميره يتلونها آناء الليل وأطراف النهار، يناجون ربهم بكرة وعشياً، متضرعين بما فى المزامير من آيات ولايجدون فى صدورهم أى حرج من أنه كان لداود ٩٩ امرأة ولسليمان المئات من الحور الحسان، بينما يحار عقل المسلم لبضع نساء كن عند آخر الأنبياء.

٢ ـ لن نناقش هنا حكمة زواج الرسول من ٩ نساء، فالذى زوّجه هو ربه والمراجع عامرة بحكمة هذا التعدد. لكن ماذا تفعل لو كنت مكان نبى؟ سنحاول أن نتصور كيف حل النبى هذه المعضلة بعد نزول آية التحريم التى حددت أقصى عدد بأربع، ومايسرى على المسلمين يجب أن يسرى على نبيهم. الحلول المتاحة له كانت كالآتى:

أولاً: يطلق مازاد على أربع كما فعل أصحابه، لكن كيف وهن جميعاً أمهات مؤمنين؟ لابد أن ينتهج الحيلة لئلا يمس شرفهن أو يحرج بعضهن، خاصة أن المطلقة لن تنكح بعده أبداً. فكيف يكون الحل؟

ثانياً: يملكهن زمام أنفسهن أو يخيرن، فلو طلقت إحداهن نفسها لم يسود وجهها ولم يمس مقام النبوة أى سوء. فنزلت آية التخيير ﴿يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾ (الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩). رفضت النساء كهن هجر رجل ينام على الحصير ويأكل الشعير وقلن له لا تقتلنا بالفراق، رضينا بما تصنع بنا من ترك وقسمة.

لا هو طلقهن، ولا هن أردن الطلاق، فما العمل وهو يريد أن يسرى عليه حكم الله كما سيسرى على كل المسلمين؟

ثالثاً: لقد تراضت زوجاته واشترطن معه أن يتركن القسمة له. فنزلت الآية التى أحلت له أن يترك مضاجعة بعضهن ليعدل الله بينه وبين كل المسلمين ﴿ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم مافى قلوبكم وكان الله عليماً حليماً﴾ (الأحزاب: ٥١)، فأرجأ من نسائه خمساً: أم حبيبة، جويرية، سودة، صفية، وميمونه، وآوى إليه أربعاً: عائشة، زينب، حفصة، وأم سلمة.

مثنى وثلاث ورباع = (تسع زوجات) للنبى وحده .. لماذا؟

الأكثرية (بالفطرة: أنثى لكل رجل).

الأقلية (شهوانى ـ زاهد ـ قائد).

انصهر المجتمع الوليد من الأنصار والمهاجرين فى بوتقة واحدة أثناء الغزوات والفتوحات التى نتج عنها الشهداء والأرامل والسبايا.

تعدد الزوجات: التعدد ضرورة. والتعدد ضرر.

تُشكّل الزيادة السكانية فى بعض الدول تهديداً خطيراً للاقتصاد والتنمية. لكن الأمر مّختلف فى روسيا، حيث ينقص تعداد الشعب الروسى بمعدل مليون نسمة سنويا، بسبب قلّة الإنجاب وكثرة وفيات الأطفال. ولحل هذه المشكلة التى تهدد بانقراض الشعب الروسى، يقترح عضو مجلس النواب الروسى «سيرجى سيميونوف» على البرلمان الموافقة على تعدد الزوجات للرجل الروسى. والسماح له بالزواج من أربع إناث إذا كانٍ يستطيع الوفاء بالالتزامات المادية والبدنية لهن. ويدعم سيميونوف مشروع القرار الذى يقدمه لمجلس نواب الروس هذا الأسبوع، بمثال عن تجربته الشخصية حيث يعيش مع ٣ زوجات تبادلن مشاعر الكراهية والعداء فى البداية ثم مالبثن أن توافقن وتراضين فيما بعد. وسيميونوف هو أصغر أعضاء مجلس النواب الروسى عن الحزب الديموقراطى الحر، الذى يتزعمه فلاديمير جيرونوفسكى. ومما يذكر أن القوانين السوفيتية السابقة تجرّمْ تعدد الزوجات ولم تَجْرِ عليها أى تعديلات بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، وتنطبق هذه القوانين حتى على الروس المسلمين، الذين تبيح لهم الشريعة الإسلامية الزواج بأربع زوجات، إلا أن سيميونوف يدافع عن اقتراحه بشدة ، باعتبار أنه الحل الوحيد لإنقاذ الشعب الروسى من الانقراض.

الإسلام لم يستحدث التعدد ولم يستحسنه ولم يوجبه بل قيده. لكن مادام الله قد أذن به، فلابد أن هناك حكمة ولو خفيت علينا. وقد ثبت من سجلات المحاكم الشرعية وقضايا الأحوال الشخصية أن الضرورة، أحيانا، ليس فقط لردع الزوجة المتجبرة أو لتأديب الزوجة الناشز العاصية بل لحماية الزوجة الصالحة التى فقدت قدراتها كزوجة أو كأم لكنها لازالت تحتاج لرجلها. بعد أن كانت نوره، أصبحت تتمنى أو لاتمانع أن تعيش فى ظله ليرعاها ويحميها، وربما تختار، هى بنفسها، له ضرتها. وللتعدد آثار سلبية نفسية على الزوجة الأولى وأولادها. وغالباً ما تكون هى التى شاركته بدايته وكافحت معه واحتملت وصبرت. وله آثار سلبية مادية فى توزيع ثمرة الكفاح والإرث. فتنال من لاتستحق حق الأرملة الأولى وأيتامها. العرف والتقاليد كانت تلزم الرجل أن يتزوج بأرملة من قتل أو استشهد وكان هو المسئول عن رعاية أسرة الغائب وكفالتهم. هل لآل البيت فقه خاص؟

التعدد فتنة :

إن الرسول الكريم ﷺ، تزوج السيدة خديجة واكتفى بها كزوجة منفردة وهو فى عنفوان شبابه مايزيد على العشرين عاماً، رغم انتشار تعدد الزوجات بلا قيود ولاحدود فى عصره، قبل أن ينظمه الإسلام ويقيّده. وهو الذى كره أيضاً لابنته فاطمة أن يتزوج عليها علىّ بن أبى طالب من جويرية بنت عمرو بن هشام. ذهبت إليه السيدة فاطمة الزهراء باكية تقول له يقولون إنك لاتغضب لبناتك. فأقبل على المسجدِ مغضبا، وصعد على المنبر وقال للحاضرين إنّ بنى هشام بن المغيرة قد استأذنوه فى أن يزوجوا ابنتهم عليا. ثم صاح «ألا وإنى لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن. إنما فاطمة بضعة منىّ يريبنى مارابها، ويؤذينى ما آذاها. وإنى أتخوف أن تفتن فى دينها» فإذا كان ﷺ قد تزوج بعد السيدة خديجة من السيدة سودة لترعى أبناءه واختارها كبيرة فى السن ثم تزوج بعد ذلك توثيقا لروابطه مع قومه وعشيرتهِ وترضية لنفوس بعض أصحابه ولإبطال حكم التبنى ولخدمة أهداف الدعوة. زيجات قد لايقبل بعضها غيره ولاتدفع إليها شهوة ولارغبة. ولأنه بشر سوىّ، فلم يخفق قلبه إلا لواحدة من نسائه بعد السيدة خديجة وهى: السيدة عائشة، فكان يعدل بين زوجاته فى العطاء والمبيت ويستغفر ربه فيما لاحيلَة له فيه من عدم العدل فى مشاعره بينهن. ويقول اللهم هذا جهدى فيما أملك ولاطاقة لى فيما تملك ولا أملك، أى فى قلبه وعاطفته ومشاعره. هذا هو الإنسان العظيم الذى تتمثل فيه الطبيعة الإنسانية السوية فى وحدانية المشاعر العاطفية وعدم قابليتها للتجزئة أو الشراكة. بل إن حجة الإسلام أبى حامد الغزالى قد فسّر الآية الكريمة ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ بأنها تعنى ولن تعدلوا فى شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك بالضرورة التفاوت فى الوقاع.

ثانياً: التنازل: التنازل فى السياسة والزواج:

لا مفر من التنازل. فى السياسة: التنازل بلا ثمن = التفريط. فى الزواج: التنازل بلا مقابل = الفشل. فى السياسة والزواج لا مانع من أن تتنازل لتكسب. لكن لابدِ من أن تعرف جيداً متى تتنازل ولماذا وكيف؟

كيف نحمى الفتاة المصرية من العنوسة والاضطرابات النفسية المصاحبة لها؟ لابد من التنازل. لابد للفتاة أن تتنازل عن جانب من الجوانب العديدة التى يقوم عليها الرباط الزوجى الجوانب المادية والاجتماعية والعاطفية.

بعد فترة الخطوبة - المكاشفة والمصارحة والتعارف - وقبل « التفريخ» و«التفريغ» «والحيض» و«البيض» ، يجب أن تتعلم من «الحواة» معادلة ثبات الدخل بتصاعد الصرف كما يعالج «النحاة» جمود النحو بجمال الصرف. بعد ذلك: يمكنك أن توقع على قائمة العفش على أن توقع هى على قائمة التنازلات.

التنازل المادى: إذا كان الرجل قليل ذات اليد.
التنازل الاجتماعى: إذا كان الرجل أقل مستوى.
التنازل العاطفى: إذا لم يكن الرجل وسيماً جميل الطلعة.

٦ـ زواج المسيار :

التطبيق العملى لمبدأ التنازل هو زواج المسيار. فقد انتشرت أخيرا فى بعض المجتمعات العربية ظاهرة الزواج المسمى (بالمسيار) وهو أن يتزوج رجل بامرأة بعقد صحيح مكتمل الأركان والشروط لكن الزوجة تتنازل عن حقها فى الإقامة فى بيت زوجها الذى ينبغى أن يُعده لها كما أنها تتنازل عن النفقة الواقعة على الزوج وكذلك القسمة بينها وبين زوجته الأولى وترتضى أن تعيش فى بيت أهلها. وتتنازل بالطرح عن القسمة والجمع والضرب.

وهذا الزواج بصورته الحديثة يبدو وكأنه نظام جديد غير معروف للناس من قبل وقد حدث حوله نقاش: هل هو زواج صحيح أم باطل؟ وهذا الزواج ألجأت إليه ظروف من أهمها: انتشار العنوسة وكثرة الأرامل والمطلقات.

فى البداية يؤكد الدكتور القصبى زلط عميد كلية أصول الدين بطنطا ـ جامعة الأزهر أن هذا الزواج يختلف عن الزواج المعروف فى أن المرأة تتنازل فيه عن النفقة الواجبة على زوجها كما أنها ترضى ألا يقيم معها زوجها إقامة دائمة وتوافق على أن يتردد عليها من وقت لآخر. ومادام هذا الزواج مستكملا للأركان والشروط من أهلية المتعاقدين ووجود الشهود وغير ذلك فهو صحيح.

أما إذا اشتمل هذا الزواج على شروط تبطله بمعنى أن يشترط الزوج فى العقد تحديد مدة الزواج بسنة أو شهر أو مدة إقامته بهذا البلد فالزواج باطل لان الأصل فى الزواج أن يكون على التأبيد لا على التحديد حتى إن بعض الفقهاء تشدد فذهب إلى أن الرجل لو تزوج امرأة وفى نيته أن يطلقها ولم ينص على ذلك فى العقد ولم يفصح لأحد بهذه الرغبة فزواجه باطل فى هذه الحالة. ويؤكد الدكتور القصبى أن المرأة إذا تنازلت فى هذا الزواج عن النفقة ثم تضررت من ذلك فى المستقبل فلها أن تطالب بها فالنفقة من حقها ويصح أن تتنازل عنها. وأيضا إذا تضررت المرأة من هذا الزواج لعدم إقامة الزوج معها فمن حقها أن ترفع أمرها إلى القضاء وأن تطالب بالطلاق. فلا حرج فى هذا الزواج مادام يمكن رفع الضرر الواقع عليها بالطرق القانونية.

ويعارض الدكتور محمد فؤاد شاكر الأستاذ بجامعة عين شمس هذا الزواج فيؤكد أن أمورا هامة لاتقوم الحياة إلا بها قررها الإسلام وقررتها طبيعته السمحة وحددتها ليتبعها الزوج ويسير عليها حفاظا على القصد من الزواج وهو المحبة والمودة ودوام العشرة ومنها أمور ثلاثة:

* إعداد المسكن حيث أوجب الإسلام على الزوج أن يُعد لزوجته مسكنا شرعيا بل واعتبر وجود زوجة أخرى فى المسكن ضررا لها وإيذاء يقع عليها، بل وجود أهله فيه إذا هى تضررت من وجودهم معها اعتبره أيضا ضرراً يقع عليها.

* وأوجب الإسلام عليه إخلاء البيت لها بخيث يكون مستقلا. ويرى الأحناف أن إعداد منزل الزوجية على الزوج وذلك لأن النفقة بكل أنواعها عليه والمهر ليس عوض الجهاز لأن المهر ملك خاص للزوجة.

* جعل الإسلام للمرأة بيتا: سواء شاركت فيه أم لم تشارك. أما أن تصبح فى بيت أبيها ليأتيها زوجها متى أراد فذلك - حتى ولو اتفقا عليه - فيه إخلال بموازين الحياة.

من الطبيعى أن تحول ظروف التنقل بين البلاد لهذا النوع من الزواج دون أن يتوخى الزوج فيه العدالة بين زوجاته فيوقعه ذلك فى مخالفة شرعية قاسية.

زواج المسيار بين مؤيد ومعارض:

المسيار زواج ناقص:

زواج المسيار مازال موضوع خطابات الكثيرين من القراء خاصة بسبب الخطاب الذى نشرته للأستاذ حليم فريد تادرس، وقد تلقيت هجوما من كثيرين عليه ولكن رسالة كريمة من الأستاذ الدكتور زكى محمد إسماعيل أستاذ الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) بجامعة الأزهر وضعت القضية فى طريقها السليم.. طريق الحوار والرأى بالرأى مما يفيد بحق فى هذا الحوار زواج المسيار.. وأنقل من رسالة الدكتور زكى إسماعيل.. «تابعت باهتمام مانشرتموه يومى ٢٢ و٢٣ سبتمبر من كل من الدكتور مختار المهدى والأستاذ حليم فريد تادرس. وأستطيع أن أقول لكل منهما: أدركت شيئاً وغابت عنك أشياء أخرى. فالدكتور المهدى حين يعتبر الزواج غير الموثق زواجاً مشروعاً وغير مكروه. ولما كان الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان فقد أصبح الاجتهاد شرطاً من شروط الشريعة بجانب النص والإجماع. وقد أصبح لدى عموم المسلمين فيما يشبه الإجماع ضرورة إشهار الزواج وتوثيقه حفاظاً على حق الزوجين والأبناء فى الحال والاستقبال، وعليه فلا مجال للقول بأن الشرع لم ينص على الإشهار والتوثيق.

وإذا كان الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ فإن زواج المسيار لايتوافر فيه الاستقرار فى الاستمرار، كما أنه لايحقق المودة والرحمة فى ظل غياب المنزل المستقل والحياة الزوجية الآمنة لأن الزواج هنا فى حقيقته يصبح مجرد علاقة جنسية طارئة وما لهذا شرع الله الزواج وإنما ليحقق السكن والمودة والرحمة والاستقرار وتربية الأبناء والإسهام فى المجتمع.. إلخ.

أما مايدعيه الأستاذ حليم فريد تادرس من أن زواج المسيار دعارة رخيصة ومجانية فهو

قول لاينبنى على أى أساس لأن من نادى بزواج المسيار أصلاً أراد به أن يبتعد الزوجان عن الدعارة والزنى على أساس توافرْ بعض شروط العقد الصحيح فى الإيجاب والقبول والشهور والمهر (الشرعى على الأقل) دون العلانية والتوثيق ونية الأبدية التى تعتبر فى الإسلام شرطاً أساسياً للزواج. وعليه فإن زواج المسيار زواج أبتر وناقص بكل ماتحمل الكلمتان من معنى، وليس دعارة رخيصة ومجانية كما يدعى الأستاذ حليم تادرس وما أورده الأستاذ حليم - والكلام مازال للدكتور زكى إسماعيل - من أن أشكال الزواج بدأت بالشيوعية الجنسية وانتهت بوحدانية الزوج والزوجة نظرية لا أساس لها من الواقع، أما أن يضيف إليها الزواج العرفى وزواج المسيار لأشكال الزواج فهى إضافة باطلة ومقولة غير مسئولة لأن أيا من نوعى الزواج العرفى والمسيار دخيل على الإسلام لما سبق ذكره ثم أنها مظاهر شاذة لاترقى إلى أن تكون «ظاهرة» أو «واقعة اجتماعية».

دفاع عن المسيار:

فى القناة القطرية الفضائية تزعم الشيخ يوسف القرضاوى الدفاع من خلال أكثر من برنامج عن «زواج المسيار» باعتباره زواجاً شرعياً يتم بإيجاب وقبول وشهود وإن كان غير معلن على الملأ وفى تعريف بزواج المسيار قال الشيخ القرضاوى إن هذا الزواج ليس جديداً على المجتمع ولكنه أمر عرفه الناس من قديم. وفى هذا الزواج لاتذهب المرأة إلى بيت الرجل وإنما يحدث العكس أن يذهب الرجل إلى بيت المرأة، وفى الغالب تكون هذه زوجة ثانية وعنده زوجة أخرى هى التى تكون فى بيته وينفق عليها. فروح هذا الزواج - كما يقول القرضاوى - هو إعفاء الزوج من واجب المسكن والنفقة. غير ذلك يبرر الشيخ هذا النوع من الزواج باعتباره حلاً لمشكلة تزايد العوانس فى دول الخليج «فلو بحثنا الخيارات فعلينا أن نسأل: أيهما أفضل للمرأة أن تظل بلا زوج طول الوقت أم أن تأنس إلى زوج فى جزء من الليل أو النهار؟.. وأيهما أفضل أن يكون للمرأة خليل بينه وبينها عقد شرعى موثق يبيح لهما العشرة الحلال، أم أن يكون للمرأة خليل لاعقد بينها وبينه ويلتقى بها فى الحرام؟

ورداً على مايقوله البعض من أن زواج المسيار شبيه بزواج المتعة وأن الهدف منه الاستمتاع الجنسى فقط قال الشيخ القرضاوى فى أحد الحوارات التى جرت معه: إنه «لا علاقة بين زواج المسيار وزواج المتعة، لأن زواج المتعة يتم لفترة مؤقتة يتفق عليها الزوجان أسبوعاً أو شهراً أو أكثر مقابل مبلغ معين، وبعد هذه الفترة ينتهى الزواج من تلقاء نفسه دون حاجة إلى طلاق.. أما زواج المسيار فهو زواج دائم لاينتهى إلا بالطلاق أو الخلع».

وفى الآراء التى قرأتها فى الصحف القطرية حول هذا الزواج فلقد اختلفت الآراء.. فالجانب المؤيد أخذ بوجهة النظر القائلة أنه وسيلة لحماية المرأة من الحرام، بينما اعترفت

سيدة بأن هذا النوع من الزواج يمثل «حلاً ترقيعياً» لمشاكل حقيقية مثل العنوسة وهى مشكلة تتزايد فى مجتمع الخليج لأسباب تتعلق بالعادات والتقاليد والمغالاة فى المهور والحجر على المرأة ومصادرة حريتها فى الحركة بحيث يمكن القول إن هذا كله سيخلق جيلاً يمكن أن يكون ضحية زواج المسيار السرى! ولكن أخطر مافى زواج المسيار فى رأى بعض السيدات أنه إذا اعتبر حلاً لمشكلة العوانس فإنه سوف يكون مقصوراً على العوانس الميسورات مادياً، فكيف نحل مشكلة العوانس الفقيرات اللاتى لابيت خاص لهن ولا قدرة مادية.. حتى فى المسيار تكون المتعة للثراء؟!

التوثيق ليس شرطاً..!

الرسالة طويلة وكنت أتمنى نشرها كلها ولكننى اختار منها بما لا يفسد المعانى التى قصدها صاحبها الدكتور مختار المهدى الذى يعلق على زواج المسيار فى النقط التالية:

١ ـ هناك غرائز خلقها الله فى الإنسان لحفظ نوعه وحدد سبيلها فلا يجوز لنا أن نحقر هذه الغرائز وكأنها شىء مشين يجب تجاهله بينما هى سبب وجودنا فى هذا العالم.

٢ ـ ليس للمجتمع القول بأن الزواج إذا تم بشرع الله ولكن بعقد لم يوثق فإنه يكون بذلك زواجاً غير مشروع أو مكروهاً.. فليس من شروط الزواج الشرعى كما شرعه الخالق توثيقه، كما أن الزغاريد وإن كانت تعبيراً عن الفرح أياً كان سببه إلا أنها ليست بالضرورة إعلاناً عن إقامة الزواج لو شاء الشارع أن يكون الإشهار أو الإشهاد لأكثر من اثنين لنص على ذلك.

٣ ـ إننا نجد علماء الدين عندنا عندما يهاجم الإسلام من أعدائه لأنه يسمح بتعدد الزوجات يهبون للدفاع عن هذا الاتهام بحجج دامغة أبسطها أنها تحمى المجتمع من الانزلاق فى المجتمعات الغربية، ولكننا نجد فى الوقت نفسه أن كل من يعرف أو لا يعرف يهاجم مبدأ التعدد إعلامياً وأحياناً بإصدار بعض القوانين. كما حدث أخيراً لوضع العراقيل فى طريقه. من ذلك ضرورة إخطار الزوجة الأولى وكأن فى ذلك اهداراً لحق من حقوقها اغتصبه الزوج وكأن الجميع قد نسوا الحكمة من تشريع الخالق لهذا التعدد. وقد أراد البعض أن يخرج معنى لتحريمه من القرآن ذاته بتفسير خاطىء لمعنى الآيات الكريمة من سورة النساء ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ (الآية رقم ٣) ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾ (الآية ١٢٩) .

والعدل كما أجمع المفسرون جميعاً قديمهم وحديثهم هو العدل المادى بين الزوجات فى الإنفاق والزيارات، وحاشا لله أن يحل شيئاً ويؤكده بمثنى وثلاث ورباع فى أول السورة ثم يحرمه فى نهايتها.

٤ ـ أياً كانت الأسباب فإننا إذا عدنا إلى ما كتبته يوم ٨/١١ عن السيدة التى تطلب

الزواج دون أن تلزم زوجها بالنفقة عليها وهو ما عرف بزواج المسيار فإننى لا أملك إلا التعاطف مع السيدة الفاضلة التى تعصم نفسها من الزلل ولو بالتنازل عن بعض حقوقها فى العدل بينها وبين الزوجة الأخرى فى الانفاق والزيارة، وإنه وإن كان لطلبها بعض الغرابة وبه الجديد الذى لم نألفه بعد إلا أنه مطلب إنسانى يجب علينا أن نحترمه ولا يجوز لنا جعله مثاراً للتندر أو الاستغراب المقرون بالاستنكار، وعلى علماء الدين إيجاد الحلول لمثل هذه المطالب من واقع الشرع وتثقيف جمهور المسلمين. وإلى رسائل أخرى.

لذلك قال الرسول ﷺ: «من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل».

بمعنى أن الزوج الذى يجمع بين أكثر من زوجة ينبغى ألا تقل المدة التى يقضيها الزوج عند زوجته عن ليلة كاملة وهذا مالاخلاف فيه. اما الخلاف ففى الزيادة على ليلة.

رأى الشيخ القرضاوى فى عشر نقاط:

١ ـ هذا الزواج بدأ ينتشر فى السعودية والبحرين وقطر والكويت ودول الخليج؛ لكثرة المطلقات والعوانس والأرامل. عدد كبير من النساء فى حاجة إلى مايعفهن ويسترهن. الحاجات والضرورات الاجتماعية والواقع المعيشى يفرض علينا الآن أن نيسر على الناس حتى لايقعوا فى الحرام. فبدل أن يفكر الإنسان فى الحرام ويبحث عن امرأة ويتخذها خليلة، بديلاً من أن يتخذها حليلة، وبدل أن تفكر المرأة فى الحرام وتبحث عن رفيق تعاشره فيما حرم الله، تبحث عن زوج تعايشه بعقد شرعى لاحرج فيه. فهو زواج تقتضيه الضرورات الاجتماعية وتطور أحوال الناس وكثرة العوانس والمطلقات وعدم تيسر الزواج العادى.

٢ ـ هذا الزواج يحقق أحد أهداف الزواج الإسلامى وهو إشباع الجانب الجنسى فى الحلال. والجنس جانب مهم جداً لأنه فطرى وغريزى، والإسلام لايعتبر الغريزة الجنسية رجساً من عمل الشيطان لاستمرار النوع وتكاثر الأمة.

٣ ـ الإسلام يعتبر الإشباع الجنسى صدقة يثاب عليها الإنسان كما جاء فى الحديث الشريف: «وفى بضع أحدكم صدقة، قالوا: يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أليس إذا وضعها فى حرام كان عليه وزر؟ وكذلك إذا وضعها فى حلال كان له أجر». وزواج المسيار يحقق هذا الجانب ويحقق أهداف الزواج ولو أنه يفرغه من مضامين أخرى مثل تكوين أسرة والمعيشة والاستقرار وبقاء الرجل مع زوجته إذا كان له أولاد منها يرعاهم ويربيهم ويعايشهم.

٤ ـ ليس كل أمر غير لائق اجتماعياً يكون محرماً شرعاً فيجوز للرجل أن يتزوج فتاة تصغره بـ ٢٠ أو ٣٠ سنة ولا تستطيع أن تحرم هذا. ويجوز للفتاة أن تتزوج رجلاً فى سن

أبيها أو جدها أو تتزوج شاباً أصغر منها أو فى سن أبنائها، فهذا جائز شرعاً لكنه غير لائق اجتماعياً ويجوز للمرأة الحاصلة على الدكتوراه أن تتزوج سائق سيارتها لكنه مرفوض ومستهجن اجتماعياً.

٥ - ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها...﴾، وزواج المسيار يحقق السكن، فالمقصود بالسكن هو سكون النفس من الاضطراب من أجل التوقان الجنسى، فالله خلق الرجل والمرأة وركب فيهما هذه الغريزة التى تجعلهما يميلان لبعضهما ويظل الإنسان مضطرباً قلقاً حتى يشبع هذا فى الحلال فتسكن نفسه. لذلك فالإنسان فى حاجة إلى سكنين: سكن مادى وسكن نفسى، بيت يسكن فيه وامرأة يسكن إليها.

٦ - بعض الناس يوثقون هذا العقد رسمياً فى المحكمة فإذا لم يسجل زواج المسيار فى وثيقة رسمية فهو زواج يخالف القانون ومكروه لكن لا نستطيع أن نحرمه شرعاً. لأن الأصل هو استيفاء الزواج بشروطه وحتى لو لم يوثق فهو جائز شرعاً كما كان الزواج قبل القوانين الحديثة، فالناس قديماً كانوا يكتفون بتزويج بناتهم بقولهم زوجنى ابنتك فيقول الثانى قبلت زواجها منك. ويشهد على ذلك شاهدان دون توثيق. ولكن هذا العصر اقتضى التسجيل فى الزواج وفى العقارات لمصلحة الناس وعلى الرغم من هذا فإن الصيغة الشفوية للزواج القديم غير الموثق حلال وجائزة ولا يستطيع أحد أن يحرّمها، فلا تحريم إلا بنص صحيح الثبوت صريح الدلالة.

٧ - الزوجة فى هذا الزواج تتنازل عن النفقة وهذا من حقها شرعاً فيجوز لها أن تتنازل عن حقها فى النفقة وعن حقها أيضاً فى أن يهيىء لها بيت.

٨ - هذا الزواج مستوف لشروطه الشرعية:

١ - الإيجاب والقبول. ٢ - المهر، يجوز أن يكون قروشاً معدودة. ٣ - الشاهدان فى نظر الشرع هما الحد الأدنى للإعلان والإشهار. ٤ - نية الاستمرار والاستقرار. ٥ - المذهب الحنفى يجيز أن تتزوج المرأة من كفء لها بدون ولى. ٦ - التوثيق غير ضرورى. ٧ - التنازل عن الحقوق فى النفقة والإقامة ملزم للزوجة لايضطرها أحد إليه.

٩ - الفرق بين هذا الزواج وزواج المتعة أن زواج المتعة يفتقر إلى الاستمرار ومحدد المدة، يهدم من بعدها وينقضى دون حاجة إلى طلاق أو خلع أو إلى أى إجراء آخر.

١٠ - والآن ماهو الفرق بين زواج المسيار وزواج ملك اليمين؟ بالنسبة للزوج هذا زواج درجة ثانية. بالنسبة للزوجة المتنازلة هذا هو الأمل الوحيد يحقق غرضها وفى نفس الوقت يضعها فى مسئولية الزواج الكامل بمعنى أن لها نصف الحقوق وعليها نصف العذاب. هذا هو زواج المسيار.

رأى القانون فى التنازل:

* مدى جواز تنازل الزوجة عن حقها في قيام زوجها بالإنفاق عليها أو توفير سكن خاص لها؟

* وبالأحرى مدى سلامة هذا الشرط فى عقد النكاح وتأثير ذلك الشرط على سلامة العقد من جهة أخرى؟

يجيب الأستاذ مصطفى عابد المحامى:

١ ـ بداءة.. لا خلاف على وجوب الإنفاق على الزوجة كالتزام شرعى يقع على عاتق الزوج والأدلة الشرعية فى هذا الصدد كثيرة: منها قوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾ (الطلاق: ٧). وقوله تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ (البقرة: ٢٣٣). ويبين من الآيتين الكريمتين أمر الإنفاق والأمر للوجوب.. وقد روى عن عائشة رضى الله عنها أن هنداً زوجة أبى سفيان قالت: يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لايعطينى من النفقة مايكفينى ويكفى بنى إلا ما آخذ من ماله بغير علم. فقال ﷺ: «خذى من ماله بالمعروف مايكفيك ويكفى بنيك». كما أنه من المقرر فقهاً أن من كان محبوساً بحق مقصود لغيره كانت نفقته عليه.. وقد حبست الزوجة ـ أى سلمت نفسها ـ وتفرغت للقيام بالمقصود من الحياة الزوجية.

٢ ـ نستخلص مما تقدم..وجوب قيام الزوج بالإنفاق على زوجته وجوباً ثابتاً بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول ولا خلاف يمكن أن يثار فى هذا الصدد. بيد أن المطروح للبحث أنه متى كان للزوجة الحق فى أن يقوم زوجها بالإنفاق عليها. فهل يجوز لها من ثم إسقاط هذا الالتزام من على عاتق الزوج؟

يجب بداءة التفرقة بين أمرين:

الأول: التنازل أو الإسقاط المقترن بعقد الزواج.

الثانى: التنازل عن حق الزوجة فى الإنفاق بعد عقد الزواج ومنذ امتناع زوجها عن الإنفاق عليها.

والثانى جائز لأنه أصبح ديناً فى حق الزوج يسقط عنه بالأداء والإبراء. والأول غير جائز باعتباره شرطاً حملياً. الشرط الشرعى: هو مايقرره الشرع، والشرط الحملى: مايقرره الأطراف فى العقد (باتفاق الأطراف) لمخالفته لحكم شرعى تكليفى، والتكليف فيه بالوجوب.. فالإنفاق واجب ولا يصح أن يتضمن عقد الزواج شرطاً يسقط هذا الواجب الشرعى.. فالمكلف خاضع للحكم الشرعى لا مبدل له.

ونظراً لمخالفة الشرط للحكم الشرعي مع توافر أركان عقد الزواج الشرعية يظل العقد صحيحاً ويضحى الشرط فاسداً.. ومن ثم يجوز للزوجة التى اشترطت على نفسها فى عقد الزواج إعفاء زوجها من الإنفاق عليها، أن تطالبه بهذا الإنفاق متى امتنع عن ذلك.

ملحوظة: الأحكام الشرعية ثلاثة أقسام: ١ ـ تكليفية: يتعين أداؤها. ٢ ـ تخييرية: لا فرق بين أدائه أو عدم أدائه. ٣ ـ وضعية: ما جعله الشارع شرطاً لشىء أو مانعاً له.

٣ ـ وإذا شئنا التعبير عما سبق باللغة القانونية الوضعية للتقريب والإيضاح، فإن قاعدة العقد شريعة المتعاقدين مقيدة بقيد هام وهو عدم مخالفة العقد أو شروطه للنظام العام.. ولاريب أن فى إدراج عقد الزواج بشرط عدم التزام الزوج فى الإنفاق على زوجته مخالفة للنظام العام ومصدره هنا الشرع الحنيف على نحو ماتقدم.

كان ارتباط الأمة (الجارية) بسيدها يختلف فى كنهه عن ارتباط الزوجة بزوجها، فالجارية غير محتبسة، أى أنها تستطيع الزواج بآخر إذا أعتقها زوجها. ولأن التسرى بملك اليمين كان أحد مظاهر الرق الذى قضى اليه الإسلام تدريجياً بالعتق. فإن مالك أمرها استحل فرجها بكلمة النكاح فوقع عليه التزام الإنفاق نتيجة هذا الاستحلال. ووقع عليها أن تحتبس لذمته ولو حكماً أى حتى ولو لم يدخل بها لأنها لا تستطيع الزواج بآخر ولا يتصور عاقل أن تتمتع هذه الزوجة بكامل حقوق الزوجة الرسمية ولا أن تلتزم بكل واجباتها. لذلك لا حل إلا أن يعقد الرجل على من تتمناه من النساء عقداً لا يضر بحقوق أولاده وزوجته، وبما أن الإنفاق أحد التزامات الزواج البعدية، أى غير المرتبطة بانعقاد الزواج واتفقا على عدم الإنفاق، فكيف الخروج من هذا المأزق؟

قد تكون الزوجة أغنى من زوجها ولا تحتاج إليه أو تقوم هى بالإنفاق عليه وهذا مايحدث الآن فعلاً فى بيوت معظم الزوجات العاملات، برضائهن أو بالإكراه، وبما أنه لايجوز أن يشترط فى العقد، على عدم الإنفاق لأن هذا مخالف للشريعة فهل يتدخل القانون أيضاً لحماية حقها فى الميراث والسكن المستقل؟ الرجل عادة يلجأ إلى التحايل على هذا القانون فيجبر الزوجة على أن توقع على وصيته لآخرين حتى لو استغرقت كامل التركة ولا تحاج الموصى له بقاعدة «الوصية فى حدود الثلث» لأن الورثة قاموا باستبعادها ويعتبر هذا تنازلاً منها عن الميراث.

أما السكن المستقل فإنه التزام غير جوهرى لايؤثر فى كنه عقد الزواج، وبالتالى يجوز للزوجة أن تعفى زوجها من توفر المسكن. ألا يفصح الواقع عن قيام بعض الزوجات بإيواء أزواجهن، الشقة ملكها أو إيجارها باسمها.

الأركان الخمسة للرباط المقدس

العبادة: علاقة المسلم بربه	الزواج: علاقة ملك اليمين
١ ـ الشهادة: فرض واجب	١ ـ اليمين: إجبارى
٢ ـ الصلاة: فرض واجب	٢ ـ الإنفاق: اختيارى
٣ ـ الحج: للمستطيع	٣ ـ السكن: يجوز التخلى عنه
٤ ـ الصيام: للقادر صحياً	٤ ـ الميراث: يجوز التنازل عنه
٥ ـ الزكاة: للقادر مالياً	٥ ـ النسب: إثباته واجب حتى لو لم يكن هناك عقد

ثالثاً: زواج ملك اليمين: ما هى العلاقة بين زواج ملك اليمين وزواج المسيار؟

ملك اليمين صفة لكل من تحل لك، هى رايداك وأنت تريدها، ولا يمكنك العقد عليها بعقد يكفل كل حقوقها وحقوقك. لابد من عقد. والعقد شريعة المتعاقدين. لها نصف المتعة وعليها نصف العذاب. الذى يحل هذه العلاقة هو اليمين. يمين الله. ما الفرق بين القسم واليمين؟ قالوا للحرامى احلف قال جالك الفرج. إذا قال زوج لزوجته على اليمين أنت طالق، تطلق. فلماذا لا تصبح زوجته إذا قال على اليمين أنت زوجتى، يمين تسمعه ويسمعه معها الشهود.

زواج ملك اليمين تجربة مشروعة، خطبة عملية، فترة انتقال. حكمة الزواج على مراحل هى ذاتها حكمة الطلاق على مراحل:

١ ـ انهدام بيت شىء خطير وقد رأى الإسلام حتى بعد وقوع الطلاق أن يجعل كلا الزوجين يواجه الآخر فى فترة المراجعة، لعل الذكريات الحلوة تغلب على الذكريات المرة، أو لعل الإيلاف يطرد الفراق، ومن ثم وجب تدخل المجتمع لفض الاشتباك على مهل وإعادة المياه إلى مجاريها.

٢ ـ بناء بيت، بحكم الضرورة فى ظروف صعبة وغير مناسبة، شىء خطير أيضاً، وهنا تكمن حكمة المرحلية والتدرج. زواج ملك اليمين، يتم بإذن الأهل وبكامل إرادة الزوجة، لم يعد لأحد عذر فى الاعتداء على الحرمات أو تخطى حدود الله، ويحل الآن تطبيق الحدود. ليس زواجاً بين السادة والعبيد، ولا علاقة مع الجوارى والسرايا والمحظيات. وليس كما يحدث الآن فى بلاد العرب حين يعاشر الرجل وابنه، الشغالة الفلبينية، أو يشترى رب الأسرة فتاة مليحة من جنوب أفريقيا ويستعملها هو وأولاده معتقدين تماماً أنها ملك يمين. إنه تطبيق لذات الأحكام التى شرعها الله للزواج من الحرائر من النساء، على الجوارى زمان والمضطرات الآن. لا إكراه لهن. زواج بالعقل والإرادة، والعقل للتمييز، والإرادة للاختيار.

ملك اليمين: من هم ومن هنّ؟

السورة	رقمها	أيمانكم	أيمانهم	أيمانهن	يمينك
النساء	٤	٣ـ٢٤ـ٢٥ـ٣٦			
النحل	١٦	٧١			
المؤمنون	٢٣		٦		
النور	٢٤	٣٣ـ ٥٨		٣١	
الروم	٣٠	٢٨			
الأحزاب	٣٣		٥٠	٥٥	٥٠ ـ ٥٢
المعارج	٧٠		٣٠		

مئات الملايين من المسلمين الذين لا يعرفون العربية يقرأون القرآن بالعربية ويفهمون ما يقرأون من المترجمات، كل حسب لغته، يصلون بالعربية ويدركون معنى الكلام بلغتهم.

فما هى ترجمات ملك اليمين:

* Prisoners of war * captives of jihad * slaves handmaidens * what your right hand possess.

انظر كيف خدعت الترجمة الباطلة كل من أسلم وهو لايعرف العربية.

نصف المتعة: بعض الوقت. متى يكون الوقت عورة؟

﴿ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولاعليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ (النور: ٥٨)، لاحظ أن هذه الأوقات ليست عورات بالنسبة للزوجة الأولى.

﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ (النور: ٣٣).

﴿ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء

اللاتى لا تؤتونهن مـا كـتـب لهن **وترغبون أن تنكحوهن** والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليماً ﴾ (النساء: ١٢٧).

believing girls if they fall into shame seek them in marriage

نصف العذاب:

﴿ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن **بإذن أهلهن** وأتوهن أجورهن بالمعروف **محصنات غير مسافحات** ولا متخذات أخدان **فإذا أحصن** فإن أتين بفاحشة فعليهن **نصف** ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم * يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً * **يريد الله أن يخفف عنكم** وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ (النساء: ٢٥ ـ ٢٨).

﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن **إلا ما ملكت يمينك** وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ (الأحزاب: ٥٢).

ما معنى هذا التصريح الخاص للنبى؟ وما نوع العلاقة التى ستكون بينه وبين ما ملكت يمينه؟وما علاقة هذا بالتعدد؟ بالطبع هذه العلاقة لابد أن تكون أبدية بالنسبة لهن، ولابد أن تكون علاقة شرعية. لابد أنها علاقة زواج بدرجة أدنى. ولماذا قال ما ملكت ولم يقل من ملكت؟ لأن ما أعم وتشمل العاقل وغير العاقل.

هذه هى الآيات التى تشرح الرخصة التى منحها الله لعباده ليخفف عنهم العذاب وليتوب عليهم وليدخل الأمن والسرور على قلوب كثير من المؤمنات، بعلاقة شرعية من درجة أقل. وهذه هى المعانى ، لمن يتكلمون العزبية، وعند من لا يعرفونها.

لغوياً: ما هو جمع كلمة «يمين»، وكلمة « شمال»، وكلمة «يمين الله»؟

جمع يمين right «الجهة» أيمن. جمع ميمنة: ميامن أو ميامين.

جمع يمين oaths «القسم» أيمان.

جمع شمال «الجهة» شمائل. جمع ميسرة : مياسر.

ما هو المقصود بما ملكت أيمانكم؟ ملكت أيمانهن؟ ملكت يمينك؟

هل المقصود بأيمانكم اليد اليمنى «الجهة» أم يمين الله «القسم»؟

﴿ولا تجعلوا الله عرضة **لأيمانكم** أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم﴾ (البقرة: ٢٢٤).

and make not Gods name an excuse in your oaths against doing good or acting righty or making peace between persons for God is one who heareth and knoweth all things.

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم﴾ (البقرة: ٢٢٥).

God will not call you to account for thoughtlessness in your oaths

الإيمان القسم واليمين:

اسمان من أسماء الله (الله + الرحمن) إذا قلت: «والله» فهذا قسم وإذا أقسمت بالرحمن فهذا مقبول. ما غير ذلك من أسماء الله وصفاته ليس يميناً. ولا القسم بأسماء الله الحسنى الأخرى عليه كفارة. والحديث القدسى الذى يخاطب الله فيه الرحم «اشتققت اسمك من اسمى» يؤكد أنه لا علاقة مطلقا بين اسم الرحمن وصفة الرحيم.

اليمين له أربعة أركان:

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان.... ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم...﴾ (المائدة: ٨٩).

ولست بمأخوذ بلغو تقوله : إذا لم تعمد عاقدات العزائم

الفرزدق

﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ (الأعراف: ١٧).

ما الفرق بين من وعن؟ لم يقل من أيمانهم بل قال عن أيمانهم وعن شمائلهم. أى عن طريق معتقداتهم وأخلاقهم. لأن أيمانهم ليس لها علاقة بالجهة بل بالمعتقد .

ما الفرق بين القسم واليمين؟. القضية الصحيحة، والمسلمة بديهية، لا تحتاج إلى قسم:

﴿فلا أقسم بما تبصرون * وما لا تبصرون﴾.

القسم بالله ينعقد به اليمين ويأثم الحانث به وتلزمه الكفارة: فى رأى مالك والشافعى وأحمد، أما أبو حنيفة فلا يعتبر القسم يميناً.

ما معنى عقدتم، والعقد والانعقاد؟. ما هى أركان اليمين؟

١ـ الإيجاب: أول كلام. يصدر من أحد المتعاقدين لأجل إنشاء التصرف. وبه يوجد ويثبت التصرف.

٢ـ القبول: ثانى كلام. يصدر من أحد المتعاقدين لأجل إنشاء التصرف، وبه يتم.

٣ـ العقد: التزام المتعاقدين وتعهدهما أمرا، وهو ارتباط الإيجاب بالقبول.

فإذا اتفق رجل وامرأة على أمر والتزما بتنفيذه بعقد محرر وعليه شهود فإن هذا العقد باطل لأن التعاقد لم يستكمل أركانه الأربعة.

٤ـ الانعقاد: هو تعلق كل من الإيجاب والقبول بالآخر على وجه مشروع يظهر أثره فى متعلقهما.

أى أن الاتفاق يصبح عقدا منعقدا إذا لم يخالف شرع الله. هذا هو اليمين الذى تحل به المرأة للرجل، وفى المذهب الجعفرى لا يقع الطلاق إلا بمثل ما عقد به عند الطلاق، لابد من تطبيق شرع الله فى حضور الطرفين، ولابد من توقيع الشهود على وثيقة الطلاق. أما عبث الجهال: على الطلاق ما أنت خارجة، على الحرام ما انت واكلة، ويمين الله ما انت قالعة، تحرمى على لو... فهذا ليس إلا حمقا.

هل المقصود بملك اليمين، العبد الذى يشتريه سيده؟ أم العبد الذى يبيع نفسه؟ هل الأمة هى التى يشتريها مشتهيها أم هى التى لا تحصن فرجها، وتبيع عرضها؟.

ما معنى ملك اليمين؟

إذا لم يعجبك رأيى فما هو رأيك؟ إذا كان المقصود هن أسيرات الغزوات والجوارى فكيف تعلل الآتى: عرض الرسول القائد على أسيراته:عقيلة بنى قريظة وسيدة بنى النضير وابنة زعيم بنى المصطلق وزوجة قائده الزواج؟ فقبلت صفية وبرّة الزواج، وآثرت ريحانة ومارية أن تظلا ملك يمين. فما معنى أن يتزوج أسيرة ويملك الأخرى؟ ومانوع علاقته بهدية المقوقس، أم ولده إبراهيم وهى ملك يمين؟ أليست أيضاً زوجته؟ أليس إبراهيم ابنه؟ ملك اليمين علاقة زوجية بدرجة أدنى حسب رغبة السيدة ولأسباب تراها هى فى مصلحتها، على قدر طاقتها تكون مسئوليتها وحقوقها.

العبد والأمة. نوع مستحدث من العبيد:

هل الرق يقتصر على الأفراد أم أن هناك نوعا مستحدثا من العبيد ؟ أم أن الأُمة كلها تصبح أَمَةً لطاغية من أبنائها تخضع لأمره ويحكمها على هواه، وزراؤها لعبة فى يديه، ومجلسها سيد قراره؟. أم أن الشعوب المستضعفة، والأمم التى قهرها جهلها، فاستولى جيشها على السلطة وتربع على كرسى الحكم وأمسك بزمام مقادير الأمة كلها، وديكتاتورية حكامها ومصاصى دمائها، مثل هذه الأمة تصبح مستعبدة لأمة قادرة فاجرة؟ المستشار الفقهى لوسائل الإعلام، لم يقرأ بعد، ولن يفهم أبداً القانون الدولى : يقول فضيلة الدكتور عبدالله شحاته: «إن ملك اليمين، هم الجوارى والعبيد، وأن الفقهاء اختلفوا فمنهم من أقر أن عبد المرأة محرم لها ويجوز له الدخول عليها وليس بها، إذا كان عفيفا!! وله أن ينظر إلى بدن مولاته إلا ما بين السرة والركبة؟.. معنى ذلك أنه مباح للعبد العفيف التقى أن ينظر إلى ثدييها.

واستطرد قائلا: روى التصريح السابق عن عائشة وأم سلمة، وقد رُوى أن «عائشة كانت تتمشط وعبدها ينظر إليها». بل ويقال إن أحد الأشرار ذكر أن إحدى المؤمنات أرضعت عبدها ليصبح محرما عليها، فيجيز له ذلك الدخول عليها لا بها، كل هذا يثير فى نفسى الرغبة فى البحث عن حقيقة معنى ملك اليمين، وهل هذا الوضع كان قاصرا على أيام «فجر الإسلام» أم أنه لازال ساريا «فجر المسلمين» فى «ضحى» الإسلام «وظهره» و«مساه» وربما بعد أن أظلم ليل المسلمين وفكر المسئولين عن الدعوة إليه. بداية، لا يمكن أن أتصور أن بعض آيات الله قد أصبحت معطلة، لأنه لم يعد هناك عبيد ولا جوار.

أما من يقول أن عمر عطل آية حين رفض توزيع الأسهم على آل البيت «المؤلفة قلوبهم» فهو مجرد فهم قاصر لمعنى التعطيل، إذ ليس من حق عمر ولا من حق محمد ﷺ نفسه أن يعطل آية. يؤول ممكن. يعطل لا.

يحيا المشرط: Viva la coltello

انتهى عصر الأغوات «الرجل الأنثى» الذى يتم خصيه مبكرا حتى لا يشتهى عورات النساء. ومع ذلك فمازال الأغوات موجودين بالحرم النبوى الشريف. كان الخصى فى العصور الوسطى يتم من أجل غايات موسيقية، حيث انتقل السلطان فى عالم المسرح والأوبرا إلى الخصيان «الكاسِتراتي» الذين افتتن بهم الجمهور لدرجة الجنون، إذ كان يصيح «يحيا المشرط». كان الخصى يؤدى إلى صفاء الصوت وتجرّده من الصفة الجنسيّة. فيثبّت الأصوات الصبيانية فى الرجل كامل النمو. ولما انتشرت تجارة الخصيان فى القرن السابع عشر إلى درجة مخجلة أصدر بابا روما حظراً على هذه العمليّة الوحشيّة فى ١٨٧٨.

وعاد البرلمان البلجيكى فى عام ٩٦ ليقرّ الخصى الكيمائى للحد من الاغتصاب، إذا وضعنا القصص القرآنى والسيرة العطرة فى جانب، فإن الجانب الآخر يشتمل على أحكام خالدة، كيف هذا وقد اختفى الرق؟ فما معنى ١٥ آية تتحدث عن ملك اليمين، وآيات عديدة عن الإعتاق وفك الرقبة؟ بل ويقول البعض أن آية الصدقة عند رسول الله لم تطبّق إلا مرّة واحدة ثم عطلت، أعوذ بالله من هذا الجهل. من يعقل هذا؟ ولماذا لاتستمر الصدقة عند رسول الله واجبةً على من يريد من زواره وتابعيه ومحبيه؟. ويقول البعض قولاً فيه كثير من الاستفزاز لأصحاب العقائد الأخرى، سيأتى زمان ينتصر فيه المسلمون وتصبح اليهوديات والمسيحيات أسيرات لدى المسلمين!. وفضلا عن عدم معقولية هذا القول ـ واستحالة تصديقه وتوثيقه لأن القائلين به هم المتطرفون الذين لايقرأون بل يستمعون إلى أشرطة عمر عبدالرحمن وأيمن الظواهرى ـ بل واستحالة تصوره لسبب بسيط، إننا فى حاجة ماسّة ودائمة لنشر الإسلام بين المسلمين وتصحيح فهمهم الغبى لأحكام وحكمة الدين الحنيف فى أخذ الناس بالصبر والحلم والتدرج فى استبعاد مايؤذيهم ـ كالخمر والرق وتعدد الزوجات ـ وتقويم

سلوكهم ومعالجة جهلهم المزرى بشئون الدين والدنيا، فإنه تطبيقاً لطريقة الإسلام فى محاربة الرّق فإنه سيتم تحرير رقاب كل الجوارى والسرايا تكفيراً عن ذنوب الأسياد من المسلمين، فتنتهى مرة أخرى مشكلة العبيد والجوارى وتصبح الآية معطّلة. إذن ما انتهى إليه الفقهاء، أن ملك اليمين، تعنى الجارية فقط، غير سليم. وبذلك تصبح تفاسير كل الآيات التى وردت فيها ملك اليمين، تفاسير غامضة، وغير ممكنة التطبيق.

لم يحاول أحدٌ من الفقهاء أن يبصر الشريعة غير المنطوقة أو غير المنظورة، فأصبحت كلمات مثل ملك اليمين، والمحلل، ملكاً للساخر، مثل «الواد سيد الشغال» وليست ملكاً للراسخ. إعادة ترتيب نفس الحروف يفرق بين الحق والباطل فى نفس اللغة. كما يجمع النطق بين كلمتين إحداهما عربيّة تعنى المخبول والأخرى إنجليزية تعنى الراشد «مطيور» & mature. شئ جميل جدا ومثير أيضا: للرجال ما ملكت أيمانهم: «جوارى» وللنساء ما ملكت أيمانهن: «عبيد»!. ويدعى الفقهاء أن هذه الآيات الكريمة تحكم العلاقة بين الرجل وجاريته وبين السيدة وعبدها. لقد انتهى الرق فى صدر الإسلام بفضل العتْق والكفارة. ومع ذلك لازال عند الفقهاء أمل فى التسرى بالنساء على الأرض، فلم يكفهم ماوعدهم الله به فى الجنة، والواقع أن أملهم لن يتحقق أبداً.

سيف الإسلام. باسم الإسلام رفع الفقهاء سيوفهم:

لعل من فى مثل عمرى يتذكر أن خطيب الجمعة كان يمسك بسيف خشبى فور صعوده على المنبر، ولازال علم السعودية يرتفع بسيفين متعانقين حول الشهادة، لست أدرى حكمته أو بماذا يفيد. ولست أدرى لماذا تسيطر الحروب والغزوات على عقلية الفقهاء بصورة مستبدة؟ لأن الحرب هى مبرر تعدد الزوجات، والأصل هو الإباحة. والإباحة:

الحرب هى مورد الجوارى، واغتصابهن حلال. لذلك أحب العرب السيف واتخذوه شعارا: «الأعراب أشد كفراً ونفاقا». فإذا رفع الفقهاء سيفهم وسموه سيف الإسلام، يجب علينا أن نرده فى نحرهم. حتى يعلموا ويتعلموا أن رحمة الله وليس سيفه هى التى تحمى المسكين واليتيم والأسير. وأن الدعوة إلى الله يجب أن تكون بالحسنى وبالعقل، ولايجب عليهم ولا يمكن لهم أن يتجاهلوا اتفاقية جنيف التى ترعى الأسرى سواء كانت الأسيرة هى فاطمة أو ماريكا أو راشيل.

أيها الفقهاء، ماذا نفعل، فى السلم وعند الهزيمة أو النكسة؟ ماذا لو لم تكن أيها الراغب فى الحلال، قادراً مادياً أو جنسياً ولم تكن مقبولاً شكلاً أو موضوعاً؟ أو إذا كنت غير حر: سجين، مطارد حزبيا، مقهور سياسيا، غير مؤهل عقلياً، من ذوى العاهات، أو شلت بعض أعضائك أو أهم وظائفك كرجل وأصبحت «عنينا»؟ ماذا تفعل إذا كنت تخشى ارتكاب الخطأ

أو الوقوع فى الخطيئة وتريد أن تمارس حقك على قدر طاقتك؟ وأى النساء ستختار؟ وماذا لو لم تكن قادراً على الزواج الموثق؟

ليس أمامك إلا فرصة زواج درجة ثانية. فرز ثان، ومع ذلك فإن ارتباط ملك اليمين أقوى من الزواج العرفى، لأن الشاهد عليه هو الله والذى يحميه هو يمينه أليس الزواج العرفى السرّى: شرعى؟ أليس ظاهرة معروفة ومعلومة وله أسبابه ومبرراته وحكمته، ولم تحرّمه القوانين المدنية وإن كانت لاتعترف به؟. إذن لابد أن هناك معنى مستوراً لملك اليمين، وهدفاً نبيلاً لصالح المؤمنين. وهذا هو الحل الذى أتصوره لهذا الموضوع الحرج. اليمين هنا ليست يمينك ولا يمينها. ليست يدك اليمنى ولا يدها. ليست ملكيتها لك ولا ملكيتك لها. لا أنت تملكها بيمينك، ولا هى تملكك بيمينها. الملك لله، واليمين يمين الله. كيف؟ الأطباء والمحامون يقسمون بيمين الله على حفظ سر المريض أو الموكل. وفى بورصة العقود والنقود، تكفى إشارة باليد لقبول الارتباط حتى لو أدى التمسك باليمين إلى الإفلاس الفورى. كل مابين المتعاقدين «يمين الله»، لاصكوك معلنة ولا رهان مقبوضة. ليس معنى ذلك أن العقد سرى أو أننا نريد تقنين السريّة، السريّة مؤقتة والزواج معلوم لمن يهمه الأمر. الإشهار ضرورة لأصحاب المصلحة وليس للعامة فإذا كان يمين الطلاق يفصم علاقة زوجية قائمة فوراً وأبدياً، فلماذا لايقيم اليمين علاقة دائمة أو مؤقتة، ارتباطاً شرعياً بإذن الأهل، إسلامياً تماماً، لكنه ليس موثقاً مدنياً، وغير مقيد فى سجلات المأذونية. إنه ارتباط أقوى من الارتباط العرفى السرى الذى لاتحرّمه الشريعة، لأن الزواج العرفى له مبرراته وحكمته، ولم تحرمه القوانين المدنية وإن كانت لاتعترف به.. الشاهد عليه هو الله والذى يحميه هو يمينه. وإذا كان الطلاق على مراحل فلماذا لايكون الزواج أيضا كذلك؟ الملاعنة: يمين ينقذ الزوجة المتهمة فى عرضها من الرجم أو أن يقام عليها الحد. هذا هو اليمين الذى يحل ويربط وينجّى.

	الزواج الرسمى	زواج المتعة	ملك اليمين
المدة	غير محددة	محـــددة	العلاقات موقوتة
الأهل	بموافقة الطرفين	بدون إذن الأهل	بإذن أهلهن
العقد	موثـــق	غير موثق ولا مؤمن	مؤمـــن
الوكيل	ولى أمرها	المتمتعـــان	مالك أمرها
إنهاء العقد	طـلاق	فـــراق	عتـــاق

الحكم فى قضية يمين اللعان!

إثبات صحة نسب الطفل لوالده والتفريق بين الزوجين

المفتى: صمتُ الزوجِ يُسقط حقَّه فى اليمين ويؤكد صحة النسب

أصدرت محكمة القاهرة للأحوال الشخصية حكمها فى قضية يمين اللعان.. أقسم فيها الزوج ٤ مرات بأنه ليس أبا للطفل الذى أنجبته زوجته وبأنه ملعون إذا كان كاذبا.. قضت المحكمة برفض اليمين الذى ألقاه الزوج أمامها وإثبات صحة نسب الطفل إليه مع التفريق بين الزوجين.. صدر الحكم برئاسة مستشار وعضوية قاضيين.

كانت المحكمة قد طلبت رأى المفتى فى يمين اللعان الذى أقسمه الزوج والذى ردت عليه الزوجة بيمين مماثلة بصحة نسب طفلها لوالده وبأنها ملعونة إذا كان يمين الأب صادقا. وحول جواز نسب الطفل لوالدته.. أكد المفتى فى رده برفض اليمين الذى ألقاه الزوج وأكد أن صمته من لحظة علمه بحمل زوجته لحين ولادتها للطفل وإقامة دعوى تطالبه فيها بنفقته يؤكد صحة النسب. أكدت المحكمة عدم تأثير اليمين على صحة النسب وأنه يستوجب فقط التفريق بين الزوجين بالطلاق وناشدت الأزواج التروى قبل إلقاء اليمين الخطير والذى له آثار ضارة كثيرة على مستقبل الأسرة والأبناء.

الفقه الإسلامى فى أحكام العقود:

كلمة يمين مؤنثة. واليمين عقد قوى.

الأيمان لفظٌ مُشترِكٌ بين الجارحةِ والقوة ومعناه فى اللغة القوة، وشرعاً: عقد قوى به عزِم الحالفُ على الفعل أو الترك. وحكم اليمين وجوب البرِّ به أجلاً والكفارة خلفاً. واليمين المنعقدة: هى **الحلف علِي شيء فى المستقبل بالفعلَ أو الترك**. وحكمها وجوب البرِ باليمين، والكفارة إن حنث فى يمينه.

واليمين قد يكون فى الزواج أو الطلاق أو العتاق. والأيمان عند الحنفية مبْنيةٌ على العُرْف، وعند الشافعية على الحقيقة، لأنّ الحقيقة أحق بالإرادة، وعند المالكية على معانى كلِمْ القرآن لأنه نزل على أفصح اللغات.

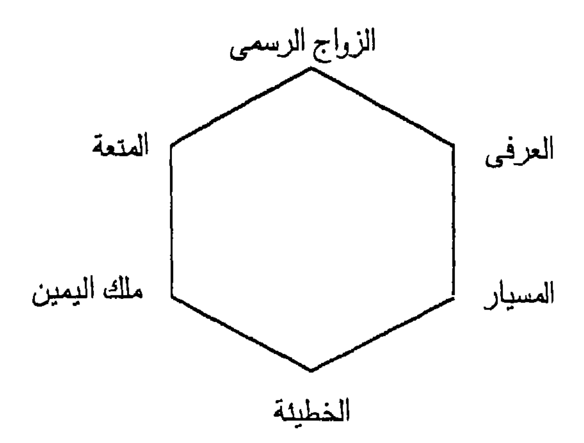
وثيقة زواج ملك اليمين

«تسعى إلى تأمين زواج شرعى عادل بسيط وآمن بإذن الأهل، غير سرى، بوثيقة تغلق الباب نهائياً أمام العلاقات غير الشرعية والشاذة». ليس هناك حل آخر. الهروب من مناقشاتها والهجوم عليها قبل نقدها مستحيل لمن يرغب فى تنقية المجتمع من الدنس والشوائب. فإذا كان المأذون يحرر عقد الزواج على أوراق المأذونية التى يتسلمها من وزارة العدل، وحتى

نحمى المرأة والرجل من الانزلاق إلى مخاطر مجهولة وغير محسوبة. مثل رفع قضايا الزنى على الزوجة التى تزوجت وهى متزوجة عرفياً من شخص آخر. أو التى أنجبت أثناء وجودها فى عصمة رجل بعقد غير موثق. فإن العقود الجديدة يجب أن تحررّ بمعرفة محامٍ متخصص عضو فى أحد مكاتب الراغبين فى الزواج الذى يفحص المترددين والمترددات وراثياً وصحياً وربما أيضاً اجتماعياً ونفسياً. ويحرر العقد من أصل وصورتين، يحتفظ بالأصل فى المكتب الذى أصدره وتسجل تفاصيله بالميكروفيلم بوزارة العدل ويستلم الزوجان صورتى العقد فقط ليثبت كلاهما حقوقه قبل الآخر عند حدوث اختلاف. وعن طريق الكمبيوتر المركزى سيتم اكتشاف أى تلاعب أو تعدد غير قانونى. مع إقرار وضمان السرية التامة عن كل من ليس له مصلحة. الأمر ليس سراً بالنسبة للشهود ولمحرر الوثيقة. وتنتهى العلاقة فى ذات المكتب الذى حرر العقد وأصدر الوثيقة إذا أرادا ذلك أو قد ترتفع بينهما درجة العلاقة إلى المكاتبة ،إتيان الأجر أو دفع المهر وسحب التنازلات، إذا اتفقا على ذلك. كثير من زوجات الأب قبلن عشرته وتنازلن عن حقهن فى الميراث. وكثير من الأبناء يوافقون على زواج أبيهم الأرمل بشرط عدم مشاركتها لهم فى الميراث، وتقبل الزوجة هذا التنازل غير مكرّهة عليه. ومن الأفضل استفتاء القطاع المستفيد وأخذ رأيه فى الحل الجديد نقداً أو تعديلاً أو إضافة ويتم عرض نتيجة الاستطلاع على أهل الفقه والعلم والرأى والحل والربط، مع استبعاد رأى من لارأى له ولامصلحة، أو المتعصب بلا عقل والمتشدد بلا سند أو منطق. ويتم عرض وبحث جوانب الحل الإيجابية والسلبية وموازنة الفائدة والضرر. فإذا كان الحل المقترح سيساعد على تطهير المجتمع من الإكراه والاحتيال والاغتصاب والخيانة والخداع والزنى لزوال الحرمان الذى كان يستتر وراء هذه الجرائم فإن هذا الحل سيكون منطقياً. وإذا كان هناك ثغرة أو ثغرات فى الفكرة فيتم معالجتها قبل إصدار القانون ويستحسن استخدام الحاسب الآلى لتصنيف وترتيب وفحص ملايين القضايا التى كانت تنظرها المحاكم الشرعية سابقاً ومحاكم الأحوال الشخصية حالياً التى تختص بمخالفات متعمدة لعقد الزواج المدنى الرسمى الموثق. توثيق العقد لم يمنع هذا الكم الهائل من الخلاف، الذى يتبين إحصائياً أن أهم الأسباب وراءه هو إكراه الزوجة أو خيانتها وقهر الرجل أو حرمانه ويسبق الاستطلاع توعية الشباب بمشاكل الزواج وكيفية تفادى الضرر الناتج عن التسرع.

إن الضرّة، فى نظام التعدد المقبول الآن شرعاً وتشريعاً، تحتال على أنثى أخرى، تسلبها زوجها وتحرمها من قدراته وإمكانياته التى كانت مخصصة لزوجته بعض الوقت أو كله، أو تأخذ الجمل بما حمل، برمته. وتكيد للأولى وتشارك أبناءها فى ممتلكات وأموال الزوج. أما الضرة فى نظام ملك اليمين فحقوقها محدودة ولن تستطيع أن تطالب بما حرمه عليها النظام الذى ارتضت به وبالتالى فإن الضرر الذى سيحيق بالزوجة الأولى أقل وأهون. تبقى الأولى

مهما كانت عيوبها «درة» أسرتها وتظل الثانية «ضرة»، إلاّ إذا فقدت الأولى زمام الأمر وأعطت الأخرى فرصة كبرى لتصحيح وضعها وترسيخ مكانتها. باعته بأبخس الأثمان.



ماذا لو أضفنا ضلعاً آخر للشكل المعين المبتور فيصبح سداسياً وتتسع مساحة العلاقات الشرعية المعترف بها. فتسعد نساء كثيرات ضيّق عليهن المجتمع ومنع عنهن حلاً موافقاً للشرع، واضطرهن إما للصبر المرير وتعطيل الوظائف الفسيولوجية والاجتماعية والحرمان من الاستمتاع بظل رجل مناسب لظروفهن وأحوالهن الصابرة المحتسبة، وإما إلى الاعتداء على البريئات ـ الصديقة والجارة القريبة والغريبة ـ وسلبهن أزواجهن سراً أو علناً، وترطيب الحرمان بلقاءات غير شرعية وممارسات جنسية. تلجأ إلى ذلك، المقهورة بضعف أخلاقها أو قسوة رغباتها أو فورة ووفرة هورموناتها. هنا يتدخل الله الذى خلق الذكر والأنثى والذى يعلم السر وأخفى هو الذى رسم لنا حدود الفضيلة وهو الذى أودع فينا الرغبة الجنسية فوسّع علينا من فضله بالاختيار الموافق للظروف والأحوال، فبين لنا أنه يريد أن يخفف عن (من يخشى العنت) (النساء: ٢٥) ﴿ومن لم يستطع منكم طولا﴾ (النساء: ٢٥) ومن ﴿يعملون السوء بجهالة﴾ (النساء: ١٧) «ليمنع» الميل العظيم ليفتح «باب التوبة ويخفف العقوبة» فسمح لعلاقة لها حدود، حد أعلى «النور ٣٣» وحد أدنى «النساء ٣» «والنساء ١٢٧» و«النور ٥٨» فأقر الزواج بملك اليمين، زواجا لاعلاقة له بالسلطة التنفيذية، وتدخل الشرطة والقوانين الوضعية التى تفرضها السيدة الأولى، فتحل عاما ماتحرمه عاماً، فالسيدة الثانية هى التى قبلت غير مكرهة على التنازل نصف الحقوق مقابل نصف العقوبة. وعلى الفقهاء إعادة بحث معنى ملك اليمين اتقاء لغضب الله، فرد الذرائع أولى من جلب المنافع. كيف يزيل الفقهاء اللبس الذى أحاط بهذا الاسم الكئيب الذى أذل أعناق الرجال والنساء؟ كيف نظهر المعنى النبيل الذى قصد الله به الحل العادل والوحيد والأكيد لمشاكل قطاع كبير جدا من المحرومين. وعلى

رجال الفقه القانونى أن يشتركوا مع الفقهاء فى تقنين هذه العلاقة ومنع أن تكون الأنثى ملكا ليمين رجلين فى وقت واحد، الأمر الذى يحدث فى مجتمعنا.

ورغم عدم وجود كل هذه الأنواع من الزواج فإن الطلاق قد يكون ضرورة.

العلاقة الزوجيّة:

ليست علاقة نقدية «عملة» لها وجهان: (ملك وكتابة) زواج أو طلاق، سعادة أو غم. بل هى علاقة نرديّة «علاقة حظ» تخضع للصدفة والتوفيق.، لها اثنا عشر وجها يظهر وجهان ويختفى وجهان وتبقى الثمانية أوجه الأخرى منظورة ومحتملة على جانبى الحياة. قد تكون زوجتك ست بيت درجة أولى وأماً ممتازة وجارة طيّبة وصديقة وفيّة ولكنها زوجة غبيّة أو شريرة أو باردة. إذا اختفى الحب: حب الزوج من نردها، استحال الإخلاص له وامتنع السماح والعفو واكتأبت الحياة مهما أرضاها وفعل من أجلها ومن أجل أولادهما فمشكلتها لاحل لها، إنها فقط لاتحبه ولا تستطيع أن تحبه، وتعرف أنه يعرف أنها لاتحبه. قد يكون السبب أنه كذب عليها كذبة بيضاء مرّة من ربع قرن أو أبدى إعجابه بأخرى كان يعرفها قبل الزواج بـ ٣٠ سنة. امرأة غبية ولا حلّ لها وهذا قدره. مشكلته أنه يحبها بصدق ولايرضى إلا بأشواكها وعنده قدرة غريبة على احتمالها. ومشكلتها أنها تدفعه بكل قوتها إلى طريق مسدود. ولا تدرك أن أى رجل لابد أن يبحث عن مخرج، فإذا لم يجد المنفذ الحلال يستبيح لنفسه الحرام إذا كان مضطراً، وهى السبب، هى التى دفعته بغبائها. عندما تطفأ الأنوار، تصبح كل النساء سواء، تشريحيا ووظيفيا، أليس كذلك؟

النكـــــد:

من الأمراض المتوطنة فى الشرق العربى والعالم الإسلامى بالذات. وقد اعتاد الأطباء على تصنيف الأمراض إلى:

١ - وراثى Congenital . ٢ - بيئى Enviromental . ٣ - عدوانى Infective .

٤ - حادثى Traumatic . ٥ - جنونى Pegnin or malignant .

المقصود بالوراثى والبيئى هو تأثير الجينات وظروف الحياة الأسرية على شخصية الأنثى التى نعدها لتكون زوجة وأما. والمقصود بالعدوانى مثل العدوى بالكائنات الحية الدقيقة، بكتريا وفيروسات وهذا يشبه عدوان أهل الزوجة وعقاربها وغيرهم من الكائنات الحيّة غير الرقيقة والمقصود بالجنونى، تكاثر الخلايا بلامبرر تكاثرا حميدا أو خبيثا، وهذا يماثل تكابر وتعاظم فكرة خاطئة أو مفهوم تربوى غير صحيح بطريقة عليلة، مثل التى تدافع عن كرامتها حتى لو حطّمت فى سبيل ذلك كرامة أولادها أو لو دمّرت بيتها نفسه، لأنها محرومة وراثيا أو بيئيا أو مرضيا من نعمة العفو والتسامح. والنكد الجنونى نوعان: حميد وخبيث، والخبيث له اسم أكثر شعبيّة وهو النكد الأزلى.

وهناك تقسيمات نفسية وبيولوجية وفقهية: وجودى، دورى، نفسى ودينى.

١ - **الوجودى:** معناه أن مجرد وجودك، بل ومجرد ذكر اسمك أو سيرتك، يصيبها بالغم والحساسية وغيابك يثير ابتهاجها. تجدها عاديّة مرحة حبوبّة مع الجميع إلا أنت. فإذا لم يكن مفرّ من وجودك، فإنها تعصّب عينيها وأذنيها لكى لاتراك ولا تسمعك حتى تنام.

٢ - **والدورى:** له علاقة بالدورة الشهرية، فإذا كانت تريد الحمل فهى ملك يمينك بالمعنى الفقهى (تحت أمرك) فى منتصف الشهر القمرى المتوافق مع دورتها، حين تبيض كل أنثى عشريّة أو عشار، «فترة الخصوبة». أما إذا كانت لاتريد أولاداً منك، أو إذا كانت قد حققت غرضها من الزواج بك وتأكدت أنها أنثى ولود، وضمنت معاشك وثمن تركتك، أو نفقتها، فما الداعى لك؟ لازمتك إيه؟. إنها تفتعل الغضب أثناء هذه الفترة الحرجة، «فترة الأمان» وتعود إلى طبيعتها النكديّة العادية بعد اختفاء البويضة من البوق. فتضمن بذلك أنه حتى لو حدثت ممارسة اضطرارية فلن تحمل، أما إذا توقفت ساعتها البيولوجية وانقطع الطمث فسيستمر النكد بلا انقطاع دورى.

٣ - **النفسى:** إذا قرأت تفسير الآية ٤٢ من سورة الزمر جيداً فستعرف أنك حين تنام تتحرر نفسك، تستريح من جسدك، وتحوم حوله، هذه هى فرصتها وفرصتك لتتعاركا وتصفيا حساباتكما معا فى الأحلام، بدون إصابات إلا الكدمات النفسية والجراح الغائرة فى جسم سليم. يحدث هذا حتى لو عصّبت عيناها، ستأتيها فى المنام وتتقابل نفساكما، وتمارسان المعتاد والمحظور، هذه فرصتك الوحيدة للتأكد أنك متزوج ومن حقك ممارسة الحب ولو فى المنام. المتزوج المقهور ينام ليحلم والمتزوج مع وقف التنفيذ ينام ليستحلم.

٤ - **الدينى:** أساتذة التكدير والتخويف والنكد، مطلقى «توماهوك» و«كروز» من على المنابر، هم السر الكامن وراء جرعة النكد الأسبوعية.

المحكمة: إلزام أستاذة جامعية بطاعة زوجها فى الإنجاب. الأبناء من أهم العوامل لاستقرار الحياة الزوجية

قضت محكمة الأحوال الشخصية بالإسكندرية بإلزام أستاذة جامعية بطاعة زوجها وإلزامها بالاهتمام بحياتها الأسرية، وإنجاب الأبناء.

وكان الزوج - وهو من الأثرياء - قد تقدم لمحكمة الأحوال الشخصية يشكو زوجته التى هجرته بعد زواج دام أكثر من خمس سنوات لاهتمامها بأبحاثها العلمية بكلية العلوم، وقال إنهما كانا اتفقا على عدم الإنجاب، إلا أنه يرغب أن يكون له أبناء يحملون اسمه فيما بعد، خاصة أنه على أعتاب الانتهاء من فترة الشباب، وأمام هيئة المحكمة، قالت الزوجة إنها لجأت لترك بيت الزوجية عندما أصر الزوج علي إنجاب الأبناء، إلا أنها رفضت نظرا لطبيعة

عملها فى المجال العلمى والأبحاث المستمرة التى تقوم بها فى مجال الذرة من أجل الحصول على الدكتوراه، وأن الحمل فى مثل هذه الظروف المعملية والأبخرة الكيميائية يضر بالجنين، فأصدرت المحكمة حكما بإلزامها بطاعة زوجها على اعتبار أنه على حق، وقالت المحكمة إن الحياة الأسرية للزوجة تأتى فى المرتبة الأولى، وإن الإنجاب والأبناء من أهم القواعد التى تساعد على ترسيخ الاستقرار والأمان للحياة الزوجية.

الزواج فنون وأحيانا جنون، والطلاق فن.

خلق الله الإنسان من نفس واحدة انشقت بإرادة الخالق إلى امرأة ورجل. ليس من العدل ولا احترام الواقع أن نقسم الجنسين إلى امرأة فاضلة ورجل رذيل، أو العكس، ليس كل النساء ملائكة ولا كل الرجال شياطين. هذا ضرب من السخف، والانحياز إلى أحد الجانبين ليس من الإنصاف ولا من الحكمة. فإذا حدث ما يوجب الفرقة أو التفرقة، فما العمل؟ الهجر فى الفراش أم الانفصال أم الطلاق؟

ظاهرة تفشى الطلاق أصبحت من أبرز أمراض العصر الحديث. وإذا كانت بعض الزيجات المستديمة لم يمسسها الطلاق فهذا لايعنى أن الزوجين يجيدان فن التعامل. العلاقة الزوجية ليست فنا فقط بل علما، حيازته فى غاية التعقيد. أعرف أزواجا حياتهم همّ وغم وكرب ونكد عظيم، يتبادلان الشتائم والقذف بالشباشب والقباقيب والمقشات وأحيانا بعصاية الغلية عند الأجيال القديمة، بل وبكافة الأسلحة الشعبية المتاحة. وأعرف أزواجا انتهوا إلى صفقة وديّة مفادها التعامل بصمت وبقطيعة، أى أنهم اختاروا حلاً على المودةْ. هو التعايش أو التساكن السلمى. وبعض الأزواج المودرن وجدوا الحل فى منح الواحد للآخر حريته المطلقة تفاديا لوجع الرأس، ليس احتراما للحريّة الفرديّة وحقوق الإنسان. وهذا الحل بالطبع، مرتبط بالقدرة على التحمل، قتل النخوة والغيرة، وهذا فن هابط قائم بذاته.

الزواج مقامات:

ولعل أكثر فنون التعامل الزوجية رواجاً هى التوصل إلى تسوية مدروسة كدراسات الجدوى تعطى الزوجة سلطة التحكم فى كل ماهو منزلى: مقام بيّاتى: على أن يمارس الزوج العلاقات الخارجية ويستمتع بالحرية والعلاقات الشريفة الآمنة: مقام الرصد: بتسلط لا يدانيه سوى هيمنة زوجته على الداخل. مع احترام المقامات. المقام البياْتي ومقام الرصد. كل هذه الحلول الوسطيّة لا تحول دون الطلاق ولاتمنع وجود حلول أخرى لاتعدُ ولا تحصى ولا تحفظ المقامات.

هل الطلاق هزيمة أم وجهة نظر؟

هل المرأة ضعيفة بالفعل ولا تدرى كيف تواجه الحياة بمفردها أم أنها قد تكتشف أنها

قوية رغم المعاناة وأنها لايلزم أن تكون ذيلاً لرجل: ابنة فلان، أخت فلان، أو زوجة فلان، لأنها فى حالة وجودها خارج هذه الأطر تتعرض لضغوط وتكون محلاً لمطامع، وذلك ينطوى على قدر عال من الامتهان لآدميتها وإنسانيتها. فالمجتمع مجتمع رجال: الشرطة رجال والقضاء رجال والعرف السائد يحمى وجهة نظر الرجل.

وجود العصمة فى يد المرأة تُحمّل الطرفين نفس الإحساس بالمسئولية.

الخطيئة هى أن تستمر العلاقات الزائفة التى تفتقر إلى الحب والاحترام المتبادل.

من وجهة نظر من يتعامل مع سلعة إذا تكرر فسخ الخطوبة أو حدث الطلاق فإن التساؤل هو: «شاف عليها إيه؟»، «إيه العيب اللى فيها؟».

مراحل الخلاف:

١ ـ Protest : **مرحلة الاحتجاج**؛ تتسم بالميل إلى إدانة الطرف الآخر على نحو انفعالى وغير عقلانى.

٢ ـ Denial : **مرحلة الإنكار**؛ والتى قد يزعم فيها الزوج أن شيئاً لم يحدث، وتزعم الحماة «أجوّزك سيد سيده».

٣ ـ Detachment : **مرحلة الانعزال**؛ فيغلق الإنسان مشاعره كنوع من الحماية «أبقى مجنون لو اتجوزت تانى».

وهنا قد يبدأ الإنسان علاقة جديدة خطرة لأنه سيكون محملاً بميراث العلاقة السابقة لذلك فالحل هو:

٤ ـ Resolution : **فترة هدنة**؛ يرصد فيها الزوج أخطاءه وليس فقط أخطاء الطرف الآخر.

٥ ـ Reconnection : **مرحلة التواصل**؛ حين يحدد الإنسان دوره فيما حصل، وأين كان الخطأ؟ فى الاختيار؟ أو فى عدم إعلان الشخصى عن رغباته للطرف الآخر بحجة أن الأخير سيفهم بمفرده؟

٦ ـ Forgiveness : **مرحلة التسامح**؛ حين يصبح الإنسان أقدر على وضع أولوياته.

فإذا لم يكن هناك مفر من الفراق فمن المستحب أن يتفهم الطرفان الموقف وينفصلا بشكل صحيح ومحترم بدلاً من البوليس والمحكمة فإن قيمة الاستقرار تعلو على قيمة التغيير أو فكرة أن يبدل الإنسان حياته بحكم فكرة «الخوف من المجهول» وهذا يقتل لدى الإنسان الرغبة والسعى إلى تغيير علاقة قائمة على الاختيار إلى علاقة قائمة على التعود؛ فما الذى يدفعنى إلى أن أبذل مجهوداً يومياً فى الاحتفاظ بشىء مادمت أتصور أنى أملكه؟ الزواج

كأى علاقة يتحكم فيها ما يتحكم فى الكائن البشرى يمكن أن يبدأ صغيراً ويكبر وممكن أن يموت.

التفريق بين الزوجين بسبب العجز الجنسى:

أمر نظمته المادة ٩ من القانون رقم ٢٥ لسنة ٢٠ الخاص بأحكام النفقة وبعض مسائل الأحوال الشخصية المعدل بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ٨٥ - يثبت العجز الجنسى أمام القضاء بتقرير طبى طبقاً للمادة ١١ من ذات القانون، التى تنص على أن «يستعان بأهل الخبرة» فى إثبات العيوب التى تتطلب فسخ الزواج.

يفترض أن العجز الجنسى يلحق بالمرأة أضراراً ما لم يثبت العكس، كأن تكون الزوجة قد تقدمت فى السن ولايخشى عليها من الفتنة أما إذا لجأت إلى القضاء لأنه لايستطيع مباشرتها وثبت ذلك إما بإقرار الزوج أو بتقرير الطب الشرعى.

الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان كان شمس الإسلام المشرقة أيام الحكم الأموى الظالم وكانت فتاواه مناسبة لعصره، أما الآن فقد تغيرت الأوضاع ولايجوز أن نأخذ منه إلا بقدر مايتماشى مع أوضاعنا اليوم ومصالحنا. من المعروف أن مذهب أبى حنيفة:

١ - يفرّق بين البكر والثيب.

٢ - ويوجب على القاضى أن يمهل الزوج سنة ليبين بمرور الفصول الأربعة!! ما إذا كان عجزه لعارض يزول أم لعيب مستحكم.

٣ - ولا يبيح للزوجة أن تطالب بالطلاق إن كان تعلم بالعيب ورضيت أن تتزوجه مع هذا العيب - فهذا وارد فى كبار السن.

أما الآن فالقانون لايفرق بين من كانت - أو أصبحت - ثيباً ويقبل الدعوى من الشابة التى ضحكت على العجوز لتحقق غرضها ثم تحتكم للقضاء لتتخلص منه.

الشرع والطلاق:

إذا طلق الرجل زوجته فكيف يعيدها إلى عصمته إذا شاء ذلك، وهل يثبت له هذا الحق فى كل مرة يطلقها، وما هى شروط استخدام الرجل لهذا الحق؟

يجيب عن هذا السؤال الدكتور محمد عبدالبديع المستشار بمجلس الدولة فيقول إن الطلاق نوعان: رجعى وبائن. الرجعى هو الذى ينهى العلاقة الزوجية فى المآل لافى الحال، فتكون الزوجية قائمة بين الزوجين طوال فترة العدة، وهى ثلاثة شهور تقريبا، لذلك يملك الزوج بعد إيقاع الطلاق الرجعى أن يعيد مطلقته إلى عصمته مادامت فى فترة العدة وذلك دون رضاها ودون عقد أو مهر جديدين.

الطلاق البائن: البينونة الصغرى والكبرى.

أما الطلاق البائن فهو الذى ينهى العلاقة الزوجية فى الحال، فلا يملك الزوج بعده أن يعيد مطلقته إلى عصمته إلا برضاها وبعقد ومهر جديدين حتى ولو كانت فى فترة العدة، وهذا هو الطلاق البائن بينونة صغرى، وهناك الطلاق البائن بينونة كبرى وهو الذى لايجوز فيه للرجل أن يعيد زوجته إلى عصمته إلا إذا تزوجت رجلاً آخر وطلقها ذلك الرجل،وانتهت فترة العدة فيجوز لزوجها الأول أن يعيدها إلى عصمته بعقد ومهر جديدين. والطلاق البائن بينونة صغرى يقع فى الحالات الآتية:

١ ـ الطلاق قبل الدخول الحقيقى سواء اختلى الزوج بزوجته خلوة صحيحة قبل أن يطلقها أو لم يختل بها، ولكن المطلقة قبل الدخول وقبل الخلوة لاعدة عليها، أما المطلقة بعد الخلوة وقبل الدخول فتجب عليها العدة محافظة على الأنساب.

٢ ـ الطلاق على مال، فإذا طلق الرجل زوجته بعد أن دخل بها دخولاً حقيقياً فى نظير مبلغ من المال أو فى نظير أن تبرئه من مؤخر صداقها أو من متجمد نفقتها أو أى من حقوقها الأخرى أو من جميع هذه الحقوق فإن الطلاق يكون بائناً.

٣ ـ التطليق بحكم القضاء بناء على طلب الزوجة فى الحالات التى جوز لها أن تطلب الطلاق، ويكون الطلاق بحكم القضاء بائناً ما عدا حالة واحدة يكون فيها الطلاق رجعياً وهى التطليق لعدم إنفاق الزوج على زوجته.

وفى هذه الحالات الثلاث للطلاق البائن لايملك الرجل إعادة زوجته إلى عصمته إلا برضاها وبعقد ومهر جديدين حتى ولو كانت المطلقة لاتزال فى فترة العدة. أما الطلاق البائن بينونة كبرى فهذا الطلاق المكمل للثلاث سواء كان مسبوقاً بطلقتين رجعيتين أو بائنتين،فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره، وفيما عدا حالات الطلاق البائن بينونة صغرى وبينونة كبرى يكون الطلاق رجعياً وفى الطلاق الرجعى يملك الزوج أن يرجع زوجته دون رضاها وبغير عقد ولامهر جديدين مادامت فى فترة العدة فإذا انقضت العدة ولم يراجع الزوج زوجته تحول الطلاق إلى بائن، فلا يملك الرجل أن يعيد مطلقته إلى عصمته إلا برضاها، وبعقد ومهر جديدين. وإذا طلّق الرجل زوجته طلاقاً رجعياً وتوفى أحد الزوجين أثناء العدة ورثه الآخر لتحقق سبب الإرث وهو الزوجية القائمة ما لم يكن هناك مانع من الإرث كاختلاف الدين، وهذا معناه إهدار حقوق الزوجة الكتابية، أما إذا طلق الزوج زوجته طلاقا بائناً وتوفى أحدهما أثناء العدة فلا توارث بينهما لانقضاء الزوجية بالطلاق البائن فور وقوعه. وفى الطلاق المكمل للثلاث لاتحل المطلقة إلا إذا أوفت العدة وتزوجت رجلاً آخر زواجاً صحيحاً ودخل بها دخولاً حقيقياً، ثم طلقها الزوج الثانى لأى سبب فيجوز لمطلقها

الأول أن يتزوجها من جديد، وإذا تزوج رجلٌ المطلقة ثلاثا، بقصد تحليلها لزوجها الأول الذي طلقها للمرة الثالثة، فالرأى الراجح أن هذا الزواج لايحلّ المطلقة لزوجها الأول وأنه محرّم شرعاً ويسمى بزواج المحلل، لقول الرسول الكريم ﷺ: «لعن الله المحلل والمحلل له».

ملحوظة: مما سبق يتبين تسلط الفقه على الشريعة، وأن المرأة في فترة العدة كالطفلة في فترة الحضانة محرومة من أهلية التعاقد، ليس لها حق فسخ العقد أو فك الاشتباك. عدم الرجوع إلى الزوج يتساوى مع الرجوع عن الدين وكأن الارتداد عن الزوج مثل الارتداد عن الدين.

التشريع والطلاق:

مسائل الأحوال الشخصية فى مصر، لم تنظّم على النحو السائد الآن إلا عام ١٩٢٩ بالقانون رقم ٢٥، ومن قبله القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢١ وقد تم تعديلهما بالقانون رقم ١٠٠ لعام ٨٥. فى مسائل الأسرة على وجه العموم، أخذ المشرع المصرى، بأرجح الأقوال فى المذهب الحنفى، ولم يكن التفريق بسبب الضرر وسوء العشرة سائغاً قبل العمل بالقانون رقم ٢٥ لسنة ٢٩ لأن المذهب الحنفى لايجيزه إطلاقا، بل يقرر أنه ليس هناك موجب للتفريق للضرر مهما كان شديدا، لأن دفع الضرر عن الزوجة، يمكن بغير الطلاق، كأن ترفع أمرها للقاضى ليأمره بحسن معاشرتها وعدم إيذائها، فإن لم يمتثل لما يراه كفيلا لحمايتها فإنه يحول بينهما حتى يرجع عن ظلمه. المشرع عامى ٢١ و٢٩ كان يملك الاختيار بين ما يراه صالحا من آراء الفقهاء.

لكن المشرع ترك مذهب أبى حنيفة والشافعى فى هذه النقطة وأخذ بمذهب مالك وأحمد ابن حنبل، فى جواز التفريق للضرر. وطبقا لظروف الزمان فى ذلك الحين، والمعنى كما يقول الأستاذ الدكتور محمد إسماعيل على: أن المشرع ينبغى عليه ألا يقف مكتوف الأيدى أمام ظروف متغيرة، تلحق أشد الأضرار بالمرأة وتضعها - على خلاف الأصل الإسلامى - فى موضع الأقل من الرجل، فى ممارستها لحقوق الحياة الزوجية. إن حق الرجل فى الطلاق، أصل تشريعى لاجدال فيه أيضا. لأن الخلاف بين الزوجين قد يتضاعف ويشتد الشقاق، ويصعب العلاج، وينفد الصبر، ويذهب ما أسّس عليه البيت من السكن والمودة والرحمة وأداء الحقوق، وتصبح الحياة الزوجية غير قابلة للإصلاح، وحينئذ يرخّص الإسلام بالعلاج الوحيد الذى لا بد منه.

الخلع:

فإن كانت الكراهية من جهة الرجل، فإن بيده الطلاق، وهو حق من حقوقه وله أن يستعمله فى حدود ماشرع الله. وإن كانت الكراهية من جهة المرأة، فقد أباح لها الإسلام أن

تتخلص من الزوجية بطريق الخلع، أى بأن تُعطى الزوج ما كانت قد أخذته باسم الزوجية لينهى علاقته بها وفى ذلك يقول الله: ﴿ولايحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله﴾، والفقهاء المسلمون عرّفوا الخلع بأنه: فراق الرجل زوجته ببدل (كان المقتدر أيام الملكية يدفع البدل ليعفى من التجنيد) . والخلع إنما يجوز إذا كان هناك سبب يقتضيه، كأن يكون الرجل معيبا فى خلقه أو سيئا فى خلقه، أو لا يؤدى للزوجة حقا وأن تخاف المرأة ألا تقيم حدود الله فيما يجب عليها من حسن الصحبة وجميل المعاشرة كما هو ظاهر من نص الآية. أما قيمة الخلع فقد اختلف فيها الفقهاء، ومن المشاهد والشائع أن يستغل الزوج رغبة زوجته فى الانفصال فيساومها علي حريتها فى ردّة واضحة إلى عهد العبودية والعتق وتحرير العبيد، وقد حرم الله ذلك تحريماً قطعياً.

لابد أن يكون هناك من الوسائل الشرعية ما يمكن المرأة من أن تنقذ نفسها من قهر الرجل. لكن اختناق المرأة بقيود الإجراءات يتضمن ظلما فادحا فاضحا، فإن التطبيق العملى للمادة السادسة من القانون ٢٥ لسنة ٢٩، تحتم إثبات التعدى. كيف تثبت المرأة ماجرى بينها وبين زوجها من نفور أو كراهية أو تعليقات جارحة تمزق المشاعر وتدمر الشخصية؟. كيف يمكن لامرأة على درجة عالية من الثقافة أن تستحضر شهودا علي وقائع لايمكن أن تحدث على مرأى من أى أحد؟ إن القانون، فى إجراءات إثبات الضرر، يلجئ الزوجات إلى أقسام الشرطة لعمل محضر بالضرب ومايستتبعه ذلك من إهانات وردود أفعال متباينة.

الذنب ذنبها، فى الوقاع، والقول قولها، فى الدفاع: إقرار التبنى، مخالفة للشريعة بأمر محكمة النقض.

محكمة النقض هى أعلى سلطة قضائية؟ وهكذا قضت.

طعن نقض رقم ١١٤ لسنة ٥٨ قضائية أحوال شخصية: من المقرر فى فقه الأحناف أنه لكى يكون الزواج صحيحاً، أى له وجود يحترمه الشارع، ويرتب عليه آثاره الشرعية، أن تكون المرأة محلاً لعقد الزواج عليها بالنسبة لمن يريد زواجها. وأن يحضر زواجها شاهدان. إذ النسب يثبت بالزواج الصحيح، لكنه يثبت أيضاً بالمخالطة بناء على عقد فاسد أو شبهة.

طعن نقض رقم ٧٣ لسنة ٥٧ قضائية أحوال شخصية: من المقرر فى الفقه الحنفى أن الزواج الذى لايحضره شهود زواج، وإن كان عقداً فاسداً. إلا أنه تترتب عليه آثار الزواج الصحيح ومنها النسب بالدخول الحقيقى، فهل للرجل أن يتمسك بنص المادة ٩٩، ويطلب عدم سماع الدعوى لإنكاره العلاقة الزوجية، ولعدم وجود وثيقة زواج رسمية؟ الرد: لا.

طعن نقض ٨ لسنة ٥٨ قضائية أحوال شخصية: حسمت المحكمة هذا الموضوع وقضت بأن:

دعوى النسب متميزة عن دعوى إثبات الزوجية. وأن إثباتها لايخضع لما أورده المشرع فى المادة ٩٩ من قيد على سماع دعوى الزوجية أو الإقرار بها. إذ لا تأثير لهذا المنع من السماع على دعوى النسب التى مازالت باقية على حكمها المقرّر فى الشريعة الإسلامية. وأن النسب كما يثبت بالبيّنة والإقرار، يثبت بالفراش الصحيح، وهو الزواج الصحيح، وملك اليمين وما يلحق به، وهو المخالطة بناء على عقد فاسد أو بشبهة.

١ـ ما هو الفراش الصحيح؟ هل هو سرير حجرة نوم الزوجية؟ أم هو الفراش الذى تمت عليه الجريمة؟ أم الفراش الذى اغتصب عليه حق الزوج المخدوع، أيا كان مكانه؟ لو تعرف ألف شاهد على متهم يتردد على مشكوك فى أمرها، فمن يشهد على الفاعل الذى تتردد هى عليه؟ لغز فقهى: زواج شرعى وابن غير شرعى. امرأة بين رجلين، البرئ الظاهر الطاهر يهب اسمه وثروته لابن الجانى الخفى. الفراش بالنسبة للطفل هو الأنبوب أو المكان الذى التقى فيه الحيوان المنوى بالبويضة، وهو أحد ذراعى الرحم فى حوض المرأة ينتقل معها حيث أرادت.

صحيح تماماً، أن الجنين ليس طرفاً فى علاقة تعاقدية، ومن ثَمّ يجب علينا حمايته، لكن لابد من وجود حل يحافظ على الأنساب والحقوق، ولايفرض على الرجل أن يعطى اسمه لابن رجل آخر، وإلا فما حكمة تحريم التبنى.

٢ ـ لست أدرى ماذا تقصد المحكمة الموقرة بملك اليمين؟ هل هو مخالطة بعقد فاسد أو بشبهة؟

٣ ـ الحكم يفيد أنه يحق للزوجة فى الزواج العرفى أن تثبت علاقة البنوة ونسبة الطفل لأبيه وتوافر الفراش الصحيح بينها بجميع الوسائل المقررة لإثبات ودون أن تطالب فى كل أولئك بوجوب تقديم وثيقة زواج رسمية. المحكمة تأخذ بأرجح الآراء. وبقاعدة قانونية مريبة، «القول قولها» فبماذا ستحكم لو كانت الزوجة حنفية، والزوج حنبليا، والقاضى مالكيا، والدفاع شافعيا؟ هذا الحكم فى تقديرى عجيب وخطير: هذا يماثل موقف الفقه والتشريع فى أمرين مختلفين. الإفطار والصيام، الجلد والرجم، لماذا؟

١ ـ لأنه استند إلى الحديث الشريف وليس إلى القرآن المجيد. تماما مثل ما يحدث كل عام عند صيام رمضان. تجاهلنا آية: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ وتمسكنا بحديث، «صوموا لرؤيته......».

٢ ـ بل إن المحكمة أخذت بالنصف الأول من الحديث فحكمت بإكراه الرجل المغفل على نسبة ابن حرام إليه، وأرغمته أن يحمل اسمه، وبالتالى يرثه ظلما، لأنه لم يشك أو

يعترض. وتجاهلت تماما النصف الآخر من الحديث فلم يحدث أبدا أن حكمت برجم عاهرة واحدة، ممن يظهرن على شاشات التليفزيون العربية الإسلامية.

٣ ـ المحكمة اعترفت بأن هذا الحديث، الآمر بالرجم، نسخ الآية رقم ٢ من سورة النور، وهذا قرار خطير وحكم يستند إلى رأى لبعض الفقهاء الذين يؤمنون بالنسخ وتجاهل، غريب مريب، لرأى الآخرين الذين ينكرونه تماماً.

٤ ـ وكذلك فعلت النيابة العامة، ففى موضوع الدعوى رقم ١١٥٣ ، ١٣٤٢ لسنة ١٩٨٩ ، «إن علماء الشريعة الإسلامية لم يختلفوا فى أن أقل مدة للحمل بالنسبة للمرأة هو ستة أشهر. واستدلوا على ذلك من القرآن الكريم بآيتين، الأولى قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ (الأحقاف: ١٥)، والآية الثانية قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين﴾ (لقمان: ١٤)، فبإسقاط مدة الفصال التى هى أربعة وعشرون شهراً من ثلاثين شهراً مدة الحمل والفصال تبقى مدة الحمل وهى ستة أشهر».

هذا رأى باطل تماماً، ويترتب عليه الإضرار بالرجل المستغفل الذى يُكره على أن يقبل أن ينتسب إليه ابن رجل آخر. والحل هو أن تفسير الآيتين غير صحيح، وأنه مخالف تماماً للحقيقة ولرأى الأطباء. فالصحيح أن فترة الحمل الحقيقى هى ستة أشهر فعلا لكنها تحسب من بداية اعتبار الجنين كائناً حياً جديداً ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ و﴿تبارك الله أحسن الخالقين﴾، أى منذ حلول النفس، عندما ينفخ الملك فيه من «الروح»، وليس من بداية الإخصاب. وهنا أرجوك أن تراجع كتابى الأول الذى صادره الأزهر لتعرف معنى النفس، والروح، والنفخ من الروح، والحياة والموت، والنوم والوفاة.

العُرف والطلاق:

فى الصحراء المغربية يستقبلون المُطلقة بالأفراح والزغاريد، وذبح النوق وإقامة حفلات يأكلِ ويشرب فيها أهل القبيلة والقبائل المجاورة. وكلما ارتفع عدد زيجاتها وطلاقها، ارتفع مهرها وعلا شأنها. ومع أن عودة المطلّقة إلى بيت والدها قد تؤجّل زواج أخواتها الأبكار قليلاً، إلاّ أنها تقدم لهن خدمة فى نفس الوقت، فهى تلفت إليهن الأنظار، ليتخاطفهن علية القوم بعد قران أختهن الكبرى المطلّقة. والصحراوى يؤكد أن المطلقة لاتمكث فى بيت أبويها أكثر من شهور العدة الشرعية لأن خطابها ينتظرون على الأبواب بمجرد طلاقها للفوز بها والزواج منها.

الأئمة والطلاق:

المفروض أن أئمة المساجد يُعلموننا أصول الدين والشرع، وينشرون الحب والمحبة،

ويحلون مشاكل العباد من منظور دينى رحمانى حليم حكيم. هذا هو المفروض، أما الواقع فعلاً فهو أمر مؤسف، نحن لن نتكلم عن خطباء مساجد العمارات، نحن نوجه اللوم لإمام أكبر وأشهر مساجد الإسكندرية، فقد تفضل فضيلته بالرد على سؤال إحدى مستمعات «الدرس» الذى يلقيه فضيلته. كان السؤال: أنا مطلّقة فى الثامنة والعشرين من عمرى وتقدم للزواج منى رجل مطلّق، ويرفض أن يقدم لى مهراً أو شبكة أو مؤخراً، فماذا تفعل لو كنت ابنتك؟

وهذا هو رد فضيلته:

«نعم يا أختى.. بتقولى إيه.. عندك كام؟ ٢٨ سنة؟ ياشيخة اتلهى ده إنتى كلها سنتين وتبقى فى الباى باى... وسنتين ليه... ده إنت فى الباى باى فعلا. أنا عاوز أشوف الأهبل اللى عاوز يتجوزك. مايروح يتجوز واحدة عندها ١٨ سنة. ياشيخة اتلهى إنت لسّه عايزة مهر وشبكة. وبعدين خلّى بالك إنه مطلّق وهذا لا يعيبه وأنت مطلّقة وهذا يعيبك».

هل هناك من هو أشد خطراً على الدين من هذا الداعية المهرج؟

الطب الشرعى: المأذون الشرعى: القاضى الشرعى:

الطبيب الشرعى يجب أن يسمى الطبيب التشريحى، إنه يشرّح الجثة ويقدم الرأى الطبى فتأخذ به المحكمة الجنائية، لاعلاقة له بالشرع. والمأذون الشرعى يجب أن يسمى المأذون الفقهى لا علاقة له أيضا بالشرع. إنه يعقد الزواج بالمذهب الذى يقبله المتزوجان. وكذلك القاضى الشرعى إنه لايحكم بالشرع بل بما استقر عليه رأى الفقهاء. الفقه شىء والشريعة شىء آخر.

المحكمة والطلاق:

المحكمة تأتمر بالفقه وليس بالشريعة. الفقه هو ما فهمه الفقهاء. وهم بشر، ولافضل لفقيه أمّى على جاهل أعجمى إلا بالتقوى. أما الشرع فهو حكم الله. مرة ثالثة يتدخل القانون الوضعى لتخريب العلاقة الزوجية. إذا رغبت المرأة فى الطلاق فراراً من زوجها لاستحالة العشرة معه فإنها تصطدم بالقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ وإجراءاته التعجيزية، التى تجهض حقها الذى قررته لها الشريعة الإسلامية الغرّاء. فبعد خوض الأشواك وقهر الأشواق وإهدار الكرامة، تفاجأ بأن القانون الذى تلجأ إليه لتحتمى به، ينتهك أحكام الشريعة ويدمر الأسرة ويشرد الأولاد ويزرع الأحقاد ويؤدى فى النهاية إلى انحراف المرأة. أى مذهب هذا الذى تستند إليه إجراءات التقاضى؟ وكيف تحصل المرأة على الطلاق بكرامة وشرف فى ظل الشرع، القرآن والحديث، الدين والأخلاق؟ إنه مذهب الرق والاستعباد وتقديس الرجل وتحقير المرأة. القانون يوجب تعذيب المرأة بإلزامها بالالتجاء إلى القضاء، أما الرجل فإنه يستطيع أن

يفك الرابطة بكلمة، لامحكمة ولا مأذون، لاتقاضى ولا قانون، مقياس رجولته هو قدرته على تعذيب زوجته، وعرقلة حصولها على حقها، ألم أقل إن هناك فرقاً بين الإسلام والمسلمين، وبين الرجل والرجولة. وبين الفقه والشريعة.

محكمة النقض وتعدد الأزواج. طلاق «حنفى» من «شافعية»

غايتنا هى إسلام بلا مذاهب وقضاء محايد مرتبط بالشرع وليس بالفقه.

أبسط دليل على قصور قوانين الأحوال الشخصية أنها مذهبية ومنحازة، فهى تأخذ بالمذهب الحنفى فقط. هذا المذهب يحابى الرجل، وينتصر له ضد أسرته، فيبيح له أن يراجع زوجته بعد أن يكون قد طلّقها، بدون علمها وبغير رضاها، ولا يشترط لصحة المراجعة إشهاد شهود، فيصح له بالقول بينه وبين نفسه (راجعت زوجتى) حتى ولو لم يسمعه أحد رغم أن زوجته (شافعية) تعلم يقيناً أن مذهبها يحابى الأسرة، ويوجب إعلام المطلّقة بالمراجعة قبل انقضاء عدتها. ليس ذنب الزوجة المطلّقة أن العدالة عمياء وأن القانون أعور، لأنه لم ينص على ضرورة: ١ - أن يوثّق الزوج إعادته لزوجته بعد طلاقها. ٢ - وأن يعلمها ويعلنها بصورة حقيقية، فعليّة وصحيحة، بوثيقة الإعادة قبل انقضاء ٦٠ يوماً على طلاقها. ٣ - وأخيرا فإن نزاهة القضاء لا تشمل كتبة المحاكم والمحضرين، خاصة إذا لجأ الزوج السابق إلى محام من إياهم، الذين يستغلون ثغرات القانون ولا يسترون عوراته ويشترون شهود الزور ويحسنون تلقينهم وتدريبهم لئلا تتناقض أقوالهم فلا تأخذ المحكمة بشهادتهم. المحكمة قد تحكم بناء على شهادة الزور، ولا أحد يعرف ولا فى إمكانه أن يعرف أن هؤلاء الشهود لاصلة لهم بالمطلّقة. ما حيلة الزوجة وكيلها «الندمان» الذى قبل زواجها على مذهب أبى حنيفة النعمان؟. عقد الزواج الشرعى الصحيح يجب أن يؤمن النهاية مثل حرصه على سلامة إجراءات البداية. فإذا تحول الكره المعلن أو المستور إلى حكم مسطور، وحكم للزوج بالطاعة، ورفض أن يطلقها أو أن يعتقها كما تعتق الجوارى، فماذا تفعل؟. لماذا ينسج الرجل ثوباً من المتعة بخيوط الوهم: الوعد بالأمان والحنان، أو مصيدة عنكبوتية تسقط فيها المرأة، يضيع فيها عمرها ولاتستطيع الخلاص منها.

لماذا يبيح له القانون أن يفعل بزوجته ورفيقة عمره وأم أولاده ما يريد، ثم بعد أن يأفل الربيع، وتصبح الأثيرة أسيرة، يبسط لها القانون الشوك طريقاً، حتى لو قبلت التنازل عن كل حقوقها؟ لماذا يعين الزوج على أن يهد كيانها فتتساقط قطعة قطعة وتتبخر الحقيقة الزائفة إلى سراب، حتى الأمل يصبح محالا، مثل الفكر والخيال. فإذا حصلت الزوجة على حكم بتطليقها لسبب أو لآخر (عدم الإنفاق. العيب المستحكم - العنّة - الجب - الخصاء - الضرر الإيجابى أو السلبى - غياب الزوج أو سجنه). وإذا تأيد هذا الحكم من محكمة الاستئناف، فإن الزوجية

تعتبر من الناحيتين الشرعية والقانونية غير قائمة. انتهت العلاقة الزوجية إعمالا لقاعدة قانونية توجب «احترام حجية الحكم»، باعتباره عنواناً للحقيقة القانونية، ويكون هذا الحكم بالطلاق واجب النفاذ إلا إذا ثبت أن فيه عيباً إجرائياً. ويكون للمطلقة بعد انتهاء عدتها التى قد لاتزيد على ٦٠ يوما (المدة المقررة قانوناً للاعتراض على الأحكام بطريق النقض) والتى يمكن أن تنقضى بفواتها مدة العدة ويحق لها الزواج من آخر، فإن هى فعلت، ثم طعن المطلِّق على الحكم الصادر من محكمة الاستئناف أمام محكمة النقض، التى لاتبحث موضوع القضية، وإنما تصدر فقط حكما كاشفا للعيب الذى شاب حكم محكمة الاستئناف، وتقضى بأن هناك خطأً فى تطبيق القانون، فإن زواجها الثانى من الناحية الشرعية يعد زواجا فاسدا حتى لو أثمر بنين وبنات، ويقتضى الأمر ضرورة التفريق بينها وبين زوجها الحبيب أبى عيالها، مع عدم إلزامها بالعودة إلى زوجها الأول قاتل حبها هارب بيتها خائن عشرتها، أو رد النفقة التى كانت قد حصلت عليها بموجب الحكم الابتدائى، إلا إذا رغبت فى ذلك، أو رفعت دعوى جديدة ضد زوجها الأول، باعتبار أن العقد على زوجها الثانى، وإن بدا صحيحا، إلا أنه أضحى فاسدا، بنقض حكم الطلاق واحتمال إلغائه عند إعادة نظر القضية أمام محكمة الاستئناف بدائرة أخرى. هل تدمير المرأة، وتخريب بيتها وتشريد أولادها، وإفشال زواجها الموفق، سببه البطء فى التقاضى؟ أم تسرع الزوجة التى آثرت أن تهرب من عذابها الأول ونصيبها الأوحل بأن تضع الزوج السجان والقانون أمام أمر واقع وشرعى؟ لقد اجتهد كثيرون فى إيجاد حل لتلك المهزلة التى لايدرك مداها إلا من اكتوى بنارها. وكأن الحلول المقترحة كلها تجافى العدل والمنطق والعدل والإنسانية والمساواة والحرية، وتهدر كرامة المرأة وتحط من قدرها، وتشجعها على الهروب من الحلال إلى الضلال، وبذلك تدمر الأسرة والمجتمع، هذه هى الحلول الخمسة، علما بأن: **المقصود من كل هذه الحلول الخمسة هو تأكيد دونية المرأة.**

١ ـ اختصار درجات التقاضى وقصرها فى قضايا الطلاق على درجتى المحاكم الابتدائية والاستئنافية، وحرمان طرفى الخصومة من درجة الطعن بالنقض. لكن هذا يعنى حرمان المرأة، وهى الطرف الأضعف والأولى بالرعاية، من الطعن على الحكم إذا صدر لغير صالحها. مع ملاحظة أن القانون القائم يعطى للرجل فقط حق إبرائه من حقوقها إذا طلبت الزوجة الطلاق وأصرّت عليه.

٢ ـ قصر حق الطعن على الزوجة دون الزوج، أو على الحكم الصادر برفض الطلاق دون غيره. وهذا ينطوى والعياذ بالله!! على شبهة (عدم دستورية) القانون الوضعى الذى هو أغلى من واضعه. أغلى من الإنسان، حتى لو انطوى على شبهة (عدم إنسانية)، فضلا عن

ما يترتب عليه من حجب محكمة النقض عن إرساء المبادئ القانونية، مما يؤدى إلى انعدام وحدة التفسير القانونى لدى محاكم الدرجات الأدنى.

٣ ـ اعتبار أن الطعن بالنقض على الأحكام الصادرة فى قضايا الطلاق، ينطوى على طلب ضمنى بوقف تنفيذ الحكم المطعون عليه مؤقتاً الى حين الفصل فى الطعن بالنقض دون استلزام أن يكون الطاعن قد ضمّن صحيفة الطعن هذا الطلب. نكاح مع وقف التنفيذ!! مع إلزام محكمة النقض بسرعة الفصل فى القضايا خلال مدة لاتزيد على عام، وهذه المدة قد لاتكفى للفصل فى هذا النوع من القضايا وتداعياته الاجتماعية ذات الحساسية الشديدة بالنسبة للأسرة.

٤ ـ إلزام المأذون الشرعى بألا يزوج مطلقة معها حكم استئناف لم يثبت نقضه. إحكام الحصار.

٥ ـ إعادة إنشاء قضاء متخصص (القضاء الشرعى) على أن يتسم بالعجلة فى نظر القضايا الخاصة بالحياة الأسرية واستقرار العلاقات بين الأفراد، مع الموازنة بين ما يترتب على قطع العلاقات المشروعة، خلال مدة الفصل، من تشجيع للعلاقات غير المشروعة للطرفين والمشى على الأشواك والسير فى طريق الحرام.

المرأة هى صاحبة العصمة فعلاً:

أما الحل الأمثل فهو أن تصبح كل أنثى، صاحبة عصمة، لأنه لا إكراه فى الدين، ولا إكراه فى الحب، ولا إكراه على العشرة. كل من تريد الطلاق، أو تطلبه وتصر عليه، كل من لم ترض بنصيبها وتقبل التضحية بزوجها وأولادها يجب ألا نكرهها على دفع ثمن حريتها، حتى لا تخون زوجها أو تسلب زوج غيرها. الله يعصم الزوجة الصالحة من الناس وهى تعصم نفسها من الخطيئة. أليست هى صاحبة العصمة فعلاً: عندما يعمل الزوج، أو يغفل، أو يغيب، أو يسافر، أو يمرض، أو حتى عندما ينام، ولو ألبسها حزام العفة كما كان يفعل فرسان العصور الوسطى.

عندما كانت مصر تحت سيطرة المستعمر البريطانى أقام فيها لرعاياه وللأجانب محاكم خاصة ومدارس خاصة بل وأحياء خاصة. وكلنا يذكر المحاكم المختلطة ومدارس التبشير وأحياء جاردن سيتى والزمالك ومصر الجديدة فى القاهرة، وبور فؤاد فى بورسعيد، والرمل فى الأسكندرية. ورأت الثورة، لحكمة أدركها زعيمها الأوحد وحده، ضرورة إلغاء المحاكم الشرعية التى يحكم فيها قضاة من خريجى الأزهر الشريف والتى كانت تنظر قضايا الوراثة والزواج والطلاق والنفقة. فقرر الزعيم الخالد تطوير الأزهر وتأميم الأرض والمؤسسات الاقتصادية والمدارس، وتكميم الفكر، ولاصوت يعلو على صوته، لأن المعركة لم تكن قد

بدأت بعد ويتحول الشعار إلى لاصوت يعلو على صوت المعركة، وإن أدى الشعاران إلى نفس النكسة. لذلك كانت النكسة مريرة. فحين أراد إلغاء المحاكم الشرعية واستبدالها بدوائر الأحوال الشخصية، اختار له زبانيته، كبشين أملحين مثل كبش نجاته يوم المنشية: هما الشيخ الفيل والشيخ سيف «كضحية». فانكسر السيف حين ذبح به الفيل، مثل كبش نجاته يوم المنشية. وصدر القانون رقم ٤٦٢ لسنة ٥٥ بإلغاء القضاء الشرعي. وبعد زمن فوجئت حكومتنا الرشيدة بقضايا الحسبة، لتكفير المجتهدين، وتفرقة كل من يجرؤ على التفكير عن زوجته، فابتهج ضعاف المفكرين والكتّاب المرتزقة، فأصدرت القانون الذى يعطى للنيابة العامة وحدها حق رفع قضايا الحسبة. وحين كشفت الوقائع المأساوية، تفريق غير المفكرين عن زوجاتهم، تعدد الأزواج، والتبنى، التى نتجت عن خضوع القانون لتفسير الفقهاء، ولأن المشرّعين لم ينتبهوا إلى الثغرة الخطيرة بين الشريعة والفقه، فقد ارتفعت بعض الأصوات تنادى بضرورة عودة القاضى الشرعى باعتبار أنه الأقدر على الفصل فى قضايا يتطلب الفصل فيها، التعمق فى دراسة الشريعة الإسلامية وهو ما ينقص القاضى الطبيعى اليوم. وهذا يعنى عودة خريجى كليات الشريعة للجلوس على منصة القضاء لينظروا فقط قضايا الأحوال الشخصية، هكذا كان الوضع والحال قبل تطوير الأزهر، لكنه مستحيل بعد تطويره كفى الله العمامة شر العلوم، وكفى الله العلوم شر العمامة. لأن العلوم الطبيعية التى دخلت جامعة الأزهر لم تدخل بعد رءوس أبنائه، ولاينتظر منهم إدراك أبعادها ولا بعد قرون. كفى الله العمامة شر الفيزياء، والرياضيات والكمياء والعلوم الإنسانية وعلم الأحياء. وكفى الله العلوم شر العمامة. لو كان التخصص ضروريا، لكان أجدر الناس للفصل فى القضايا الجنائية هم ضباط الشرطة وفى قضايا البحرية هم القباطنة وربابنة وقراصنة اعالى البحار، وفى القضايا التجارية هم حيتان الانفتاح وأعضاء الغرف التجارية من التجار السمان والطابور الخامس الذى يتحكم فى أموال البنوك، وكان أجدر الناس للفصل فى جرائم المهن الطبية والهيئة القضائية والشرطة، هم الأطباء والقضاة والضباط. إن رجال الأزهر القائلين بالناسخ والمنسوخ وبأسباب النزول والذين لم يعرفوا حتى الآن معنى كلمات عربية بسيطة جدا وردت فى الآيات التى سأستشهد بها فى نهاية الفصل الثانى. لا يمكن على الإطلاق أن نطمئن إليهم فى تعريف ملك اليمين والفرق بين النفس والروح والحياة والموت وأسرار الآيات الكونية والقوانين القرآنية. لايمكن أن نسمح لهم بالحكم والتحكم فى قضايا المجتمع الحيوية.

عدم دستورية حق القاضى فى تطليق الزوجة:

كل الأحكام المترتبة على الفهم الخاطئ لآيات الله، أحكام باطلة، وأحياناً غير ممكنة التنفيذ. وقد تحكم المحكمة بتطليق زوجة طلقة بائنة للضرر، لكن إذا لم يثبت الضرر، فإن المدعى عليه، يمكن أن يقيم طعنا أمام المحكمة الدستورية العليا ويطلب إحالة جميع أوراق

القضية أمامها ووقف نظر الدعوى أمام محكمة الأحوال الشخصية، لعدم دستورية حق القاضى فى تطليق زوجة دون موافقة زوجها مع عدم ثبوت الضرر.

محكمة النقض والتفريق:

عندما يصدر لأول مرة حكم من محكمتنا العليا يؤيد تفريق مفكّر من زوجته لاعتبار ردّته عن الإسلام، وعندما يقرّر الحكم ردّة مفكر رغم إنكاره، وإصراره على إعلان إسلامه ونفى الكفر عن نفسه. وعندما يستند الحكم فى إعلان الردّة إلى قراءة بشريّة قام بها قضاة من البشر لاجتهاد بشرى قام به مفكّر، فإن الحكم القضائى هنا ينفلت خارجا من مبدأ قدسيّة الأحكام القضائية. لأننا لانكون بصدد محاكمة قانون «لواقع فعلى»، إنما بصدد محاكمة «لفكر بشرى». وعندما يحدث ذلك فى ظل مناخ ثقافى واجتماعى ترتفع فيه ألسنة لهيب التعصب وقهر الرأى والتنكّر للتسامح، وحلول الشجار محل الحوار فى الفكر والرأى، واغتيال المفكّرين ماديا ومعنويا، واعتبار حريّة الرأى والعقيدة من مستوردات الغرب وبدعه، ندرك فورا أن قضاءنا قد أصبح فى خطر.

ولاحلّ لذلك إلا بإلغاء المادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية التى تحمل القاضى فى مسائل الأحوال الشخصيّة إلى أرجح الأقوال فى مذهب أبى حنيفة.

أرأيتم؟ أبو حنيفة هو السبب فى كل هذه المظالم. ومذهبه هو الذى يقهر الرجل حين يفكّر والمرأة إذا طلقت.

أودعت محكمة النقض دائرة الأحوال الشخصية حيثيات حكمها بتأييد حكم الاستئناف بالتفريق بين الدكتور نصر حامد أبو زيد وزوجته الدكتورة ابتهال يونس، وأكّدت المحكمة أن الثابت من مصنفات أبو زيد وفقاً لصريح دلالته أنها تضمنّت:

١ ـ جحداً لآيات القرآن الكريم. ٢ ـ وإنكارا لسابق وجوده فى اللوح المحفوظ.

٣ ـ وسخرية من تطبيق الشريعة وأحكام الجزية وملك اليمين ـ المحكمة فرقته عن زوجته لكنها لم تمنعه من التدريس ووصول أفكاره لآلاف الدارسين وملايين المتمسكين بحقوق الإنسان والمتجاهلين لحقوق الله. هذا الحكم غريب وعجيب لأن الزوجة لاتوافق على التفريق ولم تطلبه بل وتصر على استمرار زواجها.

١ ـ المحكمة رفضت: موافقته على المثول أمامها لو أعلنته.

٢ ـ المحكمة رفضت: أن تطبق القانون رقم ٨١ لسنة ٩٦ الذى صدر لحماية أصحاب الرأى فى «دعوى الحسبة» والذى يشترط لقبول الدعوى أن يكون لرافعها مصلحة شخصيّة وقائمة.

٣ ـ المحكمة رفضت: الأخذ برأى فضيلة المفتى السابق وشيخ الأزهر الحالى بأنه لايجوز تكفير أى شخص بناء على كتاباته ويجب مساءلته شخصيا.

وأصدرت حكما لامجال للطعن فيه ولامحل للاستشكال فى وقف تنفيذه.

ومع ذلك فإن الحكم موقوف تنفيذه بقوة القانون لأن الحكم أصبح لاصاحب له إذا فقد المحكوم لهم الصفة والمصلحة فى تنفيذه ولم يعد لهم الحق فى طلب التنفيذ. أى انتهى الأمر كله إلى إهانة الإسلام بشكل أكبر وأعمق مما كان يهدف إليه المحكوم عليه نفسه لو ثبت أنه مذنب.

صدور الحكم رغم أنف الزوجة وفى غياب الزوج ودون سماع دفاعه إهدار لحقوق الإنسان هل يعقل أن تنعقد هيئة أعلى المحاكم لتحكم «زواج ابتهال من نصر باطل» دون استتابته؟ ماهى التهمة؟ إنه يزعم أن الشريعة سبب انحطاط المسلمين. إنه يقصد الفقه وهذا صحيح. إنه ينكر حجيّة السنّة وهذا أيضا صحيح لأنه لا يقصد السنّة الصحيحة. إنه يقصد الأحاديث الضعيفة والمرويات المسيئة للإسلام. راجع رأى الراحل الكريم محمد الغزالى: الواقع أن الفقهاء بتفسيراتهم العجيبة المريبة ورواة الأحاديث السخيفة والقائلين بالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول هم سبب انحطاط المسلمين أما إذا قال وقصد وصمم أن «القرآن منتج ثقافى» وأن «الغيب خرافة». فتبت يدا أبى زيد وتب ما أغنى عنه علمه وما كسب.

القاعدة الشرعية لا يجب أن تُمس فى أى مكان أو زمان، وقواعد القرآن والسنة الصحيحة ثابتة لايشوبها أبدا أى قصور، قادرة على مواجهة كل العصور. مواجهة بالحجة والمنطق والإقناع والحسنى، ليس بالقوة ولا بالسيف ولا بالتكفير والتفريق واستحلال المال والدم والعرض. والله، خالق الزمان والمكان والبشر، يعلم مبدأهم ومنتهاهم. لكن البشر، ومنهم الفقهاء، لايعلمون إلاجزءاً من زمانهم وجزءاً من مكانهم وجزءاً من البشر المحيط بهم لذلك كانت آراؤهم وتفسيراتهم قريبة من بيئة ذلك الزمان وذلك المكان.

محكمة النقض والجان:

طعن نقض جنائى لسنة ٤٩: يستغل بعض الدجالين والمشعوذين تردد بعض النساء عليهم ممن يعتقدن فى أعمال السحر والدجل فيتصورون أن هؤلاء الضحايا قد أتين إليهم طائعات مختارات. وأن ذلك يخول لهم الحق فى العبث بأجسادهن وأعراضهن، بزعم أن ذلك إنما يتم بأمر الجان وسلطانه، وأنهم لا إرادة لهم فيه. لكن الحقيقة ان سلب المال والاستيلاء عليه من الضحية تتوافر فيه الأركان القانونية لجريمة النصب والاحتيال مادة ١٣٦ من قانون العقوبات أما إذا استطال الفعل الإجرامى إلى جسد المرأة والاعتداء على عوراتها فتتحقق جريمة هتك العرض مادة ١٦٨ . وقد أصدرت محكمة النقض عدة مبادئ فى هذا الشأن حسمت بها أى جدل يمكن أن يثار فى مدى توافر الأركان القانونية لتلك الجرائم التى يرتكبها من يتظاهر بالنوم فى حجرة مظلمة مدّعيا أن الجن قد تقمّص جسده ثم

يطلق فراشات تحوم حول الجالسين فيهيأ لهم أنها الجن ويطلق البخور وإشارات ضوئية تسلب المجنى عليها إرادتها ويكون قد وضع مسبقا بيضة فى محلول حامض الخليك لتلين قشرتها ثم يشقها وينزع محتوياتها ويضع داخلها مخلب طائر أو أوراق مكتوبة برموز غير مفهومة ويعيد غلقها. وبعد إضاءة الأنوار يكسر البيضة ويخرج ما بداخلها ليوهم المجنى عليها أنه أخرج السحر الذى كان سببا فى مرضها أو عقمها. ثم يدخل فى روعها قدرته على علاجها من العقم بالاستعانة بالجان، فيتحسس البطن والثديين وينزل سروالها ويضع يده فى فرجها.

ذكرت هذه القضية بالتفاصيل المؤلمة المحرجة لأسأل فضيلة صاحب الشياخة: ماذا يحدث إذا حملت من اغتصبها هذا الدجال الفحل، وتبين أن العيب الذى كانت تظنّه فى نفسها هو فى الحقيقة فى زوجها العقيم؟ ماذا تفعل ياسيدنا إذا كانت هذه المسكينة ابنتك أو زوجتك؟

عقد الخطبة عند المسيحيين.. لماذا لايلغى؟

نصت المادة ٥ من القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ الصادر فى ١٩٥٥/٩/٢٤ على أن «تتبع أحكام قانون المرافعات فى الإجراءات المتعلقة بمسائل الأحوال الشخصية والوقف التى كانت من اختصاص المحاكم الشرعية والمجالس الملية» كما نصت المادة ٦ منه على أن تصدر الأحكام فى المنازعات التى كانت أصلاً من اختصاص المحاكم الشرعية طبقاً لما هو مقرر فى المادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم المذكورة أما بالنسبة للمنازعات المتعلقة بالأحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين والمتحدى الملة والطائفة الذين لهم جهات قضائية ملية منظمة وقد صدر هذا القانون فتصدر الأحكام فى نطاق النظام العام طبقاً لشريعتهم.

وقد لوحظ فى السنوات الأخيرة الزيادة المطردة لقضايا الأحوال الشخصية لدى المذاهب المسيحية الثلاثة بطوائفها العديدة (٤ فى الأرثوذكسية و٧ فى الكاثوليكية و١٦ فى البروتستانتية) مما يرهق أعضاء المجالس الإكليريكية والدوائر القضائية التى تطرح عليها هذه القضايا للفصل فيها ويزيد من معاناة أصحابها فى الحصول على حقوقهم.

ومن بين موضوعات الدعاوى المعقدة «الخطبة» وهو العقد الذى يتفق فيه الرجل والمرأة على الزواج ببعضهما فى أجل محدد فهو وعد مكتوب ولكنه غير لازم ويجوز الرجوع فيه فى أى وقت.

وقد تضمنت شرائع الطوائف المسيحية السبعة والعشرين العديد من القواعد الإجرائية والموضوعية التى تحكم هذا العقد والتى يختار فيها القاضى والمحامى وأصحاب الشأن:

١ ـ تبدأ بالتحريات الواجبة قبل تحريره من التحقق من شخصية الطرفين وعدم وجود

موانع تمنع من إتمامه وأنهما سيبلغان السن المقررة للزواج فى الموعد الذى يحددانه وهى سن تختلف من طائفة لأخرى.

٢ - ثم يعقبها تحرير لوثيقة الخطبة التى يحررها رجل الدين وتتضمن بيانات عديدة لكل من الطرفين وولى القصر منهما والشهود الذين يجب أن تتوافر فيهم جميعاً شروط معينة والموعد المحدد لإتمام عقد الزواج وقيمة المهر وشروط الوفاء وقيمة الشبكة.

٣ - ثم الإعلان عن الوثيقة وتعليق صورة من ملخصها بالكنيسة وفتح باب الاعتراض عليها وفحص هذه الاعتراضات والبت فيها، وإذا لم يتم الزواج خلال المدة المحددة تعاد نفس الإجراءات مع مراعاة موانع الخطبة بسبب القرابة والمصاهرة والرضاع والتبنى أو غيرها وكلها إجراءات يكلف بها رجل الدين، ومع هذا فإن هذا العقد لايتم توثيقه عن طريق موثق منتدب بقرار من وزير العدل إذ أنه مجرد عقد يجوز الرجوع فيه فى أى وقت.

٤ - ثم نأتى إلى فسخه الذى قد يتم إذا وجد سبب من الأسباب المانعة إذا انتظم أحد الطرفين فى سلك الرهبنة (عند الأرثوذكس) أو فى سلك الكهنوت والرهبنة (عند الكاثوليك) أو إذا اتفق الطرفان على فسخ العقد بمحضر ولايشترط أيضاً توثيق محضر الفسخ، أو إذا اعتنق أحدهما ديناً آخر بعد الخطبة أو انضم لمذهب أو طائفة أخرى، أو إذا تزوج أحدهما شخصاً آخر أو إذا ارتكب أحدهما جريمة مخلة بالشرف وحكم عليه بالسجن أكثر من سنة، أو إذا غاب أحدهما لجهة غير معروفة للطرف الآخر أو بغير رضاه لأكثر من سنة (عند البروتستانت) أو لأكثر من سنتين (عند السريان الأرثوذكس) وكلها أسباب واردة تنشب عنها الخلافات وتثور بسببها المنازعات وتتضخم بسببها ملفات المجالس الإكليريكية ودوائر المحاكم إلى جانب الدعاوى المندية التى ترفع بطلب الفسخ ودعاوى التعويض للعدول عن الخطبة بغير مبرر مما يستوجب التعويض الذى يخضع لتقدير المحكمة لاسيما فيما يتعلق بالهدايا المتبادلة أثناء الخطبة من مهر وجهاز وشبكة التى تفشل غالباً الكنائس فى إجبار الطرفين على حسمها لعدم توافر السلطات القادرة على الإجبار.

لقد كانت الخطبة تتم بغير حضور رجل الدين وبدون مراسم أو إجراءات أو صلوات أو احتفالات تكبد أصحابها الكثير بل كانت مجرد اتفاق بسيط بين طرفيها، ولهذا لم تذكر بعض شرائع الطوائف المسيحية شيئاً عنها إذ كانت تتم خارج الكنائس وتتعلق فى الأساس بأمور مادية مدنية تحكمها القواعد العامة فى كل العقود، ولم يكن يزج بالدين فى كل صغيرة وكبيرة بغير مسوغ حتى سعى المنتفعون لإعطاء هذا العقد صبغة دينية يتربحون من ورائه عن طريق مايزعمونه من رسوم وهمية غير واردة بأية شريعة ومايدعونه من وساطة للتوفيق بين الطرفين قبل وأثناء الخطبة وعند حدوث خلافات بين الطرفين ومايفقه الأهل فى حفل الخطبة من مصروفات.

وليت الأمور تعود إلى ماكانت عليه فتلغى جميع الأحكام الواردة بشرائع الطوائف المسيحية الخاصة بالخطبة وتعود عقداً مدنياً رضائياً محضاً خاضعاً لظروف طرفيه وإرجاء كل الإجراءات لحين إتمام عقد الزواج تخفيفاً عن قضاتنا سواء كانوا أعضاء بالمجالس الإكليريكية أو بالدوائر القضائية وتحديد السلوكيات الاجتماعية السائدة تخفيفاً للأعباء المادية وعودة إلى طريق المجتمع المدنى. «وتعرفون الحق والحق يحرركم».

فى قانون الأحوال الشخصية لغير المسلمين:

الإبقاء على الزواج الكاثوليكى وتطبيق مبدأ التفريق فقط. تحديد سن الطفل الصغير طبقاً لقانون الأحوال الشخصية للمسلمين:

مشروع القانون الموحد للأحوال الشخصية لغير المسلمين فى مصر.. تضمن المشروع عدة مبادىء وأحكام عامة من بينها عدم الإخلال بالشرائع والمبادىء الدينية الخاصة بكل طائفة والإبقاء على مبدأ عدم انحلال الزواج الكاثوليكى إلا بالوفاة كما استحدث الأخذ بمبدأ التفريق بين الزوجين مع الإبقاء على الزواج قائماً إذا استحكم الخلاف بينهما وصارت الحياة المشتركة بين الزوجين مستحيلة وفشلت المصالحة الكنسية بينهما، صرح بذلك المستشار ملك مينا مقرر اللجنة التى عهد إليها وضع هذا المشروع وقال إن المشروع قد نظم أحكام التفريق بين الزوجين بما يتفق وشرائع المذاهب المختلفة وأورد تعديلاً على أسباب التطليق التى تضمنتها لائحة الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس الصادرة عام ٣٦ وقصرتها على الأسباب التى تتفق وأحكام الكتاب المقدس كما استحدث المشروع بعض أحكام تقدير النفقة بين الزوجين والأقارب مسترشداً بقانون أحكام النفقة عند المسلمين خصوصاً فى شأن النفقة المؤقتة وطريقة تنفيذها.

وفى شأن حضانة الأطفال قال المستشار ملك مينا إن المشروع قد اعتد بسن الطفل الصغير الذى جاء فى قانون الأحوال الشخصية للمسلمين خاصة بعد أن قضت المحكمة الدستورية بعدم دستورية النص الخاص بسن الحضانة فى لائحة عام ١٩٣٨ وجعلت الأصل فى الحضانة الاعتداد بمصلحة الصغير.

كما تضمن المشروع كذلك مسائل أخرى كثيرة روعى فيها أن تكون جميعها متفقة مع أحكام العقيدة المسيحية لدى كافة الطوائف فى مصر.

وفى النهاية أشار المستشار ملك مينا إلى أن المشروع الجديد قد أرسل إلى وزارة العدل لمناقشته وعرضه على الرئيس حسنى مبارك لإحالته إلى مجلس الشعب.

الكنيسة والطلاق:

هذه قضية هامّة وحسّاسة وشائكة. لها جذورها الدينية والاجتماعية. تصدر المحاكم

٥٠٠٠ حكم طلاق سنويا بناء على لائحة الأحوال الشخصية للأقباط التى صدرت سنة ٣٨ «اللائحة الملكية» بعد اجتماع المجلس الملّى والمجمع المقدس برئاسة البابا «يوانس التاسع عشر». والمشكلة أن الكنيسة لاتصرّح للمطلقين بالزواج. وكان على رأس الأسباب التى تجيز الطلاق فى تلك اللائحة «اللائحة الملكية» ثمانية أسباب منها:

١ ـ الزنى. ٢ ـ تغيير الدين المسيحى. ٣ ـ عدم قدرة الزوج على الإنجاب ـ لم تذكر الزوجة. ٤ ـ اعتداء أحد الزوجين على الآخر بما يسبب إيذاء جسيما. ٥ ـ شذوذ سلوك أحد الزوجين واستحالة إصلاحه. ٦ ـ نفور لمدة متصلة تصل إلى ٣ سنوات. ٧ ـ ترهبن أحد الزوجين فى أحد الأديرة. ٨ ـ سجن أحدهما لمدة ٧ سنوات.

وظلّت المحاكم تعمل بناء على هذه اللائحة حتى تم إعداد لائحة جديدة سنة ٥٥ «اللائحة الناصرية» حذف منها سببان من أسباب الطلاق:

١ ـ سوء السلوك. ٢ ـ السجن لأحد الزوجين.

وظلت أحكام الطلاق تصدر حتى الآن، من المحاكم، بناء على لائحتى ٣٨ و٥٥ وفى عام ٧٩ تم إعداد لائحة جديدة للأحوال الشخصية للأقباط «اللائحة الساداتية» وافق عليها رؤساء الطوائف المسيحية. وقد حددّت هذه اللائحة أسباب الطلاق بسببين فقط لا ثالث لهما وهما ١ ـ الزنــا ٢ ـ تغيير الدين. ومازالت المحاكم لاتأخذ فى أحكامها بتلك اللائحة، ومن ثم فقد أصبح هناك تناقض واضح بين أحكام الطلاق الصادرة من المحاكم وبين تصريح الكنيسة بالزواج للمحكوم لهم بالطلاق مما تسبب فى مشكلة اجتماعية خطيرة، حيث إن الحاصلين على أحكام طلاق قد وصلوا إلى طريق مسدود، لارجعة فيه ولا منه. علماً بأنهم قد حصلوا على هذه الأحكام بناء على لائحة تم إعدادها وإقرارها من الكنيسة ممثّلة فى المجلس الملّى والمجمّع المقدس برئاسة البابا:

١ ـ فهل كانت الكنيسة فى ذلك الوقت تعمل بغير ماشرع الإنجيل؟

٢ ـ هل عند إصدار هذه اللائحة كانت قرارات المجالس الملّية تتناقض مع النصوص الدينية؟

٣ ـ أم أنه لم تتم دراسة اللائحة التى وافقوا عليها فى ضوء التعاليم المسيحيّة؟

٤ ـ أم أن القضيّة لخطورتها وآثارها الفادحة قد جعلت الكنيسة تجد الحلول الواقعية لمشاكل الأقباط المعيشية بتفسير غير متعنّت للإنجيل؟ وهنا نسأل:

٥ ـ ما هو وضع جميع الزيجات التى تمت بتصاريح من الكنيسة بعد طلاق تم بأحكام لائحة ٣٨، هل أصبحت تلك الحالات، حالات زنى؟

٦ ـ إذا كان لايوجد طلاق إلا لعلّة الزنى، كما جاء فى الإنجيل، فهل يمكن أن نعرّف الزنى؟ وهل يوجد نص فى الإنجيل يعرّف الزنى؟

الآية الوحيدة الواردة في الإنجيل هي «من نظر إلى امرأة واشتهاها فقد زنى بها» ومعنى هذا حرفيًا، طلاق غالبية الأقباط، لأن الاشتهاء ذاتي لايعلمه سوى الشخص المشتهي. وإذا كانت الكنيسة تصرّح للمطلقين بعلّة الزنى، بالزواج حسب النص، فكيف تصرّح الكنيسة بزواج المطلّقة؟ خاصة أنه توجد في الإنجيل آية تقول «من تزوج بمطلقة فقد زنى بها» نحن لانريد أن نفسّر الآيات تفسيرا متعنتاً ولا تفسيراً مخلا في غير سياقه، لكن يجوز لنا أن نسأل: لماذا الدين؟ الأديان جاءت لسعادة الإنسان لا لشقائه. ولأن مشكلة الطلاق شائكة وشائنة اجتماعيا ودينيا، فالمضطر يركب الصعب، ومكره أخاك لا بطل، وبالتالي فإن من يريد الطلاق فأمامه طريقان، الانحراف أو الارتداد.

الطلاق لغير علة الزنى في المسيحية:

تعدد الزوجات في المسيحية:

يقول القس إبراهيم عبدالسيد، راعي كنيسة مار جرجس بحدائق المعادي:

كان إبراهيم متزوجاً من سيدتين: سارة، ولما لم تلد له ابناً لشيخوختها تزوج جاريتها هاجر بموافقتها ودون أن يطلقها وولدت له إسماعيل (سفر التكوين ٦١) وكان يعقوب متزوجاً من شقيقتين: ليئة وراحيل ابنتي خاله «لابان» الأولى بخديعة والثانية برضاه تعويضاً له، ولما لم تلدا، تزوج بأخريات (سفر التكوين ٢٩) كان هذا في العهد القديم، أما في العهد الجديد فقد اقتصر الزواج على واحدة ولا طلاق إلا لعلة الزنى. «ومن يطلق امرأته إلا لهذه العلة يجعلها تزني، ومن يتزوج بمطلقة فإنه يزني» (إنجيل متى ٥ :٢١ ٢٦) فما هو الزنى الذي يسمح بالتطليق ومن ثم بالتصريح بالزواج الثاني؟ في بداية القرن التاسع عشر عقد أحد كرادلة كنيسة روما (بأمر من البابا بيوس السابع) عقد زواج نابليون على زوجته: جوزفين ومنح البابا العروس «البركة البابوية» في اللحظة التي ألبسها فيها نابليون التاج الإمبراطوري، ولهما صورة تاريخية محفوظة بمتحف اللوفر بباريس، ولما لم تنجب له ولدا قام ثلاثة من الكرادلة بتزويجه بالأميرة ماري لويس ابنة ملك ألمانيا، وفي حياة زوجته الأولى جوزفين التي ظلت تحمل اللقب الإمبراطوري ولم تنقطع صلتها بزوجها، وقد أنجبت ماري لويس ابناً سمّي فيما بعد بنابليون الثاني ملك روما، وللزواج الثاني صورة أخرى محفوظة بنفس المتحف وصورة تذكارية ثالثة لماري لويس وهي تحمل طفلها (نابليون الثاني).

في ١٩٣٨/٧/٨ أصدر المجلس الملّي العام للأقباط الأرثوذكس اللائحة الحالية للأحوال الشخصية في عهد البابا يؤانس التاسع عشر وبها عشرة أسباب تسمح بالحكم بالتطليق (لغير علّة الزنى) في ١٩٥٨/٥/١٢ كتب الأستاذ عباس محمود العقاد مقالا في «الأخبار» بعنوان «مشكلة تعدد الزوجات بين المسيحيين» ذكر فيها خلو أسفار الإنجيل من نص صريح يمنع تعدد الزوجات وقد أثار هذا المقال بعض التعليقات. وقد أثار البعض في

الأيام الأخيرة مشكلة التصريح بالزواج الثانى بعد التطليق لغير علّة الزنى، وطالب البعض بإلغاء لائحة ١٩٣٨ كلية والاقتصار على السبب الوحيد الوارد ذكره فى الإنجيل لقفل باب تصاريح الزواج.

الترتيل يكشف عن روح الكتاب وعن جوهره:

فما هو الزنى الذى تسمح مواد اللائحة بموجبه بالتطليق ومن ثمّ بالتصريح بالزواج الثانى وبتعدد الزوجات؟. يقينا ليس هو الزنى الفعلى بممارسة الجنس، والضبط بالتلبس، وشهادة الشهود، فالنظرة الشريرة ومجرد الفكر الشهوانى زنى بالمفهوم الروحى المسيحى الأصيل، والوقوف عند ظاهر النص بأفق ضيق هو قصور وتشدد لامبرر لهما، فليست المفاهيم الروحية مجرد آية واحدة أو أجزاء منها أو حتى بضع آيات، وفصل آثارها عن ظروفها،وملابساتها عن المعنى العام، أما الباحث المستنير الذى يتوخى الحق فإنه يجمع كل الآيات والنصوص المتعلقة بموضوع بحثه وهو مانسميه نحن رجال القانون بروح القانون. التى يتشدق بها المطالبون بإلغاء لائحة ١٩٣٨ . فاستكمالا لآية «لا طلاق إلا لعلة الزنى» جاء فى نفس الإصحاح الخامس من إنجيل متّى «إن أعثرتك عينك اليمنى فاقلعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك.كله فى جهنم» فمن من البشر لم تعثره عينه بنظرة شريرة أو شهوانية فيكون زانياً ومطلقاً من زوجته؟ وهل يمكن لمسيحى أن ينفّذ هذه الوصية ويقلع عينه؟

الحلول الدمويّة مرفوضة فى المسيحيّة.

قطع اليد والخصاء غير مقبول من الكنيسة فإن المسيحية ضد بتر أعضاء الجسد لأنها أعضاء مقدسة ممنوحة من الله للإنسان وينبغى الحفاظ عليها ولا إصلاح للفرد ببتر عضو من أعضائه، فتقويم الإنسان يبدأ من القلب والفكر بتعديل فساد الأهواء والشهوات، والقديس سمعان الخراز لم يصر قديساً بعد أن خلع عينه بل لإيمانه وصلواته، والعلامة أريجينوس رفضته الكنيسة ومنعته من الكهنوت لأنه خصى نفسه، والزنى بالمفهوم المسيحى العقيدى هو الكفر بالله وإنكاره وعبادة آلهة أخرى غيره.

وقد وردت بالمواد ٥٢ ـ ٥٦ الأسباب الآتية التى تجيز الحكم بالتطليق لغير علّة الزنى لكنها تقود كلها إليه بالسقوط فى الخطيئة:

١ ـ فغياب أحد الزوجين خمس سنوات متتالية بحيث لايُعلم مقره، ولا تُعلم حياته من وفاته. وصدور حكم بإثبات غيابه (المادة ٥٢) وكذا الحكم على أحد الزوجين بعقوبة الأشغال الشاقة أو الحبس لمدة ٧ سنوات فأكثر (المادة ٥٣)، فقد لايحتمل الطرف الآخر الحرمان من المعاشرة الجنسية فيسقط فى الزنى.

٢ ـ وإصابة أحد الزوجين بجنون مطبق أو بمرض مُعد يُخشى منه على سلامة الآخر ومضى ٣ سنوات وثبوت عدم القابلية للشفاء، أو إصابة الزوج بمرض العنّة (العجز الجنسى الدائم) وثبوت استحالة شفائه، وكون الزوجة فى سن يخشى عليها من الفتنة (المادة ٥٤) وعدم إمكانية الطرف الآخر ضبط النفس، ألا يستحق التطليق أم نجبره على البقاء فى علاقة زوجية ميئوس من علاجها ونحمّله أحمالاً لا قدرة لها (أوله) على حملها حتى يقع فى الزنى؟

٣ ـ واعتداء أحد الزوجين على حياة الآخر أو اعتباره إيذاءً جسيماً يُعرّض صحته للخطر (المادة ٥٥). ألا يدفع هذا الطرف إلى التماس الحنان لدى طرف غريب ويسلّمه جسده فيمارس معه الزنى؟

٤ ـ وإساءة سلوك أحد الزوجين وفساد أخلاقه وانغماسه فى حياة الرذيلة وعدم جدوى التوبيخ من الرئيس الدينى ونصائحه للإصلاح (المادة ٥٦) وتعذر المعيشة بين الزوجين وسوء التفاهم بين الطرفين إلى حد الكراهية وعدم اقتصار هذا الحد على الضرب والجرح بل قد يؤدى إلى القتل، فكيف نجبر الطرفين على الحياة معاً وروح البغض والانتقام قد تؤدى إلى ارتكاب المزيد من الأخطاء أقلها الزنى، انتقاماً من الطرف الآخر!

٥ ـ وإساءة أحد الزوجين معاشرة الآخر أو إخلاله بواجباته نحوه إخلالاً جسيماً مما يؤدى إلى استحكام النفور بينهما وافتراقهما عن بعضهما لمدة تزيد على ثلاث سنوات فهل ننتظر حتى يسقط الطرف البرىء فى الزنى، وبدلاً من أن نحكم له بالتطليق، نحكم عليه كجانٍ وأثيم! فلماذا نتخلى عن هؤلاء وغيرهم ونجبرهم على الحياة قسراً مع أزواج أشرار والطبيعة تلاحقهم بمطالبها النفسية والجنسية والاجتماعية والاقتصادية ولايمكن أن يكون السيد المسيح عليه السلام نفسه قد قصد المفهوم الضيق والأفق الغبى بما قاله فى الآية: «لا طلاق إلا لعلّة الزنى». وعلينا أن ندافع عن النصوص الحكيمة التى جاءت بها لائحة ١٩٣٨ المفترى عليها والتى يطالبون بإلغائها إرضاء لنزعة تحكميّة مريضة. إن التعدد ممنوع طوال بقاء العلاقة الأولى، والطلاق ممنوع بالإرادة المنفردة، ولكن الرحمة مطلوبة «وتعرفون الحق والحق يحرركم».

كيف يفكر الأقباط المتنورون؟

لايطلب جمال سعد إباحة الطلاق، لأن الطلاق أبغض الحلال، ولكنه يرى أن الحل هو:
١ ـ أن يضم المجمع المقدس أقباطاً علمانيين عند مناقشة مثل هذه الأمور، لأن المتزوج يحس بمشاكل المتزوجين، وفاقد الشيء لايعطيه. ٢ ـ يجب أن يكون النظر إلى النص فى إطار سعادة الإنسان.

ويرى كمال زاهر، أن الطلاق فى المسيحية إشكالية اجتماعية تُثقل كاهل عدد كبير من الأقباط. ويرى أننا لانستطيع طرح هذه المشكلة باعتبارها قضية مستقلة نبحث لها عن حل سواء بالتشديد أو التخفيف، وإلا صرنا كمن يبحث فى النتائج دون أن يقرب الأسباب.

وبعيداً عن النصوص القانونية أو اللوائح المختلف عليها التى تحكم أركانها، فإن طرح القضية بشيء من الواقعية الملتزمة بالأطر الإنجيلية والآبائية يوضح أن الشرع الكنسى قد اصطبغ فى غالب الحال بصيغة رهبانية، ويرى الأمور الشعبية الحياتية من منظور فوقى فتأتى رؤاه جافة لاتتلامس مع واقع الحال عند القاعدة الكنسية العريضة. وفى ظل الموروث الشعبى الذى تنامى وتأصل تحت قيادة هذا التيار، وبإيعاز منه، صار الاقتراب من أحكام ورؤى القاعدة الكنسية وكأنه إثم يستوجب التوبة وعصيانه يتطلب السعى للمغفرة.

ملحوظة: إذا استبدلنا كلمتى «الشرع الكنسى» بـ«الفقه الإسلامى» و«القاعدة الكنسية» بـ«القاعدة الإسلامية» فإن الرجل يتكلم أيضاً بلسان المسلمين.

تنحصر المشاكل الأسرية فى:

(أ) سوء الاختيار من الجانبين نتيجة قصور فى استيعاب مفاهيم الزواج وأبعاده بحسب الرؤية المسيحية الصحيحة، والمسئول عن ذلك هو اختفاء خدمة الإعداد للزواج داخل الكنيسة «أسقفية الشباب» بما لديها من كوادر خدام يتم إعدادهم فى هدوء ومثابرة بفضل سعة أفق الأسقف المسئول.

(ب) انعدام الأساس الروحى نتيجة خلل فى التنشئة الأسرية فضلاً عن محدودية المتابعة الروحية وهذا مسئولية «أسقفية التعليم» من خلال خدام مدربين دارسين لأبعاد المشاكل الأسرية اللاحقة للزواج.

(جـ) عدم القدرة على تحمل الأعباء الاقتصادية والالتزامات الأسرية، والمسئول عن ذلك هو قصور خدمة مابعد الزواج.

الحل كما يراه الأقباط هو:

أولاً: الحل العملى هو إنشاء آلية روحية اجتماعية اقتصادية فى شكل منظمة كنسية لرعاية الأسر المسيحية. ومن خلالها توظف الموارد المالية الكنسية وكذلك الطاقات الفكرية. باعتبار أن المشاكل الأسرة إذا تراكمت وتفاقمت كان مآلها الطلاق حتماً وهذا شيء يماثل لجنة «مصابيح الهدى» التابعة للأمانة العامة للجان الخيرية التى تقوم بعمل خيرى تستحق عليه الشكر والثناء وحتى «جائزة نوبل للسلام الأسرى» إذا مانجحت فى هذا المشروع الطموح جداً وهذا العمل الذى يحمل عنوان «مشروع الفرحة للترابط الأسرى» مبتكراً جداً وطموح جداً ويستحق جائزة عالمية ويستأهل التأميم لصالح البشرية جمعاء. فمن العالم المتمدين إلى

مجاهل أفريقيا مروراً بما بين المحيط والخليج، ومنذ ادم وحواء حتى تشارلز وديانا يواجه العالم عقدة يصعب حلها وتتلخص فى إيجاد الخلفية المثالية للتعامل بين الزوج والزوجة للحفاظ على أسرة سعيدة.

والحل هو إنشاء صندوق لدعم الأسر المسيحية لتنمية مواردها من خلال توظيف سليم للموارد الكنسية المتنامية والمتزايدة، المتراكمة والمعطلة، بالإسهام فى مشروعات الشباب ومشروعات الأسر المنتجة والمشروعات الصغيرة والمشروعات الكبيرة المجمعة، وخاصة أن الخريطة الاجتماعية للأقباط قد تغيرت على نحو درامى، فاختفت العائلات القديمة من قمة الهرم ومن ساحة البزنس «المليونيرات» كوتة، أندراوس، بباوى، عبيد، سيدهم، فاخورى، عبدالنور، باسيلى، حبش، سابا، واكتست الواجهة الاجتماعية والمالية بعائلات جديدة وأسماء مختلفة «المليارديرات» غبور، غالى، برزى، أيوب، رزق، بشارة، ساويرس: رأس مال شركاتها مليارات الجنيهات وهى ليست سوارس العائلة القديمة. هذه العائلات الجديدة تتحدث بالمليارات ولا تلعب إلا بها. قفزت فوق الحدود لتستقبلها الدول الأجنبية بأعلى مظاهر البروتوكول، المرجع هو دليل بالغ الدقة اسمه Kompass. لابد أن يكون لهذه العائلات دور فى تنمية الأسرة المسيحية.

ثانياً: وضع الأطر القانونية التى تتسق مع ثوابت الإنجيل:

(أ) ضوابط تحكم فترة الخطوبة وماقبل الزواج وما بعده

(ب) إعمال التحكيم بين الأزواج. وجود أكثر من رجل قانون من كبار ثقاة المستشارين فى المجلس الملى ييسر أمر إعداد مشروع قانون متوازن وشرعى ومعاصر للأحوال الشخصية للمسيحيين للخروج بهم من الدائرة المغلقة عمداً بإحكام وبلا مبرر، زوجة واحدة ولا طلاق، هذا وضع بالغ الخطورة، فإذا كان شرط الزوجة الواحدة واجباً بنص الإنجيل فإن الشرط الثانى، لا طلاق، مستحيل بنص الإنجيل أيضاً.

بعض مايترتب على الطلاق:

حضانة الطفل:

أقام أحد الأقباط دعوى أمام محكمة الأحوال الشخصية، الدائرة المليّة، يطلب فيها ضم ابنه الذى بلغ سنه ٨ سنوات إلى حضانته طبقاً لنص المادة ١٣٩ من لائحة الأحوال الشخصية للأقباط الأورثوذكس والتى تنص على أن مدة الحضانة تنتهى ببلوغ الصبى ٧ وبلوغ الصبية ٩ سنوات «ماذا لو كانا توأماً ذكر وأنثى»؟ التفرقة الجنسية بين الأشقاء، وحينئذ يسلّم الصغير إلى أبيه، أو عند عدمه، إلى من له الولاية على نفسه، فإن لم يكن له ولى يترك الصغير عند الحاضنة إلى أن يرى المجلس الملّى. تحولت سلطته الآن إلى محكمة الأحوال

الشخصية ـ من هم أولى منها باستلامه. وهذا النص يعنى حرمان الأم من حضانة ابنها أو ابنتها بمجرد الوصول إلى السن التى حددتها اللائحة، ولا يعطى النص للمحكمة الفرصة فى ترك الصغير فى حضانة الأم حتى لو كان الأب فاسداً أو كانت مصلحة الطفل أن يكون مع أمه ـ عكس القانون رقم ١٠٠ لسنة ٨٥ الذى نظم حضانة الأطفال على أساس الشريعة الإسلامية والذى ينص فى المادة الـ ٢٠ على أنه ينتهى حق حضانة النساء ببلوغ الصغير سن العاشرة والصغيرة سن الثانية عشرة، ويجوز للقاضى عند هذه السن إبقاء الصغير حتى سن ١٥ والصغيرة حتى تتزوج، فى يد الحاضنة دون أجر حضانة إذا تبين أن مصلحتها تقتضى ذلك. ولذلك طعن محامى الزوجة فى عدم دستورية المادة ١٣٩ من لائحة الأقباط الأورثوذكس وقال إن الشريعة الإسلامية هى شريعة النظام العام وأن القانون ١٠٠/٨٥ المستمد من الشريعة الإسلامية هو الواجب التطبيق على المصريين جميعاً. لأن القانون أسمى من اللائحة. وخاصة أنه لم يذكر فى الشريعة المسيحية نص عن حضانة الأطفال مما يعنى إمكانية تطبيق الشريعة الإسلامية فى هذا الشأن. واختصم المحامى البابا شنودة، فقام البابا بإرسال مذكرة إلى المحكمة الدستورية العليا قال فيها:

«... أرى من المناسب أن أضع تحت نظركم رأى الكنيسة القبطية فى مسألة تحديد سن حضانة الأطفال على ضوء المادة ١٣٩ التى تطبقها المحاكم الآن، وأرى من المناسب أن أقدم لهذا الرأى بأمور عامة ولازمة:

١ ـ إن نصوصاً قاطعة الثبوت، قاطعة الدلالة، تحكم الأقباط فى مسائل الأحوال الشخصية من بينها: (أ) شريعة الزوجة الواحدة. (ب) لا طلاق إلا لعلّة الزنى.

هذه مسائل حسمتها آيات واضحة الدلالة ثابتة النص فى الإنجيل المقدس.

٢ ـ إن الأقباط الأورثوذكس فى أحوالهم الشخصية لايحكمهم إلا النصوص سالفة الإشارة وشريعة العقد. ومسألة الزواج وآثاره لاينظمها ولا ينبغى أن يحكمها إلا شريعة العقد فيما لايتعارض مع آيات الإنجيل المقدس نصاً ودلالة. فعقد الزواج ما شرّع إلا لإثبات ماتم من طقس ـ هو صلاة الإكليل «الشعائر الدينية» فى أحضان الكنيسة وتحت إشرافها وسيطرتها والذى بدونه لاينعقد الزواج أصلاً.

ملحوظة: لا اجتهاد مع النص فى المسيحية أيضاً.

٣ ـ إن ماورد بشأنه نص فى آيات الإنجيل المقدس وماجاء بعقد الزواج سواء نُص عليه فى لائحة الأحوال الشخصية المنفذة من ١٩٣٨/٧/٨، أو لم ينص عليه، فهى أمور لا محل للاجتهاد بشأنها حتى من القائمين على الكنيسة.

وحتى يتمكن السادة المستشارون أعضاء المحكمة الدستورية العليا من إرساء مبادىء حقوق الإنسان والحرية والمساواة وإعلاء كلمة الدستور فإنه:

(أ) لم يرد نص فى الإنجيل المقدس ينظم مسألة تحديد سن الحضانة.

(ب) تحديد سن الحضانة مسألة تحكمها ظروف المجتمع من نواحٍ عدة.

(جـ) تحديد سن الحضانة يحكم كل أبناء الوطن الواحد، وهذا أمر أقرب إلى الواقع ويتفق مع الاختبارات العلمية والعملية، فضلاً عن أنه لايخالف نصاً.

(د) لامانع لدى الكنيسة القبطية الأورثوذكسية من توحيد سن حضانة الأطفال، إعمالاً لقاعدة المساواة، مع مراعاة أن من الشروط الجوهرية أن تستمر الحاضنة على دينها الذى كانت تدين به وقت ولادة الأطفال.

***

خاتمتنا

ماما أمريكا.. بابا كلينتون

شئنا أو لم نشأ لن يعود هناك شرق وغرب، شمال وجنوب، عالم متقدم وموندو ترسو. قُضىَ الأمر، فقد تم استحداث نوع آخر من العبيد. السادة هم: الذين يملكون أسرار العلم والوعى والطب والإعلام، منتجو الروبوت البشرى ومبتكرو الذكاء الصناعى والمسيطرون بالفيتو على القضاء وبالصواريخ والأقمار على الفضاء. العبيد هم: الذين تقهقروا إلى النشأة الأولى:

١ ـ الشعوب المتخلفة «بالقوة»: أى «غصب عنهم»، قدراً، وقهراً، الذين يجهلون العلم، ولايعرفون الرب، ولايتمسكون بدين، هؤلاء سيعودون إلى مرحلة الإنسان القرد.

٢ ـ أما الشعوب المتخلفة «بالفعل»: فهم الصم، الذين لم يسمعوا صوت السماء ولم يفهموا آيات الله التى تحضهم على الفكر والتدبر والتعقل والتبصر. ويل للمصلين الذين هم عن العلم ساهون. ويل لمتدينى كل العقائد، المتزمتين الذين يقاومون العلم،ويحاربون المعرفة وأى فكر جديد: كل جديد بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار. إلا بدعة واحدة: الصلاة بالميكروفون، وتداخل صراخ خطباء الجمعة، والآذان من مناور مسجد العمارات التى أصبحت مآذن تزعج الطفل الرضيع والشيخ العليل والمرضى والمسنين وغير المسلمين. الويل لأمة ملكوا أمرها، وضيقوا على الفكر الحر، غلّوه وحاربوه ووأدوه، هؤلاء سيتقهقرون إلى ماقبل النشأة الأولى، القردة العليا. سيصبحون عبيداً بكامل إرادتهم، ليس قهراً ولا قسراً، لا أحد يشتريهم ولا بأى ثمن، عبء على المجتمع الدولى، عالة على الإنسانية. علمهم الضئيل لن يوفر لأعدادهم المهولة كسرة خبز أو حبة قمح غير مستوردة، كل ما يأكلونه استجداء، زكاة، يدفعها الكفار الذين يملكون أمرهم وليس جزية من المقهورين.. وقد بدأت البشائر فى الأفق فعلاً، وهذه هى الحرب غير المعلنة والمناورات المبهمة الخفية بين العقلانيين

التنويريين ودعاة التدين الحديث الذين يستخدمون منطق العقل وحده فى التفسير العلمى للنصوص الدينية. يتصور الأولون أنهم بعد أن حرروا عقلهم من العقائد والأوهام والخرافات، وهجروا القرآن والإنجيل والتوراة، ونبذوا أى دين باعتبار أنه أفيون الشعوب وسبب التخلف الفكرى والعفونة الاجتماعية. وتصور الآخرون المحدثون أنه باستطاعتهم إنكار الحقيقة الكبرى التى هى أن: الجسد مؤمن حتى لو كفر العقل، وأن: الإلحاد مستحيل بيولوجياً، وأن: الخلية الحية كائن حى مؤمن تلقائياً وبالفطرة. ومن الغريب أن دعاة التدين الحديث الذين يقللون من شأن العقل، لصالح مابعد العقل، يصلون بنا فى نهاية الأمر إلى مرحلة ماقبل العقل، ويتساءلون بسذاجة، ماهو الفعل الذى نعزوه لأنفسنا إذا كانت خلايانا مؤمنة تلقائياً وجسدنا غير ملحد، حين نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ويعتبرون أن هذا المنطق يساوى بين الملحد والمؤمن، غير مقدرين خطورة ماقدمته علوم الوقاية والوراثة من أدلة قاطعة على أن أى خلية، لكى تحيا لابد أن تخضع لقوانين التوازن وتطيع الذاكرة البيولوجية وتحافظ على اتساقها وهارمونيتها، مؤكدة تكامل الخلق الممتد عبر دوائر الوجود من أبسط الكائنات الحية إلى الإنسان، وبعده يستمر الامتداد إلى خالق الوجود ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾، ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾، فإذا خالفت الخلية قوانين التوازن والامتداد ماتت. إذا أدرك العقل هذا،تصالح مع خلاياه، مع فطرته، وحذا حذوها، وآمن مثلها، وبذلك يصبح الوجود الحيوى مصدراً لتعميق الإيمان بالفطرة. لكنه إذا تجاهلها واكتفى بإعلاء قيمة التنظير العقلانى والتفكير التجريبى الرمزى، إذا لم يتفاهم العقل مع الجسد وتصور أنه يعلو عليه، وإذا لم يدرك تجريدياً، أنه جزء من الكون الأعظم، وأن هناك تناغماً وتوازنىً وترابطاً وتكاملاً بين كل الموجودات،من جماد ونبات وحيوان وإنسان، بين كل ماعلى الأرض ومافى بطنها، وبين كل مافى السموات، ومابين السماوات والأرض، انتحر العقل أو انقرض، وفقدت الحياة معناها وضاع العمر هدراً. الإيمان لايبدأ أبداً بالإثبات، الإيمان يبدأ بالنفى: لا إله إلا الله. الإيمان يحتاج إلى استلهام وقدوة، لهذا كانت الرسالة، ولذلك كان الرسول. إن فقهاء العصر الحديث مثل جهلاء الأطباء الذين يعالجون العرض ويتركون المرض، لم يتكشف لهم بعد أبعاد المخطط العالمى لإبادة العالم الإسلامى المتخلف. تبدو لهم هذه الخطط متناقضة ظاهرياً وغير منسجمة، لكنها فى الحقيقة متكاملة واقعياً. المعونة الأمريكية والمساهمات الأوروبية الإنسانية هى أصلاً أموالنا المنهوبة وخيرات أرضنا البكر المحتكرة ومواردنا الخام التى حاصرتها واعتصرتها اتفاقية الجات.

١ - هدفها الأول: إذكاء النزعات القبلية، ومساندة حكام فتافيت الأرض، وإحكام قبضتهم على الإقطاعيات التى ورثتها الأسر الحاكمة، ثم فرض الحماية عليهم وشل أيديهم عن اتخاذ قرار وطنى قد يوحى للرعايا أن بلادهم لم تزل عزيزة أو عندها كرامة. وضربهم

بعضهم ببعض. بهذا المخطط، اشتعلت الحروب الإيرانية والعراقية والكويتية والأهلية اللبنانية وحروب إسرائيل مع كل البلاد العربية، والتنازع بين حزب أمل وحزب الله، وبين الفصائل الفلسطينية وقبائل الصومال، وبين الأكراد والأتراك، والأكراد والأكراد، واشتعل الإرهاب فى السعودية والسودان ومصر.

٢ - تشجيع عناصر التطرف الدينى: مؤتمر الإرهاب فى لندن ما معناه؟

٣ - تطوير الأزهر.

٤ - إلغاء المحاكم الشرعية.

٥ - إصدار القوانين سيئة السمعة، الشقة من حق الزوجة، المجلس سيد قراره، رغم أنف المحكمة الدستورية العليا. القاعدون يمسكون بزمام السلطة والمتقاعدون يحتلون المراكز المدنية الحساسة ويسيطرون على وسائل الإنتاج.

٦ - التدخل فى صنع القرار وفرض الرقابة الدولية بمعرفة ماما أمريكا على الدويلات.

٧ - حماية المسئولين الذين ينفذون بدقة المخطط الأمريكى فى التعليم والإعلام.

٨ - مباركة تزوير الانتخابات بتأييد وإرشاد من المباحث الفيدرالية، وإدانتها فى الكونجرس.

٩ - مصرع السادات بيدهم لابيد قاتليه.

١٠ - تقليص سطوة اللغة العربية وتحييد الدين، تحت شعار «الدين لله والوطن للجميع».

هل هناك علاقة بين إهدار المادة الدينية وتحجيم اللغة العربية وبين توجيهات غربية؟ لماذا لا؟ الأسئلة التى وردت فى استمارة الاستفتاء التى وزعت فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة تثير الشك:

١ - مارأيك فى إذاعة الصلاة فى الإذاعة والتليفزيون، هل توافق على ذلك؟

٢ - هل توافق على إذاعة الأحاديث الدينية عقب كل أذان؟

٣ - هل توافق على استمرار برامج العلم والإيمان، وأحاديث الشيخ الشعراوى، فى التليفزيون، ألا يؤدى ذلك إلى إحساس غير المسلمين بالغربة؟

٤ - هل توافق على حجم الجرعة الدينية بالصحف اليومية والمجلات الأسبوعية، ألا ترى أن ذلك يسهم فى إثراء روح التطرف بين الناس؟

من جذور المشكلة أن الاسم تطور من وزارة المعارف إلى وزارة التربية والتعليم، والمكان تطور من الكتاتيب إلى دور الحضانة KG1, KG2 وهربت الفتيات القادرات من المدارس الأميرية إلى مدارس اللغات ومن الجامعات المصرية إلى الجامعة الأمريكية وإلى الجامعات الخاصة المتأمركة. وبدأ الناس يتشككون فى حكمة الترويج لوسائل منع الحمل ويتساءلون عمن وراء إغراق الشباب فى الجنس والمخدرات وإعطائهم مزيداً من الحرية.

ومع ذلك فقد فوجىء الذى يستعمرنا بالروموت كونترول والتليفون الساخن أنه رغم مخططه بقى الدين شامخاً، فما هى خير وسيلة لتشويهه؟ ليس هناك أفضل من الفقهاء الدعاة!، الأدعياء، فجندوا عمر عبدالرحمن وأيمن الظواهرى وغيرهم كثير. وأغدقوا فى التدريب والتمويل. ليس هناك عدو للإسلام أفضل من الجهلاء به.

عربستان وغربستان:

ضرب القومى بالدينى بالطائفى، والطائفى بالعشائرى والعائلى والقبلى. لماذا؟ كى يتكون فى نهاية المطاف عقل فاقد لهويته، لا هو بالقومى ولا بالدينى.

وللدكتور مصطفى محمود رأى:

«صناع الفتن ومحترفو الهدم اكتشفوا من قديم أن أفضل وسيلة للقضاء على عقيدة هو البحث لها عن نقيض يبارزها. وفى زماننا رأينا محاولة القضاء على الرأسمالية بالشيوعية ومحاربة الأصولية بالصوفية ومحاربة الدين بالعلمانية والسنية بالشيعة والقومية العربية بالقومية البربرية. والسياسيون الأذكياء لايحبون تضييع الوقت فى دهاليز المذاهب والفلسفات ويكتفون بضرب الأشخاص بالأشخاص والزعامات بالزعامات والرموز بالرموز، فحيثما وجد التناقض والتضارب فهناك رموز وأشخاص تعبر عنه. فى أفغانستان يضربون ربانى بحكمتيار ويسلحون الاثنين ويطلقونهما على بعض ليستنزف الواحد منهما الآخر لآخر قطرة دم، فإذا بدأت بشائر الوفاق بين الاثنين خلقوا لهما خصماً جديداً من طلبة الشريعة «الطالبان» ودربوهم وسلحوهم بالدبابات والطائرات وأطلقوهم عليهم لتستمر حرب الديوك الأبدية. وفى فلسطين يطلقون «حماس» على «فتح» وفى السودان يطلقون «جون» على «الترابى» ويزودونه بالسلاح والمال والذخيرة وبالمساندة السياسية. وفى الشمال يسلطون «صدام» على «الخومينى» ويزودونه بترسانة رهيبة ليقضى على الثورة الإسلامية ثم يدفعون به على الكويت تمهيداً لإدانته والقضاء عليه وعلى ترسانته العسكرية. ومايجرى بين الأكراد ليس استثناءً من القاعدة، فهم يحتلون مكاناً استراتيجياً حساساً وهم مقاتلون بالفطرة وشديدو البأس وهم مصدر خوف للدول المحيطة بهم، العراق وتركيا وإيران وسوريا، وتحسب لهم إسرائيل وأمريكا ألف حساب، لو اتحدوا وأصبحوا أمة فسوف يخرج منهم صلاح الدين آخر ليضرب إسرائيل فى مقتل، لذلك خططوا لمطاردتهم وتحريض الترك والعرب على تمزيقهم وتشتيتهم وضرب قياداتهم بعضها ببعض، البرزانى بالطلبانى وتسليح الاثنين لاستنزافهم حتى آخر قطرة دم».

وهكذا انتصرت الجاهلية الجديدة على المسلمين الخائبين. هكذا انتصرت الجاهلية على الجهالة. وحتى نصل إلى لب الموضوع، وكيفية الحل، نبدأ من البداية.

الفصل الثالث
اللغـــة مشـــكلة
مدرس الأحياء ومدرس الدين

أخطر المدرسين، هما مدرسا التاريخ والدين «إنكار العقل» - تعتيم الحقوق وإلقاء الضوء على الواجبات - و«تسييس النقل» - تزييف الحقائق والوقائع - و أخطر الوزراء، هما وزيرا الثقافة والإعلام (لا للتغيير!، الإثارة مستمرة! وحزّمنى يا بابا) . هذا كان أحد جذور مشكلة الإجهاض التى عالجها كتابى الأول. أما المشكلة الحالية فهى الوصول إلى جذور الاختلاف بين مدرسى الدين والأحياء، لاستئصال الأعشاب الضارة والنبتة الفاسدة والأفكار الضالة، لتحقيق معنى الدعاء المشهور «ربنا لاتجعل مصيبتنا فى ديننا» وتأكيد حكمته.

قبل أن يكتمل نُمو جسمك تتعهّدك وزارة التربية والتعليم، تعلّمك وتربيك وتهيئ لك البيئة المناسبة لتزداد قدراتك الجسدية وتتمايز لياقتك البدنية ويعلو فكرك من بعدٍ إلى بعدٍ أعمق وأوسع وأشمل. وتظل تنتقل من مرحلة إلى مرحلة ومعك دائماً مدرس ومربٍ وموجه يعينك على قدر طاقته وقدراتك، فإذا توقّف نموك لسبب أو لآخر، صحّياً أو مادياً أو تربوياً أو بيئياً، توقفت مشاركتك فى الحياة الفكرية والنمو العقلى واتجهت إلى المدارس المهنيّة لتنمو فيك قدرات أخرى تعينك وتستعين بها على مساعدة غيرك ممن لايملكون إمكانياتك الفنيّة. وربما أصبحت مساهمتك فى الحياة لها صور أخرى شتّى لكنها دائما مفيدة للآخرين ولا غنى لهم عنك وعنها. لكنك ستواجه يوماً مشكلة حساسة إذا كنت طالباً أو يسرّها إليك ابنك إذا لم تسمح لك ظروف حياتك أن تلتحق بالمدارس: مدرس الدين يقول كلاماً لايوافقه علّيه مدرس الأحياء ما العمل؟ أين الحقيقة؟ ولماذا يختلفان ويتناقضان؟

what ? how ? when ? where ? why ?

أدوات الاستفهام هى مفاتيح «خزائن الفكر» «وبوابات طرق المعرفة».

إذا سألتك ابنتك أو ابنك الصغير: من أين جئت يا بابا، فماذا تقول؟ هذا السؤال كثيراً مايتعرض له الآباء والأمهات ويحاولون الهروب من الإجابة عليه بل يضطرون فى معظم الأحيان إلى الكذب واختلاق القصص الخيالية التى لا صلة لها بالواقع. فتكون النتيجة أن يفقد الأولاد الثقة فى والديهما عندما يكتشفون هذا الكذب والتضليل ويعرفون حقيقة وجودهم عن طريق الصدفة، أيام زمان. أما الآن فمن مصادر أخرى داخل وخارج البيت، الخادمة الفلبينية أو الدش مثلاً. فى بحث أعدّته عالمة فرنسية عن أهمية الثقافة الجنسية للأطفال ذكرت أمثلة لبعض الحوارات التى تجرى فى البيوت حول هذا الموضوع: سألت طفلة أمها فى لهجة كلها براءة وسذاجة، ترى من أين جئت يا أماه؟ عبست الأم فى وجه ابنتها وقالت

إنك تثقلين عليّ بثرثرتك، دعك من هذا اللغو وهيا عانقى أمك. سكتت الأم لحظة ثم قالت: إذهبى إلى بابا ووجهى إليه هذا السؤال. أسرعت الطفلة إلى أبيها وألقت إليه السؤال الذى يدور فى رأسها الصغير والذى يسبب لها الحيرة، فضحك الأب وأحس بشئ من الارتباك ثم قال، لقد وجدناك يا ابنتى فى قلب خرشوفة صغيرة. وعادت الطفلة تسأل فى إلحاح، وأختى الصغيرة، وكان قد مضى على ولادتها أسبوع، من أين جاءت هى الأخرى؟ وضحك الأب وقال: وجدناها ذات صباح فى قلب وردة جميلة. وبدت على الطفلة علامات الدهشة وسألته: وأنت يا أبى من أين جئت؟ قال: وجدونى فى قلب كرنبة كبيرة. وصل هذا الحوار إلى مسامع الأم وصاحت فى الطفلة الصغيرة: كفاك ثرثرة. إنك تضايقين والدك بكثرة الأسئلة، فرد الأب باستنكار قائلاً: دعيها تسأل وإلا كيف ستتعلم؟

طفلٌ يسأل وعالم يجيب:

وأنت طفل. حين كانت دنياك عروسة وقطة وكلْب وعصافير ملونة وأسماك زينة وحيوانات أليفة فى البيت، ومتوحشة فى حديقة الحيوان، ونباتات زينة وزهور وورود فى المشاتل والحدائق والمتنزهات، كنت تسأل أسئلة تحيّرنى وتسمع إجابات تحيّرك. وفى التلفاز كان ولازال يثيرك عالم البحار وعالم الحيوان كنت تلاحظ أن للكلاب ذاكرة قوية وعواطف نبيلة وفوائد جمة. خاصة بعد أن طالعت فى مكتبة المدرسة كتيباً صغيراً اسمه «فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» تصنيف العلامة أبى بكر المرزبان، إصدار دار الإيمان، وكان يدهشك أن هذا الحارس الأمين أوفى الحيوانات، كلب نجس!! وأخذت تسأل: أىُّ الكلاب نجس؟ كلاب الصيد أم كلاب الحراسة أم كلاب الشرطة؟. الكلب الذى يأتينى بطعامى. هل يجب أن نعلمه أن يمسك بالفريسة أو الصيد بيديه بدلا من فمه حتى لاينجسها لعابه؟ أم الذى يحرسنى فى منامى؟ أم الذى يبرئنى من المخدرات الفتاكة أو ينقذنى من المتفجرات، بقدرته الفائقة على اكتشاف المخابئ السريّة التى يعجز مدربوه عن الوصول إليها؟ كنت تستنكر ذلك ولا تصدقه بل وترفضه وتصر على مصاحبة كلبك ورعايته وتتمنى لو أن أقرانك، بل وكل الناس يحبونك مثله ويحبونه مثلك. الكلاب الوحيدة النجسة هى كلاب السلطة. وكنت ترى فى جبلاية حديقة الحيوان أن القردة تمتاز بحب استطلاع وذكاء وتتعلم كثيراً من الحيل، وتتمنى لو كنت مثلها تلهو وتلعب «أكل ومرعى وقلة صنعة» لايرهقها أحد بواجب، ولاتسميع درس ولا غسل وجهها كل صباح بالماء البارد والصابون. وكنت تراقب دودة القز وهى تتحول إلى فراشة تطير. حيوان يزحف على الأرض أصبح طائراً يطير بجناحين فى الهواء!! . وأبو ذنيبة وهو يتحول إلى ضفدعة . حيوان يسبح فى الماء أصبح الآن يسير على الأرض!! . وكنت ترى فى التلفاز أعداداً لا حصراً لها من الكائنات، بعضها اختفى الآن تماماً. كنت تسمع الطبيعة تغنى والطيور تغرد. كنت تسمع وتندهش وتسأل، لماذا تختلف قصة الخلق فى

القرآن عن قصة الخلق فى التوراة والإنجيل، وعن حكاوى القهاوى والأساطير؟. وكان يحيرك كيف بدأ الخلق وهل حدث تطور للكائنات؟ فأخذت تندهش: لماذا مدرس الأحياء يشدو بالحقائق الحية ومدرس الدين يتوعد بالويل والثبور وعظائم الأمور، وتسأل:

١ ـ كيف خرجت من بطن ماما؟

٢ ـ مين اللى خلق ربنا؟ من كان فى السماء حين كان المسيح فى بطن أمه؟

٣ ـ لماذا لايوجد فى جسم كل كائن حى «بقين»، واحد للغذاء والثانى للدواء وربما ثالث للغناء ورابع للبكاء، أحدها يتذوق، مخصص لأكل ماهو مستساغ، والثانى لايتذوق إلاّ كل ماهو سيئ الطعم، والثالث يشدو ويغرّد والرابع للصراخ. وربما تتمنى وتقول: ياريت يكون لى قلبين أو أكثر بعدد من تحب أو تتمنى أن تتزوج.

٤ ـ لماذا لا يضع البشر على رأسهم طاقية خضراء «من الكلورفيل» بدلا من الشعر لكى يتجنبوا تبديد الجهد والوقت بحثاً عن الغذاء؟ «الجبرية الطبيعية». وكثيرا ما كنت تبدى عدم اقتناعك بالجواب البسيط جداً: ليس كل شيء يا ابنى ممكناً، قد تجعل صفات كهذه حياتنا أجمل وأسهل لكن مخطط تنظيم جسم الطفل هو نفسه مخطط أبويه وأجداده من الفقاريات وهؤلاء لم يكن لهم سوى فم واحد ولم يزودّوا بالكلورفيل.

٥ ـ وحين كانت الأسرة تطبق عليك قواعد «الفقه العقابى» كنت تسأل لماذا ولدت أيام المختلفين «المفتى وشيخ الأزهر» ولم أولد أيام الخلفاء الراشدين؟

مراهق يسأل ومُوَجّه يجيب:

لما أصبحت مراهقاً ودخلت المدرسة الثانوية كنت تسأل:

٦ ـ كلّنا نسكن فى حى الحسين، أنا المسلم، أسكن فى قصر الشوق، وصديقى المسيحى يسكن فى حارة زويلة، وجارنا الإسرائيلى يسكن فى حارة اليهود، لكن حسن وكوهين لا يأكلان لحم الخنزير، وحسن ومرقص يأكلان الأرانب، وكوهين وحده لا يأكل كل ذى ظلف، ومرقص وحده يأكل لحم الخنزير والدم ويشرب الخمر بينما حسن وكوهين لا يأكلان إلاّ اللحم الحلال المستنزف الدماء؟.

إذا كان مدرس الأحياء يناقض مدرس الدين فلماذا تتناقض أقوال أبونا وسيدنا؟. أبونا يقول: «من ضربك على خدك الأيمن أدر له خدك الأيسر» وسيدنا والحاخام يقولان: «العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم»، أبونا يقول: «من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر» بينما سيدنا والحاخام يصرّان على الرجم، سيدنا يقول: القتل لمن يترك الدين والتفرقة لمن يسخر من الأئمة. والله يقول: ﴿لا إكراه فى الدين﴾؟ أين الحقيقة إذن؟ ولم الاختلاف. أليسوا رسلاً ثلاثة لإله واحد، بفرض أن النصوص التوراتية والإنجيلية هى المنزّلة وبلا تحريف؟

ليس هناك أى تناقض فى الحقيقة، الأمر كله لايعدو نسخ الشرائع القديمة لتوحيد المفاهيم مواكبة لتطور العقل واكتمال نموه.

٧ ـ لماذا يلزم اجتماع اثنين من أجل صُنع ثالث؟ ماهو السبب فى أن وظيفة الإنجاب هى الوظيفة الوحيدة بين جميع وظائف الجسم التى يؤمّنها جهاز لايملك فرد من الأفراد سوى نصفه، الأمر الذى يضْطره لصرف كثير من الوقت والطاقة فى المناورة للعثور على النصف الآخر؟. وإذا كنت من قوم لوط فقد تسأل بخبث: هل من الضرورى أن يكون هذا النصف من جنس مخالف؟. لماذا يتضمن الجسم البشرى كل ماهو ضرورى له من أجل التنفس والهضم والتفكير ولايتضمن كل ماهو ضرورى للإنجاب؟ أما إذا كنت طفلا قدره أن يولد ويعيش فى مجتمع متحرر جنسيا فإنه سيثيرك جدا تشابه أخلاقيات البشر وممارساتهم الجنسية العلنية كما الكلاب.

٨ ـ إذا كان عالِمْ الشرق يسمح بتعدد الزوجات فلماذا نرفض عالما فى الغرب يتطلب إنتاج الكائن البشرى فيه مساهمة ثلاثة أفراد مختلفين، لا اثنين، وربما أكثر؟. كم من التعديلات بالنسبة لعلماء النفس وكم من التعقيدات بالنسبة للقضاة سوف ينجم عن احتمال اشتراك ثلاثة أو أكثر، الزوج والزوجة والعشاق فى عملية إنتاج كائن حى واحد؟.

٩ ـ لماذا نحن واثقون أن ولدنا سيكون مختلفا عنا وعن جميع الأولاد الآخرين؟ وكان يحيّرك الرد: إننا نكلف أنفسنا عناء خلط مورثاتنا بمورثات أخرى لنكون واثقين أننا لانعيد إنتاج ذاتنا بل ننتج ذاتا ثالثة مختلفة تماما. عملية يانصيب وراثية. كان من الممكن من الزوج نفسه وفى المناسبة نفسها، أن يخصب البويضة حيوان منوى آخر، جمهرة كبيرة من الأولاد الممكنين. ملايين الاحتمالات. ملايين البصمات. مختلفون فيما بينهم شأنهم فى ذلك شأن الأولاد الموجودين. هل صحيح أن الإنسان تطور من حيوان متسلق قبل أن يصبح نسله من حيوان منوى يسبح؟ لماذا تخضع الحيوانات لقوانين ثابتة صارمة، وتتلاقى موسميا وهدفها الأسمى هو التناسل، بينما كسر الإنسان هذه القاعدة، غاب القانون، ـ أصبح الإشباع الجنسى هو الهدف، المتعة أصبحت غاية، والتناسل أصبح ممكنا فى كل الفصول، الأنثى تحمل وتلد صيفا وشتاء، والرجل يجامع ليلا ونهارا. احترت واحتار دليلك، لأن ماتفهمه فى حصة الأحياء يختلف تماما عما تتلقنه فى حصة الدين.

فى الحصة الأولى: المنهج هو look listen and learn أى انظر واسمع لتفهم «إذا كان عندك نظر فأنت تملك ٢٥ مليون خلية فى كل عين». «أنت تسمع إذا كانت الطبلة سليمة وكذلك العظيمات». «أنت تنظر لتبصر وتسمع لتنصت، وتبصر وتنصت لتفهم. أما فى الحصة الثانية: فمفروض عليك أن تسمع من يلقنّك وتحفظ مايقوله وليس مطلوبا منك أن تفهم وممنوع عليك أن تسأل. مع أن الذى أنزل القرآن هو الذى خلق العقل، ولايمكن بأى حال من

الأحوال أن يكون هناك أى تناقض أو تعارض بينهما. أنا أنصحك قبل أن تقرأ تفاسير القرآن أن تقرأ كتاب الطبيعة المفتوح، المكتوب بلغة يفهمها كل البشر. وأن تنظر إلى السماء كلما وجدت صعوبة فى تأويل آية. لأن آيات الله المنظورة هى التى ستحتكم إليها حين تحتار. اتجه إلى الله فى سماه فهو سيهديك إذا أضلّك بعض خلقه بتفسير عجيب وغريب لآية من كتابه المقروء. وقد تجد فى الكتاب المقدس المنظور رداً مقنعاً على الأسئلة التى تلحْ عليك باستمرار:

١ ـ كيف تتنكر الحقائق فى غير ثيابها؟ ٢ ـ كيف يخلق الله للحقائق البشعة وجوها جميلة؟. ٣ ـ لماذا تكذب الصور وتخدع الأشكال؟. ٤ ـ نحن نمكر لإخفاء الحقيقة فهل يمكر الله لإظهارها؟.

نعم الله يمكر لإظهار الحقيقة وتحقيق الخير. فإذا لم تجد المعلم الواعى والمرشد الأمين فقد لاتعرف أبداً حقيقة مالكة أمرك وحبيبة قلبك، أو حقيقة حاكمك مدنيا، أو مرشدك شرعيا، لأنك لاترى إلا الظاهر بينما باطنه، مجهول، مجوف تماماً، فراغ خواء، أو خراب. استخر ربك، واستفت قلبك، ستجد دائما أن الحق بيّنٌ والله أكبر.

عالم يسأل وطفل يجيب. المغرور يتصور أنه عالم والعالم يعترف أنه طفل.

الطفولة هنا رمزية، لاعلاقة لها بالعمر، لها فقط مدلول معرفى. السؤال الآن لايسأله طفل أو طفلة، وصيغته ليست من أين جئت يا بابا؟. السؤال الآن يسأله العلماء من أين جئنا يارب؟ وكان الرد مذهلا:

أنا الواحد الأحد خلقت كل هذا الكون من ذرة واحدة singularity وكل مافيه من أنفس خلقتهم من نفس واحدة. وكل مافيه من نبات وحيوان وإنسان أنشأتهم من خلية واحدة. كيف ينشأ الإنسان من الجماد؟ وهذا هو موضوع كتابى الثالث «خلق أم تطوّر؟»

أخرج النبى «صالح» من الصخر ناقة كاملة التكوين نابضة بالحياة، لم يلدها أبوان ولم تتدرج فى النماء. فبهت قومه لما رأوا أمام أبصارهم «ناقة الله». هذه معجزة صالح. أما خلق الإنسان من تراب، أى من جماد، فهذا إعجاز يتكرر كل يوم. يحدث طبقاً لقوانين كونية وضعها خالق الكون. وطاعةً لأمر مباشر أودعه الله داخل كل خلية حية. هذا الأمر اسمه الروح. وبدون هذا الأمر أو هذا الروح ماكان فى الكون كائن حى. لموضوع الروح فصل كامل فى كتابى القادم «خلق أم تطور؟»، قضية النفس والروح.

كيف تحدث الكثرة من الواحد؟

١ × ١	=	١
١١ × ١١	=	١٢١
١١١ × ١١١	=	١٢٣٢١
١١١١ × ١١١١	=	١٢٣٤٣٢١
١١١١١ × ١١١١١	=	١٢٣٤٥٤٣٢١
١١١١١١ × ١١١١١١	=	١٢٣٤٥٦٥٤٣٢١
١١١١١١١ × ١١١١١١١	=	١٢٣٤٥٦٧٦٥٤٣٢١
١١١١١١١١ × ١١١١١١١١	=	١٢٣٤٥٦٧٨٧٦٥٤٣٢١
١١١١١١١١١ × ١١١١١١١١١	=	١٢٣٤٥٦٧٨٩٨٧٦٥٤٣٢١

انظر كيف بالواحد ومن الواحد ظهرت الكثرة. كل الأعداد ظهرت من الواحد وبالواحد، مع صحة نسب كل فرد من هذه الكثرة إلى ذلك الواحد.

لابد أن تستدير ولابد أن تتكوّر:

تتفاوت قُدرات الناس العقلية على إدراك ماوراء مثل هذه الجداول الرياضية البسيطة، البالغة العمق. فأنت أيها القارئ العزيز ولدت لتعيش عمرك المقدّر لك قلّ أم طال، ونموّك متوقف على قدر ما أُوتيت من صحة وتغذية ورعاية وحنان. هذا هو نموك الطولى والنفسى، أنت تحيا لكنك لابد أن تعيش. لكى تعيش لابد أن تتعلّم، لتخلق لنفسك المجال الذى تتنفس فيه عبق المعرفة.

لكى تستنير لابد أن تستدير. لكى تتطور لابد أن تتكور:

لابد أن تقرأ وتتعلم وتتثقف. لابد أن تتعامل مع الناس، من تعرفه ومن لا تعرف. لابد أن تتحرك. تنشأ الدائرة حين يتحرك الخط المستقيم حول محورِه. أنت تستدير عندما تتفاعلِ، تنفعل، تجادِل وتحاور. لابد أن تغضب وأن تصفح. لابد أن تحب وأن تكره. لابد أن تثق وتؤمن وتشك وتنكر. أنت أيها الكائن الحى لأبد أن تعيش. يعيش الحيوان وتحيا أنت.

كلما اتسعت معارفك وتعاظمت ثقافتك استدار المحور الطولى ليكوّن الدائرة التى تحيط بك، لكى يتّسع مجالها لكل معلوماتك وعلاقاتك. لكنِ لكى لاتظل مسطحا وسطحيّا مهما اتسعت دائرتك، ولكى تضيف شيئا إلى تراث الإنسانية وتساهم فى تطورها، لابد أن تتكوّر.

لابد أن تتحول الدائرة المسطحة إلى كرة مجسمة، ليصبح لك عمق. هذا التعمق لن يحدث بالعلم أبداً، مهما بلغ شأنه ومهما أوتيت منه. إنما تتعمق وتتكور بالفلسفة والفن. فنتاج العلم، واتساع الخبرة، إنما يأتيان إلينا متفرقات مجزأة لارابطة بينها. فأنت حين ترى الإنسان

والحيوان والنبات والجماد، يهيأ لك أنها مخلوقات أو موجودات لا رابطة بينها. أما إذا تعمقت ونظرت ببصيرة فلسفية فستعرف أن كل ماخلق الله، من جماد وحيوان ونبات وإنسان، كلهم أبناء أسرة واحدة، التى هى عناصر التراب. عندما تدرك هذه الرابطة تصبح رؤيتك أوضح، هكذا تفعل الفلسفة بمتفرقات المعرفة، الفيلسوف يحاول أن يكشف عن الرباط الذى يجمعها عند نقطة التقاء واحدة. أما الفن فأمره عجب. فهو الذى يكشف عما وراء الأقنعة التى تستر عنك حقائق الناس وطبائع الأشياء. ويتساءل المرحوم الدكتور زكى نجيب محمود: من ذا الذى كشف عن العلاقة الدفينة بين الولد والوالدين إلا «سوفوكليز» فى «أوديب»؟. من ذا الذى كشف عن حقيقة الازدواج الوجدانى بين البنات وأبيهن إلا «شكسبير» فى الملك «لير»؟ من ذا الذى كشف الستار عن دخيلة البخلاء إلا «الجاحظ»؟ من ذا الذى جسد تطلع الإنسان إلى الخلود أروع مما جسده الفنان المصرى القديم؟ وأتساءل: من ذا الذى نقل إلى كل البشر رسالة من الله «القرآن الكريم» غير محمد ﷺ؟ نزل به الروح الأمين. «أمر الله» تجسّد فأصبح ملكاً يحمل «أمر الله» الذى تجسد فأصبح قرآناً. جبريل روح والقرآن روح.

﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (الإسراء: ٨٥). السؤال والإجابة فى ذات الآية. منْ منْ علماء الدين سيدرك عمق هذه الإجابة الإلهية؟ العالم، أم الفيلسوف أم الفنان؟ الفلسفة تكشف عن الرباط، والفن يرفع القناع. ومع ذلك فلن يكتشف عالم الدين أبداً سر الروح إذا قيّد فكره مسبقاً بمفهوم خاطىء ظالم. أما إذا كان عنده النية والوقت فسيدرك أن هذا الرد غير المباشر لايتعارض طبعاً ومطلقاً مع جميع آيات الخلق فى القرآن. ويدرك عمق الفكرة وروعة الإيجاز فى التدليل على الإعجاز. وحتى لايتصور القارىء أن هذا القول فيه أى مبالغة، فلينظر إلى نفسه أو إلى ابنه. أليست كل أعضائه وأجهزته وأنسجته وبلايين الخلايا المختلفة الأشكال والأحجام والمتعددة الوظائف، كل هذا ألم يخلق من خلية واحدة؟ لم يدرك علماء الدين أن رد الله كان مباشراً وحاسماً وصريحاً وعميقاً وفى ذات الآية، هذه هى الحقيقة. ماهى ماهية الروح؟ ﴿من أمر ربى﴾ حرف جر + مضاف + مضاف إليه + ضمير، حددوا بالضبط ماهو الروح. الروح أمر من أوامر الله. ليس من المطلوب ولا من المتوقع أن عالم الدين سيدرك أو يفهم أو حتى يتصور أن الروح هو شريط الأوامر المبرمجة، لكن خطأه الوحيد والذى لايمكن أن نغفره له أنه أنّث الروح ولم يفرق بينه وبين النفس، فضلّ الطريق حين ظن أن الكلمتين مترادفتان. مثلما أخطأ فى إعراب الأسماء «نفخنا فيها، نفخنا فيه» وظن أنها ضمائر. وحين تصور «أن» له ضمير عائد على آدم بينما هو عائد على الروح ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾. وإذا كنت متصوفاً مكشوفاً عنك الحجاب فإن «له» تعنى: (لـ هو) يعنى فقعوا له ساجدين.

رغم كل ماقاله مدرس الدين فإنه لم يقل إلا ما لايُسمع وإن سُمِعَ لا يُفهم. لم يقل إلا صمتاً. هذا الصمت الموحش يرعب الإنسان الذى يسأل ويلح فى الأسئلة ومامن مجيب. وتتوالى أسئلة الإنسان من بواكير وعيه. أسئلة تطرح على الذات ويجيب عنها نفس السائل. ومدرس الدين هناك، ليس هنا، بعيد عنك دائماً. ومع كل خفقة قلب أو ومضة فكر يحكم علينا بالسكتة الفكرية. بالموت مع وقف التنفيذ. كانت أجوبته دائماً رتقاً فى ثوب الحقيقة، ما إن تهب عليها رياح التجرية حتى تتمزق ونحس بمدى جهله أو جهلنا أو بسذاجة الجواب. تعرّينا المعاناة من ستار الزيف الذى نلوذ به. عندئذ، بعضنا يجن من الصمت الذى يطبق على وعينا فيأخذ فى الهذيان. وبعضنا يثير معارك مفتعلة يخدع بها نفسه حتى يحتال على أيامه وينتهى. وبعضنا تثور أعصابه فيتمرد ويظل نزقاً لآخر لحظة من عمره، لايتواءم مع عصره، يدرك عقم وجوده، يجتر أسى غربته وألم وحدته. ومعظمنا يقول ﴿ولا الضالين﴾ آمين، خوفاً من التفكير أو التكفير.

أستاذ اللغة العربية فى مدارس اللغات:

المقصود من هذه الفقرة هو تبيان صعوبة إسماع صوت الضمير وسط صخب وضجيج الحياة الغربية المتعالية المسيطرة على القادرين من أبناء أرض مهد الأديان وأول الموحدين.

يمكن اعتبار بريد الأهرام، النافذة التى يطل منها القارىء على المجتمع كله. نشر حليم فريد تادرس كلمة ناقدة، لم ترد عليها وزارة التربية ولم تعرها أى من الجمعيات النسائية الحكومية أو غير الحكومية NGO، اهتماماً. «عند جدار مدرسة اللغات (الحكومية) بمدينتى، وهى مدرسة مشتركة للبنين والبنات من الابتدائى إلى الثانوى، وقفت أنتظر حفيدى ابن السابعة، وما إن صلصل الجرس معلناً انتهاء زمن الحصة الأخيرة، حتى تدفق مئات من الأطفال والمراهقين من داخل المدرسة إلى خارجها، وبعين جيل ترهل فيه لحم الوجه ثم تغضن، ولم يبق له من الحياة إلا طريقها الهابط وقفت عند الجدار أتأمل الجيل الصاعد، الأطفال تقوست ظهورهم تحت حقائب تكاد تنفجر بما حملت وبيمين كل واحد منهم «كولمان» صغير أو «زمزمية» لحفظ المياه. وحول الرقبة سلسلة أو خيط سميك يتدلى منه مفتاح الشقة، المراهقون والمراهقات، على خلاف أطفال المدرسة تخلّوا جميعاً عن الزى المدرسى وفقدوا التآزر الحركى، شدتنى كتابات شيطانية باللغة الإنجليزية مطبوعة أو مطرزة فوق ملابس المراهقات تسخر من كل قيمة فاضلة «كالحياء» و«العفة» وتثير مخزون الشر فى الذرات السفلى بتعبير «فرويد». تعى الذاكرة منها I'm Free, are you? Body Talk. Love is on, hid me! وترجمتها على التوالى: أنا حرة، «بمعنى سايبة» فهل أنت كذلك؟ الجسم يتكلم «بمعنى الفتنة تنادى»، الحب وجب، «بمعنى جاهزة للحب، خبئنى». مثل هذه العبارات لها من المعانى الفاحشة ما لايخفى على أحد، ولها أيضاً أخوات كأخوات «كان». فركتُ

عينى غير مصدق، وظننتنى فى «حلم نائم» على طريقة حجة الإسلام «الغزالى»، الذى بدأ شكه بافتراض أن حياتنا قد تكون حلماً طويلاً لم نستيقظ منه حتى الآن، لنعرف حقيقة الأمور، وأيده فى ذلك أبو الفلسفة الحديثة الفيلسوف الفرنسى «ديكارت». وسألت نفسى: إذا لم يكن لهؤلاء المراهقات آباء وأمهات، أو لهن آباء وأمهات فى شهادات الميلاد فقط، أو أب غائب فى بادية نفطية وأم مشغولة، فأين المدرسة وكيف سمحت لهن بأن يدخلنها فى فصولها الدراسية وعلى صدورهن هذه الإشارات الشيطانية، وفى أقدامهن الأحذية ذات الكعوب العالية، ووجوههن ملونة بالأحمر والأخضر والأبيض، وسيقانهن وأعاليها محشورة حشراً فى بنطلونات من نوع سترتش، وماذا عسى تكون استجابات زملائهن المراهقين لهذه الإشارات الشيطانية التى تحملها صدورهن؟! وعمل «قانون تداعى المعانى» عمله فاستدعى إلى الذاكرة السنوات العشر التى عملت خلالها مدرساً بإحدى مدارس البنات الثانوية الكبيرة قبل نحو أربعة عقود من الزمان، ولم تقع عيناى آنذاك على طالبة واحدة خالفت الزى المدرسى، أو تضع فى قدميها حذاء يزيد ارتفاع كعبه على ثلاثة سنتيمترات أو تمس وجهها ولو بظل من مساحيق التجميل، فهل تغيرت الدنيا، وبقيت وحدى كحفرية من حفريات الزمن القديم؟، لابد أن ما سيقوله أستاذ اللغة العربية أو مدرس الدين عن الفضيلة والعفاف والزنى مثلاً، لن يفهمه أمثال هؤلاء. يقيسون «الطول» ولكنهم لن يفهموا قيمة «العرض» ولا ثمن بيعه. لايعرفون العلاقة الوثيقة بين طول «الجيب» والعرض. لكنهم يدركون العلاقة بين قصر الشورت ودرجة الحرارة، لهذا كان تمسكهن بالشورت الساخن. وإذا فهموه سخروا منه. لماذا؟ لأنهم بعد أن أفسدتهم الأسرة والبيئة روّعهم «الفقه العقابى» حين سمعوا من الأستاذ المعمم، أن حدود هذا الدين الحنيف هى: الرجم والبتر والقتل والتكفير. مع أن فضيلته لم يدرس نظرية الحدود قبل أن يتكلم عن أهمية تطبيق الحدود فى الحفاظ على المجتمع، من يلتزم بالحدود عليه أن يتجول بين الحد الأعلى والحد الأدنى ولايتجاوز أحدهما. وهذا مسئولية من علموه وأين وكيف علموه. المشكلة، زاوية «منحرفة» تقع بين انفتاح الأسرة واستقامة الدين، مشكلة الدين، دولة مديونة بالمليارات. الحل السياسى هو تبنيها للفكر الغربى وتدينها بالتبعية، وقد انتشرت ظاهرة لصق العلم الأمريكى على زجاج السيارة أو رفعه داخلها أو طبعه على الملابس التى يرتديها الشباب، وهى ظاهرة مزعجة. لأن رفع العلم الأجنبى، ومايحمله من معان ورموز تتعلق بالانتماء الوطنى وهوى القلب، لا يفسر على أنه مجرد تقليعة، لأن هؤلاء الشباب والشابات، يتأثر حسهم القومى وانتماؤهم الوطنى، ويتحول الديكور إلى اعتقاد. وخطورة مايحدث هو أن من انتشرت بينهم هذه التقليعة هم أبناء الصفوة من المجتمع القادرين مادياً والذين يستطيعون الحصول على أعلى الدرجات العلمية وبهذا سوف يكون منهم بالضرورة قيادات المجتمع المصرى بعد فترة زمنية قصيرة. ويتم التأثير عليهم

من على بُعد Remote Control عبر السماء المفتوحة بالقنوات الفضائية التى لارقيب عليها، عـمـداً ومع سـبق الإصـرار، من قـوى مـسنودة دولياً. وإلا كـيف تـفسـر أنه فى يوم واحـد ٢٤/١٠/٩٦ نشرت الأهرام والأخبار لأكبر محرريها هذين التعليقين:

جريدة الأخبار: نصف كلمة ـ أحمد رجب:

الكتاب الحكومى للغة الإنجليزية المقرر على الصف الخامس الابتدائى وردت فيه هذه العبارة: «مطربى المفضل هو عمرو دياب»، وتساءل الكاتب: هل هذه الدعاية الفجة لمطرب شبابى تليق؟ فرد المحرر: أن مطربه المفضل هو وزير التعليم.

بريد الأهرام ـ وعنده أيضاً طائرة:

فى كتاب اللغة الإنجليزية للصف الثالث الإبتدائى لغات: قصة فتاة عمرها ١٦ عاما تبحث عن رجل غنى تتزوجه لشراء الفيلا والملابس. وسافرت الفتاة من إنجلترا إلى أمريكا للبحث عن هذا الزوج حتى عثرت عليه وتزوجته. وعادت إلى أهلها وقابلت صديقها وحكت له أنها وجدت الرجل الغنى الذى أحضر لها الفيلا والملابس والنقود والذى يمتلك طائرة. هذه هى القدوة التى نعلمها لأبنائنا. وسأل المحرر: هل هناك من يراجع هذه المناهج من اللجان المسئولة؟. الرد هو: هناك من يتعمد تخريب وأمركة النشء.

بالنسـبة لأستاذ اللغة العربيـة هـذه هى مشكلته الأولى. هو ينفـذ سياسة حكومته التى تمنحه مرتبه. أما مشكلته الثانية فهى: أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذى إذا قرأ يمكنه أحيانا أن يفهم. لكن من يتكلم العربيـة يصعب عليه أحيانا أن يفهم ما يقال أو يقول مايفهمه المتعلمون. كيف؟ المثقفون يتعلمون بلغة أجنبيـة من الحضانة حتى مابعد التخرج والتخصص. ومجمع اللغة العربية هو همزة الوصل بينهم وبين من يخاطبونهم أو يقرأون لهم. ومشكلة اللغة العربية أنها بالغة الحساسية والدقة وليس بها مترادفات على الإطلاق.

أولا: **التعريب**: تعريب العلوم. مشكلة من تترجم له المصطلحات العلميـة من لغة أخرى.

ثانيا: **الترجمة**: مشكلة من تترجم له العربية. أى ترجمة لغتنا الجميلة لنفهمها ويفهمنا الآخرون.

ثالثا: **التوضيح**: مشكلة من نشرح له معنى الكلمات العربية. هذا إذا فهمنا نحن.

رابعا: **التفسير**: مشكلة المفسرين. جحيم المعرفة.

أولا: التعريب: مشكلة من تترجم له المصطلحات العلمية من لغة أخرى.

١ ـ الموشور والشاقولى dextro & levo rotatory

وقعت على إحدى المجلات العربية الدورية للعلوم تعنى بالثقافة العلمية العالمية وعلى غلافها صورة لمنشور هرمى من مادة شفافة وتحت الصورة التعليق التالى «هذا الموشور

مصنوع من الكلسيت، وهو العنصر الرئيسى فى أى منظومة تعموية كمومية، حين تتيح نقل المعلومات عندما يحرف الموشور الفوتونات ذات الاستقطاب الأفقى إلى اليسار، ويحرف ذات الاستقطاب الشاقولى إلى اليمين، ويتوليد فوتونات ذات مناحى استقطاب مختلفة انظر التعموية الكمومية داخل العدد، هذا على الغلاف وماخفى داخل المجلة كان أعظم هولا. ثم بعد ذلك تقولون تعريب العلوم!

٢ - الحار والبارد:

هناك فرق كبير بين التعبير العلمى والتعبير الشائع، مما أدى إلى ظهور تعبيرات علمية غير موفقة أو معانيها ملفقة. الحيوانات باردة الدم أو ذوات الدم البارد: هذا التعبير خاطئ من أساسه. هذه الحيوانات ليست باردة الدم. إنها عديمة الحرارة الذاتية. هذه هى النقطة الحاسمة. إنها تكتسب ببساطة وبسلبية الحرارة السائدة حولها. والترجمة الصحيحة «متبدلة الحرارة». الحيوانات دافئة الدم، أو ذوات الدم الحار: هذا التعبير لايعبّر عن الواقع بصورة صحيحة. التعبير الصحيح هو «ثابتة الحرارة». هذا هو الأمر الحاسم. الحرارة الثابتة سلّمت الكائن الحى مفاتيح الليل وفتحت له أوسع أبواب التطور. هذا ستدركه حين تدرس دوائر الحياة.

٣ - فوق وتحت ultra & infra:

الضوء يتلون حسب طول موجته. إذا كان طول الموجة ٤٠٠٠ A° نراه بنفسجيا. أما إذا كان طول الموجة أقل من ضعف ذلك ٧٠٠٠ A° فنراه أحمر داكناً. الضوء الذى نسمّيه فوق البنفسجى قصير الموجة غنى بالطاقة يمتد عبر شريط من ٤٠٠٠ A° إلى ١٠٠ A°. تأتى بعد ذلك اشعة X ذات الموجات الأقصر. إذن هى ليست فوق البنفسجية بل تحتها والضوء الذى نسميه تحت الحمراء طويل الموجة أطول من ٧٠٠٠ A°. والسبب فى هذا الخطأ أن الكلمة اللاتينية المترجمة ultra تعنى: على الجانب الآخر من، أو خلف أو بعد ولايجوز أن تترجم بفوق المقصود بفوق وتحت هو التردد وليس طول الموجة، هنا فقط تصبح الترجمة صحيحة. لكن ناهيك عن العلم ولغة العلم، مشكلتنا هنا هى ترجمة كتاب الله إلى لغة يفهمها غير العرب مسلمين وغير مسلمين.

ثانيا الترجمة: مشكلة من تترجم له العربية.

تلاحظ أيها القارئ العزيز أن الآيات التى وردت فى هذا الكتاب مترجمة إلى الإنجليزية. ما أهمية هذا؟ قد لايكون لذلك أى أهمية بالنسبة لك، لكنه بالقطع بالغ الأهمية لمن لايعرفون العربية ولايقرأون القرآن ولا يعرفون الإسلام إلا بلغة أجنبية. ما ذنب هؤلاء؟ كيف نسمح لأنفسنا أن تصلهم الكلمات النورانية مترجمة بمعان مختلفة تماما عما أراده الله

ورسوله؟. تمت ترجمة الكتاب المقدس عن العبرية إلى اللاتينية ثم إلى كل اللغات الحية. نحن لسنا أصحاب مبادرة فالمرجع الوحيد authorised version لترجمة ألفاظ القرآن الكريم حتى سنوات قليلة هو الذى ترجمه الهنود عن الفكر البهائى، ترجمة القرآن المشهورة من وضع ـ عبدالله يوسف على ـ وهو ليس ابناً للغة الناقل إليها أو الناقل منها، فلغته الأم هى الأردية، لكنه أجاد العربية والإنجليزية، فحاول احتذاء ترجمة التوراة إلى الإنجليزية فى مقال شعرى لأن لغة الشعر فيها جمال وجلال. لكن ترجمة «القرآن» إلى لغات غير عربية أى ترجمة الآيات حرفياً وبالتالى يعتبر ضرباً من ضروب مضيعة الوقت. حيث إن ذلك يشوه المعنى والهدف. لكن يمكن ترجمته مرتلا حسب المواضيع الواردة فيه. كل موضوع على حدة مع شرح من قبل الإخصائيين. يمكن أن نورد آيات الخلق كلها مرتلة ثم نشرح ونترجم نظرية «خلق الكون والكائنات». ما يحدث حاليا هو ترجمة حرفية بدون ترتيل وقبل التفسير والشرح. الذى نرجوه ونتمناه مخالف لذلك تماماً: يجب أن نرتل الآيات أولاً ثم نفسرها لغوياً ونشرحها علمياً ثم أخيراً نترجمها. هذا موضوع يجب أن يتصدى له متخصصون محترفون تحت إشراف مهيمن من أئمة أجلاء لا أهواء لهم ولا انتماء حزبى أو مذهبى. ربانيين، لا شيعة ولاسنة ولا أى مذاهب أخرى.

أمثلة: خلق. علق. نفس. روح

كيف نترجم هذه الكلمات؟ وكيف نترجم الآيات الكريمة التى وردت فيها هذه الكلمات كما أُنزلت؟. وكيف نترجم تفاسيرها؟. وهل الترجمة المتداولة والمعتمدة تفيد المعنى الحقيقى أم تضر به؟

سورة العلق ـ الآية ٢: ﴿اقرأ بسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم﴾.

Ceated man, out of a "mere" clot of congealed blood.

أول ما نزل من القرآن، هذه هى ترجمته وهذا هو تفسيره. وهما بالغا الخطأ والضرر بالرسالة وبالرسول لأن العلق ليس الدم الجامد. الإنسان لم يخلق من دم جامد. فكيف يقول المؤمن بعد قراءة الترجمة والتفسير، «صدق الله وصدق رسوله»؟ كيف نترجم الأمر الموجّه للنبى الأمىّ كما يدعى الفقهاء، الذى لايقرأ ولا يستخدم القلم فى الكتابة؟. إذن اقرأ والقلم لهما معنيان يختلفان تماما عما يتصوره العامة. طه حسين كان يقرأ مع أنه لايكتب ولايرى. والله الذى لانراه ولانسمعه يقرأ ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾. مامعنى قرأناه؟.

سورة الروم ـ الآية ٢١: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها﴾.

And among His Is This, that He created For you mates from among Yourselves, that ye may Dwell in tranquillity with them.

هل من أنفسكم معناها From among yourselves . ألم يخل هذا بالمعنى؟

كيف نفسر هذه الآية. هل فيها ما يفيد أن حواء خلقت من آدم، بل ومن ضلعه الأعوج؟ هذا مايدعيه مؤلفو التوراة ولم يرد مثله أبدا فى القرآن، الذى قرر أن الله خلقنا من ذكر وأنثى. وأن الخلق الأول للنفس، والشهادة على الوحدانية للنفس، والتكليف للنفس، والحساب والعقاب للنفس، وأن الأنفس، كل الأنفس قبلت حمل الأمانة فى عالم الذر. مامعنى ﴿وإذا النفوس زوجت﴾؟، وأين تسكن نفسك؟.

سورة الأعراف ـ الآية ١٨٩ : ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾.

It is He Who created You from a single person, And made his mate Of like nature, in order That he might dwell with her.

هل من نفس واحدة معناها From a Single Person . هذا إخلال جسيم. ولماذا قال منها ولم يقل منه؟ لو كان يقصد آدم لقال منه.

سورة الزمر ـ الآية ٦ : ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾.

He created you "all" Form a single Person: Then created, of like nature, His mate;.

من أين جاءت الترجمة of like nature ؟ ومرة أخرى لماذا قال منها؟

سورة نوح ـ آيتا ١٧ ـ ١٨ : ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً. ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا﴾.

And God has produced You from the earth Growing "gradually"

And in the End He will return you Into the "earth", And raise you forth "Again at the Resurrection"?

مامعنى يخرجكم؟ معناها: يخرج شيئاً من شئ، وأكد ذلك بالمصدر إخراجاً، لتأكيد أمر لاريب فيه. الإنسان لاينمو إلا مما تخرجه الأرض. وحين يتحول الإنسان إلى تراب يخرج من هذا التراب إنساناً آخر أو خلقاً آخر. ﴿... أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ (الأنعام: ١٣٣) هذه هى دورة الخلق المستمرة. مامعني أخرجوا أنفسكم؟ خروج النفس إما مؤقت أو أبدى ما الفرق بين الخلق والبث والبعث؟ من يخرج لنا سيناريو العودة. البعث!؟ الملحدون ينكرون الخالق والخلق والبعث. من ينكر البعث يعترف بأن الحياة بالنسبة له لهو وعبث. الخلق ليس ذاتيا تلقائيا وبالصدفة، والبعث لابد أن يكون بفعل فاعل. لاشئ أبدا بالصدفة ولا الاختيار حر مطلقا. وبما أنه لاخروج من الجنة فلابد أن الخلق تم على الأرض.

سورة طه ـ آية ٥٥ : ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾.

From the "earth" did We Create you, and into it Shall We return you, And from it shall We Bring you out once again.

أين خلقنا؟ فى الجنة مع آدم؟ أم أن آدم خلق فى الأرض معنا؟. أحدث تفاسير إمام الدعاة تعترف أن الخلق فى الجنة والخروج منها كان على الأرض.

سورة هود ـ آية ٦١: ﴿.. هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها..﴾

تكررت فكرة أن أصل الإنسان من الأرض فى سورة الحج آية ٥.

It is He Who hath produced you From the earth and settled you Therein

المادة من الأرض. لكن أين وكيف؟ هذا سيجيب عنه العلماء بفضل الله.

﴿فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة﴾.

We created you Out of dust, then out of Sperm, then out or <u>a leech-like Clot,</u> then out of a morsel Of flesh, partly formed And partly unformed

أولاً: ليس آدم وحده هو الذى خلق من تراب. بل وليس الإنسان وحده. وآدم وحده ليس بنى آدم. كل ما ومن خلق الله، بشر وحيوان ونبات وجماد كان تراباً وإليه يعود.

ثانياً: يفهم من هذه الترجمة أن العلقة، جلطة، دم جامد، فهل هذا يتفق مع آيات الخلق الأخرى؟ إنهم لايفرقون بين العلق والعلقة.

وقد تكرر أن أصل الإنسان هو التراب فى عدة آيات آية ٣٧ سورة ١٨ ـ آية ٢ سورة ٣ ـ آية ١١ سورة ٣٥ ـ آية ٦٧ سورة ٤.

سورة الأنعام ـ آية ٢: ﴿هو الذى خلقكم من طين...﴾.

He it is Who Created You from clay.

لاحظ الجمع، هذه الكلمة You تعنى المفرد والجمع، أنت وأنتم.

سورة السجدة ـ آية ٧: ﴿... وبدأ خلق الإنسان من طين﴾.

"He began The creation of man With "nothing more than" clay".

سورة الصافات ـ آية ١١: ﴿.... إنا خلقناهم من طين لازب﴾.

"Them have We created Out of a siticky clay".

هنا معناه، كل من خلق وليس آدم وحده. لاحظ الجمع Them

سورة الرحمن ـ آية ١٤: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾.

He created man From sounding clay like unto pottery.

سورة الحجر ـ آية ٢٦: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون﴾.

We created man from sounding clay From mud moulded into shape.

هل هذه هى الترجمة الصحيحة لكلمة مسنون؟ حسب هذه الترجمة لكل مخلوق قالب،

خلقه الله ثم كسر القالب. هذه الترجمة الحرفية أخلت تماماً بالمعنى. ثم إن مسنون قد تعنى مرور السنين، ملايين السنين، وقد تعنى أن له عمرا محدودا.

وقد تعنى من سنا نوره. فالطين بكل عناصره أصله نور- راجع كتاب خلق أم تطور- أو قد تعنى أن المادة اختلطت بسنة الله، أى ائتمرت بأمره.

سورة المؤمنون- آية ١٢: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾.

Man We did created From a quintessence "of clay".

سورة الفرقان- آية ٥٤: ﴿وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا﴾.

It is He Who has created man from water : Then has He established relationships of lineage.

كل ماهو حى يشكل أساسه عنصر الماء، الأكسجين والإيدروجين. لاحظ هنا الفرق بين «الخلق» و «الجعل».

ما معنى ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ الجعل هو التغيير فى الصيرورة- لم يقل إنى خالق فى الأرض خليفة. من المهم جدا أن تعرف الفرق بين النفس والروح، وأن تلاحظ أن خلق الأنفس لاعلاقة له بخلق الأجساد، وأن الروح هو سر الحياة.

ما الفرق بين البشر والإنسان؟ سؤال هام جداً. الأنسنة لاتحدث إلاّ بعد النفخ. الملك ينفخ شيئا «من روحه» وليس «روحه». آدم «قبل نفخ الروح فيه كان موجودا، كان حياً، كان كائناً حيا، لم يكن إنسانا «كان بشراً، كان بشراً قبل النفخ فى فيه من الروح وكذلك الجنين فى بطن أمه يظل بشراً حتى ينفخ فى فيه فيصير إنساناً. هذه النفخة هى النفحة الإلهية. السر الإلهى الذى أنسنه. هبوط النفس (العقل) من المحل الأرفع. خلقت فى «عالم الذر» من أجل أن تحل فى هذه الجسد بالذات. هذه النفخة هى التى جعلت البشر إنساناً وجعلت محمداً ﷺ بشراً رسولاً.

سورة الأنبياء- الآية ٣٠: ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حى أفلا يؤمنون﴾.

من المهم أن تعرف معنى جعلنا. «الجعل» والفرق بينه وبين الخلق.

Do not the Unbelievers see that the heavens and the earth were joined together "as one unit of creation", before we clove them asunder? we made from water every living. Will they not then believe?

رأيت فيلماً علمياً يشرح معنى هذه الآية الكريمة. الفيلم يصور صحراء جرداء تهب عليها الرياح. وتحولها إلى تلال. ثم تكتسح التلال وتجعلها بساطاً حريرياً ناعماً. ولكنه حرير مميت إذا سار عليه إنسان اختفى تحت محيط من الرمال التى لها شكل الموج فى حركتها

والحرير فى ملمسها. وفجأة نزل المطر غزيراً وراح الماء يجرى فى كل اتجاه. يختفى فى مكان ليظهر فى مكان آخر. وبسرعة خرجت الحشرات والزواحف من تحت الرمال. لقد كانت فى حالة نوم عميق أقرب إلى الموت فى انتظار الحياة التى هطلت من السماء. لقد استطاعت هذه الكائنات أن تعيش تحت الرمال مئات الأيام لا تأكل ولا تشرب ولكنها تتنفس وقلوبها تدق كأنها لاتدق. وعندما استمعتْ إلى قطرات الماء وحركة الرمال هبت بقوة الطاقة التى ادخرتها لكى تستأنف الحياة من جديد. ويلتقى الذكور والإناث وتبدأ سلسلة اللقاح والبيض والفقس وتستمر الحياة بفعل ماء السماء. «أنيس منصور». هذا هو الجعل.

معنى خلق: ومعنى الخلق من تراب

١ ـ ما معنى خلق؟ كلمة خلق هى أدق كلمة عربية للتعبير عن فعل الله ـ خلق الكائن ونموّه وتطوّره وعمليات الأيض من بناء وهدم إلى أن يصبح من الضرورى أن يموت ـ وتبارك الله أحسن الخالقين. أما إذا ترجمناها فكلمة «خلق» تترجم دائماً إلى الإنجليزية باستخدام الفعل "To Create" من المهم أن ندرك ـ على أية حال ـ وكما هو موضح فى القاموس الممتاز الذى جمعه كاظمى رزقى "Kazimi Rski" ـ أن أصل الكلمة: هو «إعطاء نسبة لشئ أو أن تجعله من نسبة أو كمية معينة» أما بالنسبة لله وحده فقط فقد تم تسهيل الترجمة باستخدام كلمة "To Create". أى أن تحضر للوجود شيئاً لم يكن موجوداً أصلاً. وبافتراض ذلك فإن أولئك الذين يستخدمون لفظ "To Create" يشيرون فقط إلى الإجراء ولكنهم يفشلون فى ترجمة فكرة التناسب التى تصاحب الإجراء قد تكون هناك كلمة أفضل فى الاستخدام الأدق وربما تكون تلك الكلمة هى فعل "To Fashion" أى شكّل أو "To form in due proportion" «يشكل فى شكل مناسب»، هذا الاستخدام يجعلنا أقرب إلى المعنى الأصلى للكلمة العربية. هذا هو السبب فى أن العالم الفرنسى موريس بوكاى فضل استخدام فعل فى "To Fashion" فى معظم ترجماته؛ لأنها تتضمن الإحساس بالمعنى العربى الأولى.

٢ ـ هل تعرف ما معنى خلقكم من تراب؟ وكيف خلقنا من تراب؟ وكيف خلق التراب الذى قال أنه خلقنا منه؟

الكيف والكم والزمن:

يقول الفقهاء وبعض العلماء أن الخلق هو إيجاد شئ من العدم. وأن العدم هو نقيض الوجود. وهذا غير صحيح. نقيض الوجود هو اللاوجود.

لا يجب على الفقيه أن يدعى علم ما لم يعلم. ﴿ولا تقف ماليس لك به علم﴾ لا خلق من عدم. ﴿أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون﴾.

إذا ما نفقت ومات الحمار أبينك فرق وبين الحمار؟

أحمد شوقى

كلمة حكيمة

من تـراب إلى تـراب رحيلى : تلـك ياقلبـى رحـلة المـستحيل

كان من ذلك التراب شروقى : وإلـــى ذلـك التـراب أفولـــى

الترابـــان مبـــدأ وانتهـــاء : خلف باب الحياة، باب الوصول

عبد الفتاح مصطفى

كل شئ فوق الأرض كان تحتها. أنت والمنزل الذى تسكن فيه، والسيارة التى تركبها. كل شئ بلا أى استثناء كان ترابا، كان فى باطن الأرض حملته وخرج منها «وضعته» وسيعود إليها «دفنته». سيارتك صنعت من أجلك، سارت بك على الأرض مئات الأميال وأدت عشرات الوظائف وارتكبت بها عشرات الأخطاء وفى النهاية عادت هى قبلك أو معك إلى الأرض التى خرجتما منها. أليس هذا صحيحا، ألم يستغرق هذا زمنا؟

آل عمران ـ الآية ٤٩: ﴿أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله﴾.

In that I make for you Out of clay, as it were, The figure of a bird And breathe onto it, And it becomes a bird By God's leave.

هذه إرادة الله لعيسى وحده. لأنه كلمته وروح منه. هذه معجزة للناظرين. شذوذ عن القاعدة. أما الخلق من طين لكل البشر فهو خاضع لقانون إلهى. قانون الخلق التطورى Creative evolution. الهدف الرئيسى لكتابى هذا هو محاولة شرح معنى الخلق من تراب، لأنه سيترتب على فهمك لذلك تقييم نظريات الخلق والتطور. إذا كان عنوان كتابى هو ملك اليمين، فلأثبت لك أيها القارئ العزيز أن عدم فهم كلمة إلهية أو لفظ قرآنى سيترتب عليه بالضرورة تفسير أو تأويل مخالف لمقاصد الله.

ألّف الباحث المسيحى الأسقف خير الله إسطفان ناظر مدرسة عين ورقة بحثاً سماه «صفوة علم اليقين فى حقيقة مذهب داروين» فسّر فيه معنى:

«وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض. ونفخ فى أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفساً حية مسئولة» التكوين ٢ :٧ انظر إلى الدقة! صار نفساً بعد النفخ. نفساً حية. مسئولة وقبل النفخ كان حياً غير مسئول مثل كل الحيوانات العليا «الرئيسيات التى تفرع منها». فقال:

(أ) ما معنى خلق الكائنات من تراب؟

الكاثوليك مقيدون بنص سفر التكوين لكن يمكنهم التوسع بتفسير بعض كلمات الكتاب:

إن البحث العلمى عندما يأتى بنتائج واقعية وأكيدة تجتمع ساعتئذ كلمة العالم المسيحى وغير المسيحى عليها بغير تضادٍ ولا تنافٍ. وهذا عين الصواب والرشد. لأن الحق لايغير الحق.

١ ـ من جهة الجسد: فقد ارتأى بعضهم أن المقصود بقولة «جبله من تراب الأرض» أنه قضى ورسم الصورة وهيأ الهيئة وليس كما يجبل الفاخورى الجرة والإبريق.

٢ ـ أما من جهة النفس فالتعليم الكاثوليكى والفلسفة الصادقة الرصينة يلزماننا أن نقف عند الاعتقاد الراهن الثابت بأن أنفسنا روحية بحتة. وبذا تفترق وتمتاز جوهريا عن جسد الإنسان. يعنى أن النفس كائن روحانى غير منظور يفترق ويمتاز عن الجسد.

ملحوظة: هذه هى الحقيقة التى غفل عنها المسلمون بفضل المفسرين قدامى ومحدثين. الذين خلطوا بين النفس والروح واعتبروا الكلام والبحث فى الروح محرما.

(ب) ما معنى خلق العالم فى ستة أيام؟

إن خلق العالم فى ستة أيام يراد به ستة أدوار أو ست مدد. وكل قول بأدوار طويلة معقول ومقبول. وحين سئل هل مذهب النشوء يناقض الدين؟ كان رد الأسقف: أننا نجيب مع العلماء النزيهين المجردين من الأغراض والأهواء بالنفى. وأنه لايضاد مقاصد الخالق وغاياته. أستشهد بأقوال الأستاذ «هكسلى» النشوئى الكبير والمادى المعروف الذى سلّم بكون النشوء «الإحلال والتجديد» لايلزم منه نفى مقاصد الله. وأن ترتيب أو توقف مخلوق على آخر أو عليهما معاً لإتمام مقصد جديد أو إكمال غاية حسنة كالحياة للنبات وطيب العيش للإنسان والحيوان لهو دليل عند كبار العلماء على مقاصد الله.

ملحوظة: كلام الأسقف يحتاج إلى توضيح، الباب الرابع عن الروح والباب الخامس عن النفس يفسران مقاصده.

ثالثاً: مشكلة ترجمة العربية الفصحى إلى العربية المفهومة:

التقدم المذهل فى علم اللغة والتطور المهم فى أساليب تحليل الخطاب يمهد لقراءة معاصرة للنصوص الدينية تقوم على أساس تحقيق مصلحة الجماهير الإسلامية العريضة، ولا تؤسس لمصالح النخب القليلة العدد التى تميل إلى إضفاء الشرعية الدينية على مصالحها وأساليبها الدينية، يتضح من الأخطاء غير المقصودة فى الترجمة والتفسير أن على أساتذة اللغة العربية والنحاة إعادة النظر فى التفسيرات القديمة بمنظور متطور وإزالة التراب الذى تراكم بعد وقف باب الاجتهاد، قبل أن يثور العقل على الـ«كهنوتية مستقرة» التى أدت إلى:

احتكار التفسير اللغوى واحتقار التأويل العلمى:

ولأن العرب أمة كلام وعاملين للكلمة سوق، فإننى كنت أود أن أضيف فصلاً لأوضح

لك أيها القارىء العزيز أهمية أن تعرف الفرق، بين المترادفات والأضداد؟ بين المحكم والمتشابه؟ القسط والعدل؟ التنزيل والإنزال؟ القضاء والقدر؟ الرغبة والقدرة؟ القدر والمقدار؟ الكم والكيف؟ الكم المتصل والمنفصل؟ التصديق والتصور؟ الرب والإله؟ النبى والرسول؟ الاستقامة والحنيفية؟ الإذن والمشيئة؟ الفعل والعمل؟ الغيب والشهادة؟ النفس والروح؟ الشرك والكفر؟ الشرك الظاهر والخفى؟ الزيغ والطغيان؟ الخلق والتطور؟ البشر والإنسان؟ الإنسان القديم والحديث؟ الحياة والروح؟ كلمات الله وأيامه؟ الكلام والقول؟ العام والسنة؟ البث والبعث؟ الضوء والنور؟ الظل والحرور؟ العلّة والمعلول؟ إبليس والشيطان؟ الحق والباطل؟ الحلال والحرام؟ العد والإحصاء؟ القراءة والتلاوة؟ التفسير والترتيل؟ الكتاب والذكر؟ اللوح المحفوظ والإمام المبين؟ أم الكتاب وتفصيل الكتاب؟ مواقع النجوم فى السماء وفى الكتاب؟ القانون العام والخاص؟ الفرقان العام والخاص؟ العقل والفؤاد؟ المرأة والنساء؟ النساء والنسيىء؟ المصحف والقرآن؟ التراث والأصالة؟ الضد والنقيض؟ الدائم والباقى؟ فقهاء العلم والدين؟ الجدل والحوار؟ الشك واليقين؟ المطلق والمقيد؟ المطلق والنسبى؟ التحذير والتحدى؟ السحر والمعجزة؟ المحسوس والمعقول؟ التباب والتبار؟ الفلك والسفينة؟ الجهر والعلن؟ المعروف والمنكر؟ الغرائز والشهوات؟ الآيات البينات والمبينات؟ مخلّقة وغير مخلّقة؟ صنوان وغير صنوان؟ معروشات وغير معروشات؟ متشابهات وغير متشابهات؟ وعشرات الأضداد الأخرى. (هذا رأى لى نشره بريد الأهرام تحت عنوان «والوحى لايناقض العقل» فى ٩٥/٦/٥) إذا عرفت الفرق فستتضح أمامك الحلول الربانية التى عمينا عنها لأننا اكتفينا بأسلوب عفى عليه الزمن وثبت فشله لأننا لم نفهم الفرق فى المعنى كلمات كنا نظن أنها مترادفات. لابد أن تذاع مناظرة حية، إذاعية أو تليفزيونية عبر الأقمار الصناعية بين المهندس السورى الشحرور وبين من يقبل التحدى من الفقهاء، سواء فقهاء السلطة أو الفقهاء الأحرار. لماذا؟ لأن له الفضل فى اكتشاف أن عدم إدراك - زيف الترادف - هو الذى أضر بالفهم السليم وضلل المفسرين.

ما الفرق بين تكلم وقال؟ ما الفرق بين نظر وأبصر؟ ما الفرق بين القيمة والسعر؟ هل تعرف الفرق بين التلاوة Citation والقراءة Reading؟ والترتيل Recitation؟ هذه هى المعانى التقريبية:

١ - الترتيل: 1- Recite: to give a list of

القارىء يتلو علينا ما تيسر له.

٢ - القراءة: 2- ead: to took at and understand

ليس صحيحاً أن نقول قرأ.

٣ ـ التلاوة: 3- Cite: mention as an example in a statement

ليس صحيحاً أن نقول رتل عليكم الشيخ فلان ماتيسر له من آى الذكر الحكيم.

هل تعلم لماذا سمى القرآن قرآناً؟ لأنه جاء من قرأ أو من قرن وكلاهما يعنى الجمع والمقارنة كأن تقول: «قرأت الماء فى البئر» أى جمعته، أو قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ (البقرة: ٢٢٨)، فالقرء هو جمع فترة الطهر مع فترة الحيض. الأساس فى اللسان العربى هو فعل قرن، فعند ابن فارس نرى أن فعل قرأ اشتق من فعل قرن. ومن هنا جاء معنى القراءة عند العرب. إن العملية التعليمية لا تكون إلا بالمقارنة، أى مقارنة الأشياء بعضها ببعض. لهذا لاتقول العرب لا قراءة إلا على العلم، مثل قولهم: «قرأت العلم على فلان». لذلك يجب أن نميز بين القراءة والتلاوة. فالمذيع فى التلفاز يتلو الأخبار لايقرأها. والأستاذ فى الجامعة يقرأ المحاضرة لايتلوها. فالتلاوة هى إعادة لفظ نص بحرفيته دون شرح ولا تعليق وبشكل متتال ومنه جاءت التلاوة. فإذا أراد المذيع أن يقرأ الأخبار عوضاً عن تلاوتها فهذا يعنى أن يشرح الخبر ويعلق عليه ويقارنه بأخبار وأحداث أخرى وذلك بهدف تفهيم السامع. وإذا أراد الأستاذ فى الجامعة أن يتلو المحاضرة عوضاً عن قراءتها فهذا يعنى أن يفتح الكتاب ويتلو النص بالتتالى كما جاء فى الكتاب دون أى تعليق أو شرح أو مقارنة، فالتلاوة هى لفظ الآيات بالتتالى وتختلف عن القراءة.

قراءة القرآن:

﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

أى عندما يُشرح لكم القرآن فأنصتوا وحاولوا أن تفهموا مايقال.

﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ (النحل: ٩٨).

أى إذا أراد إنسان أن يفهم القرآن فعليه الاستعاذة لأن الشيطان يوسوس فى صدر من يريد أن يفهم آيات الله «تأويلها». أى أنه تعالى ذكر القراءة، ولم يذكر التلاوة، وشتان بين معنييهما. ومما يؤكد هذا المعنى الآية الكريمة (القيامة: ١٦ ـ ١٨) ﴿لاتحرك به لسانك لتعجل به. إنا علينا جمعه وقرءانه. فإذا قرأناه فاتبع قرءانه﴾، من يوحى إليه يريد أن يتثبت مما يوحى إليه به، وليس أمامه من وسيلة إلا الترديد خوفاً من النسيان، فطمأنه ربه.

تلاوة القرآن:

التعبد بالتلاوة، أى لفظ الآيات بالتتالى: ﴿وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه...﴾ (النمل: ٩٢)، ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة﴾ (فاطر: ٢٩)، ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ (البقرة: ١٢١).

ترتيل القرآن:

﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾ (الفرقان: ٣٢)، من الذى رتل القرآن؟ أليس الله نفسه؟

اتضح الآن أن هناك فرقاً بين قولك يتلو ويقرأ، فما هو معنى رتل؟ الترتيل هو سر الوجود. لاعلاقة له مطلقاً بالتلاوة أو القراءة، وهذا موضوع الفصل الثانى.

لاحظت موجات الغضب العارم الظاهر والخفى لدور معظم الفقهاء فى تشويه وجه الإسلام فى معرض القاهرة الدولى للكتاب هذا العام ١٩٩٥ فقد راجت الكتب الجنسية والكتب التى تحارب الإسلام. الإسلام فى الأسر. الإسلام ضد الإسلام. وفى معرض ٩٦ انهمرت كتب أخرى ظالمة مفترية، والمسئول الوحيد عن ذلك التردى هو خرس وتجاهل الفقهاء، مافائدتهم؟ ماذا فعلوا للدفاع عن العقيدة غير الصياح؟ وقد حمدت الله كثيراً أن حصلت على كتيب «الفرفور» وكتاب «الشحرور»، وقرأت كتاب الله، المثانى التى تقشعر منها الأبدان والعقول، قراءة عصرية علمية واعية. ماهو سبب اهتمامى باللغة العربية وبترجمتها إلى كل اللغات الحية؟ بل وإلى أى لغة نستطيع بواسطتها نشر الرسالة وتبليغ الأمانة، مات الرسول، فمن المسئول؟ العلماء والفقهاء، مسلمون وغير مسلمين.

فإذا أمكن أن يحلل الضوء الأبيض إلى مكوناته السبعة بالمنشور الزجاجى. فإن الدكتور المهندس محمد الشحرور قد استطاع أيضاً أن ينظر إلى كتاب الله بمنشور الخشية، ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾، فرتل المصحف إلى ستة كتب، القرآن، اللوح المحفوظ، السبع المثانى، والإمام المبين، أم الكتاب وتفصيل الكتاب والفرقان، واتضح له أن السبع المثانى هى أصل الكلام الإنسانى وأنه ليس للقرآن أسباب نزول فكله متشابه وكله قوانين كونية أزلية ولذلك فإن تأويله ليس مهمة فقهاء الدين، لايقدرون عليه. والله أعلم. فهل ناقشه أحد؟ وصدر له هذا العام ١٩٩٦ كتابه الجديد، فهل سيناقشه أحد؟ أنا أختلف معه تماماً فى فهمه لمعنى الروح، ولكننى معجب أشد الإعجاب بمنهجه وتفسيره. والتفت تماماً عن شطحاته وهفواته، ومن من المفسرين لم يخطىء؟

أنصح بالرجوع إلى «الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة» للدكتور المهندس محمد شحرور، وللتقديم الذى حرره الدكتور «جعفر دك الباب» لشرح المنهج اللغوى الذى أدى إلى الكشف عن المعانى المختلفة لهذه الكلمات التى كنا نظن أنها مترادفات. ويدهشنى صدور عشوات الكتب التى تهاجمه فى سوريا ولبنان ومصر فى ثبات عميق وفقهاؤها مشغولون بما ينفعهم.

المصحف:

تصادفنا فى المصحف الشريف إلى جانب لفظة «الذكر» الألفاظ التالية: «الكتاب»،

«القرآن»، «الفرقان»، فهل هذه الألفاظ كلها تشير إلى معنى واحد لأنها مترادفات؟ أم أنها تشير إلى معان مختلفة؟ إذا كانت تلك الألفاظ تشير إلى معان متغايرة، فما معنى كل لفظة؟ راجع كتاب محمد شحرور، الذكر، القرآن، الفرقان، الكتاب، تفصيل الكتاب، الإمام المبين، أحسن الحديث، السبع المثانى، اللوح المحفوظ.

هذه هى الآيات التى وردت فيها هذه المترادفات:

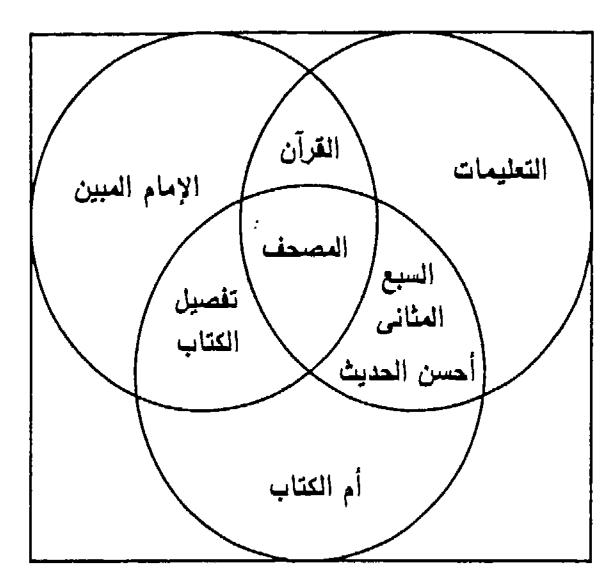
﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر)، ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب﴾ (آل عمران: ٧)، ﴿ص والقرآن ذى الذكر﴾ (ص: ١)، ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ (الفرقان: ١)، ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ (البقرة: ١٨٥)، ﴿قرآن مجيد فى لوح محفوظ﴾ (البروج: ٢١ - ٢٢)، ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾ (الإسراء: ٣٩)، ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ (آل عمران: ٤٨).

ما معنى أن الدين عند الله الإسلام؟ أنبياء الله لاحصر لهم، ودين الله واحد.

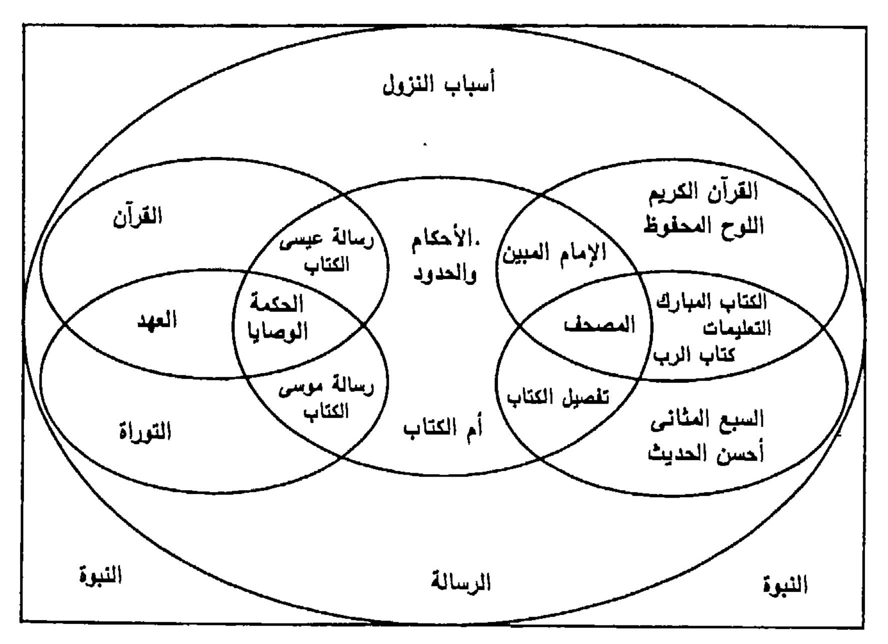
رسالة موسى عليه السلام + رسالة عيسى عليه السلام + رسالة محمد ﷺ = الإسلام.

نبوة موسى عليه السلام + نبوة عيسى عليه السلام + نبوة محمد ﷺ = الإسلام.

الكتاب المقدس عند النصارى يحتوى على أربعة مواضيع: (١ - ويعلمه الكتاب ٢ - والحكمة «الوصايا» ٣ - والتوراة ٤ - والإنجيل) (آل عمران: ٤٨)، الكتاب هو شريعة موسى المعدلة + الوصايا + التوراة + الإنجيل. هذه المواضيع الأربعة مع بعض تسمى الكتاب المقدس.



تطور العقائد



شريعة موسى المعدلة + الوصايا + التوراة + الإنجيل.. هذه المواضيع الأربعة مع بعض تسمى الكتاب المقدس

فذلكة لغوية:

ما الفرق بين القضاء والقدر؟ ما الفرق بين المحكم والمتشابه؟

قضاء وقدر:

القضاء:

هناك نوعان من الأعمال: النوع الأول يتعلق بسلوك الإنسان مثل الصلاة والصيام والزكاة. الله له فيها أمر يطاع أو يعصى، دليل على الحرية والمسئولية، هذا قضاء لكنه ليس مفروضاً على الإنسان حتماً بالإكراه، بل له القدرة على مخالفته وعدم التقيد والالتزام به. الله له أمر يطاع وأمر يعصى. هذا يعنى أن الإنسان هو الذى يقرر. هو الذى يختار موقفه من هذه الأحكام. ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾. مع أن الله قضى بذلك إلا أن الإنسان له مطلق الحرية فى الطاعة أو العصيان، فى البر بوالديه أو العقوق بهما. هذا هو القضاء. فما هو القدر؟

﴿وقضى ربك﴾ (١٧ : ٢٣). ﴿ليقضى الله﴾ (٨ : ٤٢،٤٤). ﴿قضينا عليه﴾ (٣٤ : ١٤). ﴿قضينا إلى﴾ (١٧ : ٤). ﴿قضى الله﴾ (٣٣ : ٣٦). ﴿فقضاهن﴾ (٤١ : ١٢). ﴿يقضى بينهم﴾ (٤٥ : ١٧، ١٠ : ٩٣، ٢٧ : ٧٨).

القدر: هو الحكم النافذ. حكم مشمول بالنفاذ، رحمة ورحمانية.

«الإيمان هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره». (حديث شريف)

قال القدر ولم يذكر القضاء. القدر هو القوانين المفروضة على المخلوقات حتماً والتى يحكم بها الله على الكون والكائنات. ليس لأىّ منها اختيار. مثل قوانين الخلق والبث والتطور والموت والبعث. أما القضاء فالله يقضى ويختار وأنت تقضى لا صدفة وليس لك اختيار حر أبداً. أى فعل حتى القبلة أنت تفعل بعضه ومسئول فقط عن الجزء من الفعل الذى تم بإرادتك.

المحكم والمتشابه:

وهناك نوعان من الآيات: ١ ـ الآيات المحكمات: ﴿هن أم الكتاب﴾. الرسالة. قواعد السلوك. العبادات والمعاملات والأخلاق. هذه هى حلبة الفقهاء. ولكل جواد كبوة.

٢ ـ الآيات المتشابهات: هى القرآن الكريم والسبع المثانى. هى التى تفرق بين الحق والباطل. هى كل آيات الكتاب ماعدا آيات الرسالة. الحقائق والغيبيات. الغائبة عن وعى الإنسان عند نزول القرآن وسيظل بعضها غائباً عن وعيه إلى أن تقوم الساعة. بل وهناك نوع

ثالث. ﴿تفصيل الكتاب﴾. لا محكم ولا متشابه. وهذا يستنتج من قوله تعالى: ﴿وأُخر متشابهات﴾، حيث لم يقل والأخر متشابهات. هذا يعنى أن الآيات غير المحكمات فيها متشابهات وفيها آيات من نوع ثالث لا محكمة ولا متشابهة.

ليس للقرآن أسباب نزول:

يرى الشيخ محمد عبده ،أن القرآن نزل لما بلغت سن المجتمع البشرى النضج. وأن خطاب القرآن للعقل يهدف إلى تأسيس اليقين فى المعرفة كمقدمة ضرورية لبناء اليقين فى الاعتقاد،. عندما نزل القرآن كله فى ليلة القدر كانت فيه كل آيات الأحداث التى وقعت فى فترة التنزيل. أى أن الأحداث لم تكن قد وقعت بعد. لم يحدث أى شىء بالصدفة. انتصار بدر، هزيمة أحد، سؤال أعمى، تأسيس مسجد، اقتناء جارية، إيذاء النبى، إيواء أسير، حديث إفك، شكوى زوجة، طلاق امرأة، قضاء دين، توزيع غنائم، تقسيم إرث، هزيمة الروم ثم انتصارهم. هذه الحوادث لابد أن تحدث. لايمكن ألا تحدث. لأنها مقدرة ومدبرة لكى تتطابق تطابقاً صريحاً وواضحاً زماناً ومكاناً مع الآيات المسجلة فى اللوح المحفوظ. الأعمى والأبتر، والسفينة التى خرقها، والجدار الذى أقامه، وكل القصص القرآنى ليس إلا حوادث مدبرة ومقدرة. لذلك فإن التعبير الصحيح هو أن نقول إن للقرآن ،توقيت نزول، وليس ،أسباب نزول،.

أيهما حدث أولاً؟ الآية المسجلة فى اللوح المحفوظ أم الحادثة التى حدثت قبل النبى أو فى زمانه أو بعده؟

﴿والله خلقكم وماتعملون﴾ أيهما يحدث أولاً: كتابة السيناريو أم تمثيل الفيلم؟

تطابق الحوادث مع الآيات ليس معناه أن للآيات أسباب نزول. بل معناه أن هذه الأحداث لابد أن تمثل على مسرح الحياة. أما الحوادث التى حدثت قبل النبى، ذبح بقرة، إلقاء موسى فى اليم، إسقاط يوسف فى البئر، حديث سلمان مع النملة والهدهد، ناقة صالح، وطيور إبراهيم، كبش إسماعيل. كل هذه الحوادث مدبرة أيضاً ومقدرة. لايمكن أن نقول: لولا الهدهد مانزلت الآية، الصحيح أن نقول: لولا الآية ماكان حديث سليمان مع الهدهد والنملة. هذه الحوادث، حتى الحرجة منها، قبل وبعد النبى، إتيان مريم أم المسيح عليه السلام شيئاً فرياً، حديث الإفك عن زوج الرسول، إنما هى محن حرجة، مختارة ومنتقاة بإحكام شديد، لأنها متكررة فى كل زمان ومكان. لنعرف قانون السماء فى مثل هذه المواقف. هذا هو الموقف، هذه هى الحكمة وهذا هو الحكم. لذلك هى قرآن نقرأه. نتدبر به الحكمة الإلهية. نتلوه لنعيش الماضى ونحيا الحاضر ونخطط للمستقبل. قد يدرك البعض حكمة نزول وقراءة هذه الآية الحرجة، وقد لايدرك الحكمة آخرون، وقد يستنكرها من لم يهد الله قلبه حتى إذا

ابتُلى برمى إحدى المحصنات من أهله، أو أعزهن عليه، ابنته أو زوجته أو ربما أمه، وهو نفس ما امتحنت به عائشة، لسجد خوفاً، طالباً عون ربه، ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾. أن يسترها الله إن كانت مذنبة، وتنزل براءتها أيضاً من السماء إن كانت مظلومة، أو يفضحه، فيعذبه الله بظلمه، وما ظلم إلا نفسه. الله لايظلم أحداً ولا يظلم أبداً، ولا يستطيع ذلك، كل مايستطيع أن يفعله فى مجال العقاب، أن يحجب رحمته.

«الله محبة، والمحبة دين.

القرآن ليس كتاب تعاليم، والآيات ليست بنود قوانين ربانية. الدين عدالة وليس قانوناً. القرآن حياة. القرآن كائن حى. الدين ليس فقط أمر ونهى، افعل ولا تفعل. الدين علم. والعلم بالأسباب هو معرفة «حكمة افعل، و«حكمة لا تفعل». حكمة إدراك سر تحريم زواج المحارم، حكمة تحريم زواج الرضاعة، حكمة تحريم التبنى، وحكمة تحريم شرب الخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير. «الدين المعاملة». الدين حب. والحب اتباع. الحب منهج حياة. والحب الحقيقى هو إدراك العلّة. ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾، كيف نتبعه؟ ﴿اتبعوا النور الذى أنزل معه﴾.

كل القصص القرآنى وماذكر به من رد فعل القوم، المؤمنين منهم والكافرين، حوادث وقعت، ويمكن أن تقع. إيذاء النبى ممكن، ليس فقط من كل الجاهلين به والحاقدين عليه الذين ماقدروه حق قدره. بل إن إيذاءه أكثر وأكبر ممن يحبونه بجهل ويتبعونه بتزمت وتعصب مقيت. المرويات المسيئة للإسلام وله، هى الأذى الدائم والمستمر لهذا الرسول الكريم النبيل. ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾. إذا أحببته أحبك وإذا رضيت عنه رضى عنك وإذا صليت له صلى عليك. والنبى حى، وهو حبيب من اتبعه ورفيق من سار معه على الطريق. أما الغرباء الذين يعيشون فى الماضى فهم المتزمتون ضيقو الأُفق، الذين لايفهمون إلا التراث ولايعيشون إلا على الذكريات. هم المتمسكون بالمظهر دون الجوهر، ليس عندهم قدرة على مواجهة الحاضر. هم الجمود والتطرف. هم العدو فاحذروهم. هم الغافلون الذين يتمنون لو أصبحت الأميّة سنّة، والتعدد صار سنة، والتواكل صار فرضاً، والاجتهاد صار بدعة. هم الذين يعيشون فى يثرب ولم يفطنوا بعد لماذا سميت بالمدينة المنورة.

فى يوم فى شهر فى سنة:

﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾، ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن﴾، ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾. الإنزال فى ليلة والتنزيل استمر ٢٣ سنة والإكمال فى يوم.

السادة الوعاظ المعروفون بالعلماء الأفاضل أو رجال الدين، موقفهم من القرآن كموقف العامة تماماً. التسليم. لأن معلوماتهم بالنسبة للقرآن لاتزيد على معلومات العامة بتاتاً. وإن

كان لهم دور فدورهم وعظى بحت. القرآن هو الآيات المتشابهات. هو قوانين الكون. هو النبوة. هو كل ماخوطب به محمد ﷺ بـ ﴿يا أيها النبى﴾. أما ما خوطب به بـ ﴿يا أيها الرسول﴾. فهو الرسالة. (النبوة تفرق بين الحق والباطل). الرسالة تفرق بين الحلال والحرام). هنا لتوقيت النزول أسباب. إذن كل مانقرأه عن أسباب النزول، يتعلق بالرسالة وليس بالنبوة (راجع فهرس أسباب النزول فى كثير من المصاحف). أما مخاطبته فى الآية الكريمة بـ ﴿يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك﴾ فهذه تعليمات ليس لها علاقة بالحلال والحرام، جاءت حصراً للنبى، حسب الشروط الموضوعية التاريخية، ولو كان هناك حرام وحلال، لذكرها صراحة وقال يا أيها الرسول. وهناك خطاب ليس فيه صفة، لا رسول ولا نبى. وهو يعبر عن علاقة الرسول الأبدية بقومه، حتى بعد وفاته.

يسألونك، عن الروح، عن الساعة، عن الأهلة، عن الشهر الحرام، عن الخمر والميسر، عن اليتامى، عن المحيض، عن الأنفال، عن ذى القرنين، عن الجبال.

رابعاً: مشكلة المفسرين:

«الإنسان لا يخدع إلا من يثق به» (مثل فنلندى). **«فكر قبل أن تثق»** (الحكيم الإغريقى أبيسوب).

إن العلم يتقدم الآن كبحر هادر يكتسح العقول اكتساحاً وأقوال كثير من المفسرين لاتتسم بالصدق والأصالة. لو اجتمع عمالقة الأدب والفكر: ابن سينا، المتنبى، أنيس منصور، والدكتور مصطفى محمود وجمال الغيطانى مع أئمة المسلمين: المفتى وشيخ الأزهر مع عمالقة العلم: نيوتن، أينشتين، زويل، والباز مع أئمة المسيحيين بابا روما وبابا الإسكندرية واتفقوا على أن يصوغوا حقيقة كونية صياغة قرآنية أو إنجيلية لعجزوا جميعاً أن يربطوا الغيب بالواقع ومطلق المعرفة بنسبية الفهم. ولذلك لن يمكن أبداً تأويل ماكتبوه، أى إعادة فهم ماتصوروا أنه الحقيقة فى ضوء معطيات العصور القادمة رغم بلاغة أسلوب مفكرينا وأدبائنا الكبار وفصاحة كلامهم وحسن انتقائهم للفظ الذى يخدم المعنى واستخدامهم لآلية الفكر «اللغة» من كناية وسجع وتشبيه واستعارة وإيقاع موسيقى. لأننا إذا بحثنا فى أى معجم لمفردات اللسان العربى فإننا لن نستطيع أن نبدل فى القرآن كلمة بكلمة أخرى أو باشتقاق آخر دون أن يتغير المعنى. هذا مستحيل. ولا توجد لفظة تحل محل أخرى وتؤدى المعنى المطلوب بدقة. فإذا كان هذا هو قدر المؤلفين فوضع المفسرين بالغ الحرج حتى لو كان على رأسهم إمام الدعاة أو شيخ المفسرين.



الفصل الرابع
التفســـــير مشـــــكلة

تفسير القرآن :

تناول موريس بوكاى هذه القضية بإسهاب فى كتابه القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم من منشورات سيغرز Seaghers باريس الطبعة العاشرة.

The Bible, The Qur'an and Science. La Bible, le Coran et la Science.

وأضاف إليه الأفكار التى أدخلها المفسرون المسيحيون أنفسهم على النص مما أثبت تفوق المعطيات العلمية، وبدائية تعاليم التوراة والإنجيل، وأوضح أن الأمر مختلف بالنسبة للقرآن. وقال أنه يجب أن تفهم المواضيع التى يعرضها القرآن الكريم على أساس قاعدة أنه يستحيل وجود أى تعارض أو تناقض أو اختلاف فيه لأى سبب وبأى شكل كان، وهذا هو الدليل الذى ألزمنا به ربنا عز وجل للبرهان على أن القرآن من عنده وحده، سبحانه وتعالى. وهو كلامه المحكم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وإلا فإن وجود أى اختلاف فيه لابد أن يؤدى بالعقل السليم والمنطق الإنسانى إلى عدم التصديق أو إنكار أن القرآن كتاب من عند الله. جفت الدموع ونشف الريق ولا زلنا نتمنى أن يقرأ فقهاؤنا الكرام كلام هذا المسيحى المستنير ويستطرد قائلاً: «أما التفاسير التى ترد على لسان كبار قدامى المفسرين المؤهلين تأهيلاً كبيراً للحديث عن القضايا الدينية فإنها لاتزال لسوء الحظ تمارس تأثيرها على التفسيرات الحديثة التى يقدمها الراسخون فى العلم بشأن موضوعات من نوع مختلف. هذه التفاسير يتعذر الدفاع عنها لأنها ببساطة ليست إلا انعكاسا للآراء السائدة وقت نزول القرآن» . فلا هو صحيح قول ابن عباس: أن الشمس تغرب فى عين حمئة: يعنى أنها تغرب فى ماء وطين. جاء فى صفوة التفاسير الكبير للرازى تفسيرات أخرى لهذه الآية ولآيات ذى القرنين، تتحدث عن معان مجازية أقرب إلى العقل. وبالطبع نحن لانتوقع من القرطبى أو من غيره من كبار المفسرين أن يدرسوا الطب ليدركوا مانفهمه الآن. واجتهادهم مقبول على تواضعه: الأمشاج أخلاط ممتزجة متباينة الصفات، ولهم الشكر.

ولاهو صحيح قول غيره، أن كلمة أمشاج تعنى اختلاط سائل التذكير بسائل التأنيث. فالأنثى لاتنتج سائلا له دور فى التناسل، لأن بويضة الأنثى داخل البطن، أما الإفرازات العديدة التى تحدث فى المهبل والغشاء المخاطى للرحم فلا علاقة لها على الإطلاق بتكوين فرد جديد. ولاهو صحيح أن معنى خلق الإنسان من علق أنه خلق من دم جامد. الفكرة الأساسية الأصيلة التى توحى بها كلمة العلق - باللغة العربية - هى فكرة التشبث أو التعلق بشئ ما. وأحد المعانى المشتقة هو تجلط الدم. هذا التفسير غير الدقيق وغير المقبول لانزال نراه

حتى اليوم فى أحدث طبعات ترجمة معانى القرآن الكريم التى أصدرتها القاهرة والسعودية. وقد قيل لأول مرة بواسطة مفسرين من الأوائل الذين وضعوا تفسيراتهم وفقا للمعنى الاشتقاقى للكلمة ولنقص المعارف فى ذلك الوقت. لم يكن لديهم أى وسيلة للتأكد من أن المعنى الأصلى للكلمة كان كافيا تماما. هناك قاعدة عامة لم تخطىء أبدا: وهى أن أقدم المعانى وأكثرها بدائية هو المعنى الذى يوحى بعقد مقارنة مع الاكتشافات العلمية فى الوقت الحاضر فى حين أن المعانى المشتقة، تؤدى بدرجات متفاوتة، إلى تعبيرات غير دقيقة أو لا تحمل المعنى المقصود.

من مفاتيح القرآن لفهم آياته وتأويله:

مثل هذه المفاتيح لا أحسبها قد غابت عن قدامى المفسرين إلا أن المعانى - رغما عنهم - كان يجب أن تظل خافية حتى يتطور العقل ويتهيأ الفهم والإدراك لقبول التفسيرات الحديثة. فالوحى لايناقض العقل أبدا، لكن العقل ينمو دائما أبدا ويتطور. فعقول الناس فى صدر الإسلام ليست مثل عقولهم الآن. والوحى يتطابق مع الإدراك الأول والأولى وكذلك مع العقل بالغا مابلغ، وهذا هو الإعجاز:

١ - الانتباه لمواقع النجوم، فالموضوع الواحد قد يذكر فى عدة آيات.

٢ - الالتزام بقاعدة عدم التعضية. «قسمة ما لاينقسم» لأن الآية الواحدة قد تحمل فقرة متكاملة أو فقرة من موضوع كامل.

٣ - الإيمان بأن الوحى لايناقض العقل ولا الحقيقة.

٤ - إدراك أن الألفاظ تخدم المعانى، والمعانى هى مالكة سياستها.

١ - ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ التحريم ١٢ into her body

﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ الأنبياء ٩١ into her

٢ - ﴿أو نسائهن﴾ النور ٣١ their bosoms

﴿ولا نسائهن﴾ الأحزاب ٥٥ their women

٣ - ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ النساء ٣

٤ - ﴿ن والقلم﴾ القلم ١ nun pen men write

٥ - ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ آل عمران ٧ except God

٦ - ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ الكوثر ١.

العقيدة قضايا، إذا اهتزت قضية، اهتز الإيمان، وقد أدى عدم فهم الفقهاء للفرق الجسيم بين الروح والنفس وكلمات بسيطة مثل: نسائهن، ونفخنا فيه وفيها، خلق، علق، إلى الشك وعدم الثقة فى قدرتهم على تفسير آيات الخلق والتطور وعدم الاقتناع بما جاءوا به ووصلوا

إليه منفردين، دون الاستعانة بآراء العلماء المختصين، وما دام هذا الشك قد ساورنا، ولأن أخطاء الترجمة قد أضافت تعقيدات جديدة ومشاكل مؤسفة فإنه لاحل إلا التفاهم بيننا، فنحن فى زورق واحد، ولسنا أبدا أعداء. ومن المؤسف والمثير أن اختلافهم على الناسخ والمنسوخ قد أضاف عبئا عقليا ونفسيا كبيرا وزلزل ثقتنا فيهم وأضر بالرسالة والرسول. ظلمونا وظلموا الرسالة. لو اقتصر ظلمهم على أنفسهم لتمنينا أن يخلصنا الله منهم. وإليك هذه الأمثلة.

أولاً : سورة التحريم ـ آية ١٢ : ﴿ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها **فنفخنا فيه** من روحنا وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾.

Imaran, who guarded Her chastity; And Mary the daughter of and We Breathed into (her body) Of Our spirit; and she Testified to the truth Of the words of her Lord And of his Revelations, And was one of the Devout (servants).

سورة الأنبياء ـ آية ٩١ : ﴿والتى أحصنت فرجها **فنفخنا فيها** من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾.

And (remember) her who Guarded her chastity: We breathed into her Of Our Spirit, and We Made her and her son A Sign for all peoples.

تذرف العين دموعا حارة وصادقة كلما سمعت الأذن سورة مريم، هذه الآيات بدون أى تفسير أو بتفسير بسيط تدخل إلى القلب فورا وتبكيه، هى أقرب إلى القلب وأبعد عن العقل إذا سأل أين وكيف نفخ فيها، لكن السؤال حلال، ومفيد لأنه يعمق الإيمان، فمريم العذراء البتول قد أحصنت فرجها عن البشر وأيضا عمن تمثل لها بشرا، ومايقوله الفقهاء عن النفخ ليس مقبولا ولا معقولا ولا هو من مهمتهم أن يفتوا فيما لا يعلمون. المشكلة فى تفسير هاتين الآيتين مشكلة نحوية لن تحل إلاّ بفض الاشتباك بين النحو والإعراب وبين العقل والمنطق. القاعدة اللغوية فى إعراب الأسماء الخمسة، أبوك وأخوك وحموك وفوك وذو مال أن الاسم إذا جرّ ـ بحرف جر ـ ينصب بحذف حرف الجر. ويصبح منصوبا بنزع الخافض. الإشكال هنا نابع من الضمير. مرّة قال: «فيها» ومرة قال «فيه». النحاة يقولون أن فيها أو فيه حرف جر وضمير. والمنطق والعقل والواقع يقول أن فيها وفيه يعنى الفم. فمها وفمه، فهذا هو المكان الوحيد الذى يمكن عن طريقه لأى أمر أن يصل إلى كل خلايا الجسم بلا أى استثناء. الملك حين أتى مريم قال لها لأهب لك. ومعنى الهبة أن فعلا قد حصل. هذا الفعل هو النفخ. والنفخ لابد أن يكون فى الفم. فلماذا إذن قال فيها وفيه؟ ما المعنى وما الفرق؟ هذا غير جائز نحوياً فلابد أن يقول فاها طبقا للقاعدة اللغوية. ليس هناك خيار آخر. الضمير مؤنث لأنه يعنى مريم. والضمير مذكر لأنه يعنى المسيح عليه السلام. لايعنى الفرج. لايجوز أن نتصور غير ذلك لأنها أحصنت فرجها. أطلق الكل وأراد الجزء. الجزء الذى يتحقق عن طريقه الغرض من النفخ. أطلق المحل ـ الفرج ـ وأراد الحالّ «المسيح».

ونفخنا فيه من روحنا:

جاء فى صفوة التفاسير ص ٤١٢ عن ابن كثير ص ٣٩٤.

ينفخ بفيه: يعنى من فم جبريل.

﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾.

هنا النفخ مباشر، وليس عن طريق ملك. وقد أخطأ الفقهاء مرتين فى إعراب الاسم «فيه» فى آية النفخ على أنه ضمير وفى «له» فى آية السجود واعتبروها عائدة على آدم وهى تعود على الروح.

النفخ للتكوين. النفخ من الروح (النفس): والنفخ للبعث.

النفخ فى القرآن ليس فى أداة. النفخ فى الفم نفخا «نفخنا من روحنا» فيها نفخنا «من روحنا» فيه. مرّة فيها ومرّة فيه، النفخ هنا للتكوين والبناء وليس الهدم. النفخ فى الإنسان هو العملية التى ميز الله بها الإنسان عن كل الكائنات الحيّة. لذلك قبل الإنسان حمل الأمانة (النفس العاقلة) (العقل. أعلى ملكات النفس) التى أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها. لأن «تكوينها ووظيفتها لايسمحان بحمل هذه الأمانة»، لا ضرورة لها. لأن العقل مناط التكليف. وهذه المخلوقات لاعقل لها، النفخ جعل الإنسان يقبل الأمانة. الإنسان قبل حمل الأمانة لأنه يتميز بالعقل. قال للعقل أقبل وقال للسموات والأرض ائتيا طوعا أو كرها فأتيتا طائعتين. والعقل لايكره على الطاعة ولا على العبادة الجزء الأقدم من المخ Ar-cheo مشترك مع الحيوانات الدنيا والجزء القديم Paleo مشترك مع الحيوانات الأرقى، والجزء الحديث Neo خلق خصيصاً من أجل الإنسان ليتعامل معه العقل. أكمل ما خلق الله. قال له: أقبل فأقبل، أدبر فأدبر. إذن حمل الأمانة هو مهمة النفس العاقلة، والعقل أعلى ملكات النفس، كل ما فى الكون يبدو للعلماء مثنوياً ـ ازدواجية المادة ـ مع أن جوهره واحد إلاّ الإنسان، الذى يبدو واحدا مع أنه ثلاثة جواهر مختلفة، الجسد مادة، يؤدى الفعل ويطيع الأمر، والروح هو المحرك، هو الحياة، وكائن غير منظور، هى النفس، المسئولة عن النية. هذا كان رأى فى كتابى الأول. أما الآن، فقد اتضحت الصورة، مثنويّة الإنسان، جسد حى من تراب الأرض ونفس نورانية من روح الله وكما للجسد أجزاء فللنفس أيضا أجزاء أو ملكات أعلاها العقل وأداته المخ، وأهمها الفؤاد وأداته القلب.

النفخ للهدم: اتفاق غزّة وأريحا. الهلاك والنفخ فى الصور.

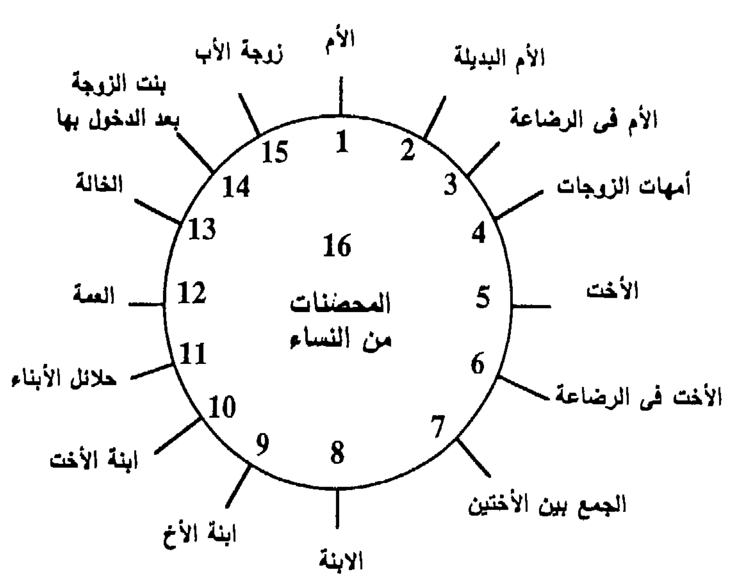
الزمر ـ الآية ٦٨: ﴿ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلاّ من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾.

من حكايات الطفولة: كانت جنيّة تسدى إلى الأمير الصغير النصيحة التالية أنفخ فى

البوق ينهار قصر الغول. فى التوراة أسقط يوشع أسوار أريحا من نفخه فى البوق. إذن توجد وبشكل واضح علاقة سببية بين فعل النفخ فى أداة وانهيار الجدران. ومن التوراة ندرك معنى النفخ ولماذا كان اتفاق «غزه وأريحا أولاً». هذا الاتفاق لم يكن من أجل عيون أبو عمار ولا من أجل ابنته «زهوة» هذا تفسيرى لهذا الاتفاق، إنهم يكرهون أريحا، فإذا كان لايعجبك، اعتذر عنه. فى العهد القديم ص٢٦٧ يشوع ٦ تحت عنوان «سقوط أريحا»:

«ولما كان اليوم الرابع بكروا عند مطلع الفجر وطافوا حول المدينة سبع مرات (لماذا الطواف لابد أن يكون ٧ مرات؟) فلما كانت المرة السابعة نفخ الكهنة فى الأبواق فقال يوشع للشعب: «اهتفوا لأن الرب سلم إليكم المدينة ولتكن أريحا بكل مافيها محرمة عليكم إكراماً للرب. وحدها الزانية تبقى حية هى وجميع من معها فى بيتها أما أنتم فكل شئ محرم عليكم. فنفخ الكهنة فى الأبواق فهتف الشعب عند سماع صوتها هتافاً شديداً فسقط السور من مكانه فاقتحم الشعب المدينة واستولوا عليها وقتلوا بحد السيف. إكراماً للرب، جميع ما فى المدينة من رجال ونساء وأطفال وشيوخ. حتى البقر والغنم والحمير وأحرقوا المدينة وكل مافيها بالنار»، ووجه يوشع تحذيراً بعد سقوط أريحا «ملعون لدى الرب من يبنى هذه المدينة أريحا، على ابنه الكبير يؤسسها وعلى أصغر بنيه يرفع أبوابها».

ثانياً: المحرمات من النساء. تطور الزواج وملك اليمين.



سورة النور ـ آية ٣١: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا

لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن **أو ما ملكت أيمانهن** أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنين لعلكم تفلحون﴾.

Or their women, or the slaves Whom their; Or their sisters **right hands Possess**, or male servants Free of physical needs,

سورة الأحزاب ـ آية ٥٥: ﴿لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن **ولا ما ملكت أيمانهن** واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾.

Or their brother's women Or the (slaves) **whom their right hand possess.**

لنشرح هاتين الآيتين فقرة فقرة. الفرق بين آية سورة الأحزاب وآية سورة النور أن الخطاب فى الأولى موجه للمؤمنات وفى الثانية موجه لزوجات النبى. وهن لسن كأحد من النساء. ولم يذكر فى خطابه لنساء النبى والد النبى ولا ابنه لأنه كان يتيما ولم يعش له ولد. جاء فى الآية ٣١ من سورة النور وفى الآية التى قبلها رقم ٣٠ أمر مشترك للمؤمن والمؤمنة على حد سواء بشيئين: ١ ـ الغض من البصر. ٢ ـ حفظ الفرج من الزنى.

أمر الله المؤمنين بالغض من البصر لا غض البصر. حرف الجر (من) للتبعيض أى جزء من كل. ثم إنه لم يذكر المفعول به أى لم يقل لنا أن نغض من أبصارنا عن ماذا؟ تركت مفتوحة حسب الأعراف أى حسب الزمان والمكان فما هو عادى فى وسط أفريقيا يعتبر عارا فى بلاد أخرى. كيف تحتشم المرأة عند خط الاستواء؟ من ينكر النسبية وتأثيرها على الأحكام لايستخدم عقله. ما يحدث فى مصر علناً يعتبر إباحياً فى السعودية. ومايحدث فى بلاد العرب سراً يعتبر مخلاً بشرف وكرامة الإنسان المصرى. يرفضه المصرى الأصيل. ابن أم الدنيا مهد الحضارة. ثم إن الفعل «غض» نفسه مشتق من الغضاضة فيه لطف وطراوة ليعبر عن السلوك الاجتماعى المهذب لأنه لايجب على أحدنا أن يضع نفسه فى موقف لايحب أن ينظر إليه فيه أو يظهر لغيره مايستحى منه.

زينة المرأة تنقسم إلى قسمين: زينة ظاهرة وزينة مخفية أى الزينة التى أخفاها الله فى بنية المرأة وتصميمها. الزينة المخفية لايجوز إظهارها إلا للزوج والأب ووالد الزوج والابن وابن الزوج والأخ وابن الأخ وابن الأخت. لكن المشكلة هنا فى كلمة «**أو نسائهن**»، ماذا تعنى؟ أكثر السلف يقولون أنه يقصد النساء المؤمنات أو المسلمات والفخر الرازى يرى أن المراد هو جميع النساء فكلهن سواء فى حل النظر. والغريب أنهم لم ينتبهوا إلى أن الخطاب

موجه للنساء لتحديد الذكور الذين يجوز لهن إبداء الزينة أمامهن، ومع ذلك فقد قال بعضهم أنه يقصد النساء المؤمنات. أى أن المرأة لايحق لها أن تبدى زينتها المخفية إلا أمام النساء المؤمنات. وهذا غير صحيح. لأنه لو عنى ذلك لقال «أو المؤمنات من النساء» لكنه قال «أو نسائهن» ونون النسوة هنا للتابعية وليست للجنس. فإذا كانت للجنس فهذا يعنى أن هناك نساء النساء وهذا غير معقول إذا كانت نساؤهن تعنى الإناث. ولكن إذا قصد بنسائهن زوجات الرجال المذكورين قبلها فلزم أن يضع ميم الجماعة عوضا عن نون النسوة فيقول: «أو نسائهم». لذلك لم يخطر هذا الرأى على أى من المفسرين، ولكن هنا نون النسوة وليست ميم الجماعة. ولا يصح أن نقول إنه وضع نون النسوة عوضا عن ميم الجماعة للتغليب فيصبح وضع نون النسوة لضرورة صوتية. لايوجد فى الكتاب كله شىء اسمه ضرورة اللحن والنغم، وهذا ما لايقره أى مفسر عاقل، هناك شىء واحد فقط اسمه ضرورة المعنى. فنساؤهن هنا يجب أن تكون من الذكور وليس من الإناث ونون النسوة للتابعية فقط لماذا؟ لأن الخطاب كله يخص الذكور». والنساء هنا هى جمع «نسئ» لا جمع امرأة. أى المستجد أو المتأخر وغير المذكور فى الآية. فلم يذكر الأحفاد، أبناء الأبناء ولا أبناء أبناء الزوج وهكذا، والذين لهم علاقة قرابة مع المرأة لذا وضع نون النسوة للتابعية. والنسئ هنا أيضا لاعلاقة لها بأيام الأشهر الحرم. إلى هنا والخلاف فى الرأى محتمل وجائز، (فعيل، فعال، كبير كبار، صغير، صغار، نسئ، نساء)، لكن المصيبة الكبرى تأتى حين يتفضل السادة الفقهاء بشرح معنى «**وما ملكت أيمانهن**».

ثالثاً: ولنضرب مثلاً آخر: آية أخرى:

سورة النساء ـ آية ٣: ﴿... فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع...﴾ قرأ المسلمون هذه الآية هكذا وسكت عنهم علماء المسلمين، بل تجاهلوها «كيفا» وعللوها «كما» بالكثرة والقلة. كثرة النساء وقلة الرجال. أين بداية الآية؟ وأين نهايتها؟ أين العطف والشرط وجوابه؟ بتجاهل مفاتح التأويل لم نجن إلاّ خيبة الأمل فأباح الفقهاء لأى رجل متزوج أن يتزوج بأخرى على كيفه، فضاعت الحقيقة والحقوق، رغم أن الآية صريحة وجليّة. لماذا؟

النساء ٣: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾.

١ ـ إن الفقيه نسى أنّ الآية بدأت معطوفة على الآية التى قبلها. النساء ٢ والتى وردت فى حق اليتامى.

٢ ـ ولأنه تجاهل الشرط الأول فى أول الآية. ﴿وإن خفتم ألاّ تقسطوا فى اليتامى﴾. وتناسى الشرط الثانى. ﴿فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة﴾. إذن نسى عامدا متعمدا العطف

والشرط وجواب الشرط، ولم يدرك أنه لكي يكشف المعنى السامى الكامن فى هذه الآية الحدودية فعليه أن يتعلم نظرية الحدود. الكم والكيف. ويفهم لماذا أطلق الله الكم وقيد الكيف، ويعرف الفرق بين القسط والعدل ويدرك أن الله يخاطب المتزوج ويتكلم بالضرورة عن أمهات اليتامى وأن الله لم يطلب العدالة بين النساء فهذا مستحيل. ﴿ولن تستطيعوا تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾. ولأن هذا الزواج أبيح أصلاً من أجل الأيتام، والعدل بينهم هو المطلوب والممكن.. ولأن هذه الآية حدودية، فإنه يجوز للمشرع أن يبنى عليها عدة احتمالات كأن يجيز الزواج من أرملة بلا أولاد ولكنه لايجيز أبداً أن يأخذ الرجل الأرملة ويترك أولادها. برّر الفقهاء التعدد وحكمته فى ظروف الحرب، مع أن الترمل سنة الحياة، وهو ظاهرة دائمة لا علاقة لها بالحرب بل هى فى السلم أظهر. الله يريد أن يحل مشكلة اليتامى والأرامل فأشعل الفقهاء الحرب بين الضرائر وخربوا البيوت وشردوا الأولاد. غير أن بعض المجتهدين؟ قد جمع مثنى وثلاث ورباع ٢ + ٣ + ٤ = ٩ يقصد أنه ليس النبى وحده هو الذى أحل الله له ٩زوجات. وبعض المغرضين قد فسّر أن مثنى كبداية تعنى أن الزواج بواحدة فيه مخالفة وأن الأصح شرعا هو التثنية.

فذلكة لغوية: ما الفرق بين القسط والعدل؟

القسط: فى اللغة أصلٌ صحيح يدل على معنيين متضادين تماما والبناء واحد.

المعنى الأول هو العدل ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ المائدة ٤٢، الحجرات ٩، الممتحنة ٨.

المعنى الثانى هو الظلم والجور. ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ الجن ١٥، أقسط، همزة السلب والإزالة دخلت على قسط بمعنى ظلم، فسلبته الظلم فأصبح عدلا. مقسط = عادل.

العدل: أصل صحيح له معنيان متضادان الأول: استواء: الشئ يساوى الشئ هو عدله. زوج شقيقة الزوجة هو العديل. أو المساواة ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ الشورى ١٥ والثانى: اعوجاج - أو الظلم ﴿أ إله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾ النمل ٦٠.

وهناك فرق آخر بين القسط والعدل. فالقسط يكون من طرف واحد والعدل بين طرفين لذلك نقول معادلة أى أن المعادلة هى مساواة بين طرفين مختلفين. وهناك فرق كبير بين نظرة السنة والشيعة إلى المحارم وزواج المتعة. لم تأخذ الشيعة بتحريم الجمع بين المحارم سوى مانص عليه القرآن وهو تحريم الجمع بين الأختين وعندهم يجوز الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها إذا كان برضى العمة أو الخالة.

رابعاً: سورة القلم آية ١ - نزلت بعد سورة العلق. أى فى الأيام الأولى للتنزيل. أيام الوحى الأولى.

﴿ن والقلم ومايسطرون﴾.

Nun by the pen and by the "Record" which "men" write.

كيف يفهم غير العربى مثل هذه الترجمة. ومثل هذا التفسير الموجود فى نسخ القرآن المترجم، والذى ليس له معنى على الإطلاق. فما معنى Nun؟ ما معنى N + The pen؟ يقول بعض المفسرين:

ن: قد تعنى سمكة!! لأن الآيات ٤٨ ـ ٥٠ من نفس السورة تحكى حكاية الحوت ويونس وقد تعنى الحرف الثالث من اسم يونس!! وقد تعنى المحبرة أو الحبر لعلاقته بالقلم فى الآيات الأولى!! وقد تعنى أن نهاية معظم آيات هذه السورة هى ن!! وقد تعنى شكل الكعبة وحجر إسماعيل هذا هو منتهى اجتهادهم. وقد يشير القلم إلى اللوح المحفوظ. من المهم جداً أن تعلم معنى «القلم» ومعنى «اللوح المحفوظ» «والكتاب المكنون».

Permanent Record - the written decree - the perfect order.

إذا كان هذا هو كل مايمكن أن نستفيده وما يفرضه علينا من لايفكرون إلا بعقل الآخرين كلما تقادم الزمان ازدادت قيمة الحفريات من التراث، ومن الواضح أن هذا الحال سيستمر كثيراً لكن من المحتمل أنه لن يستمر أبداً فكيف يستطيع أى مفسر حتى لو كان اسمه القرطبى أو ابن كثير أن يتجرأ على الله ويدعى أن تفسيره هو الكلمة النهائية وأن مافهمه هو، فى القرون الأولى، سيلزم به كل البشر مهم تطورت الدنيا وكشف الله الحجاب لمن شاء من عباده عن بعض أسرار الكون، أليس موقفه حرجا؟

إذا كانت التفسيرات السابقة هى مافهمه المفسرون التقليديون فكيف شرح الأستاذ الدكتور المهندس السورى محمد شحرور هذه الآية؟ سأل نفسه أولاً: ماذا يفهم العربى وغير العربى من ن والقلم N & the pen ؟ وهل فى التفاسير السابقة أى معنى مفيد؟ اقرأ معى تحليله واسأل نفسك أى التفسيرين أقرب إلى العقل والمنطق وأفضل لنشر رسالة محمد ﷺ والتبشير بالفكرة الإسلامية والمعنى القرآنى؟

١ ـ ن

عندما بدأ الكلام، كان الإنسان لايميز الذكر عن الأنثى فى المتكلم والمخاطب. ولا يميز العدد. ظهر هذا التمييز فى فترات لاحقة. إحدى وسائل التمييز التى لعبت دوراً فى الكلام الإنسانى المجرد هو صوت النون. صيغة «ما» فى اللغة العربية تشمل العاقل وغير العاقل ثم استعملت النون لتمييز العاقل فقط فأصبحت «من» صيغة خاصة للعاقل. أى أن «ما» «الصيغة العامة» سبقت فى الاستعمال التاريخى «من» الصيغة الخاصة التى أدخلت صوت النون. وكذلك لعبت النون دوراً فى التمييز بين الذكر والأنثى فى نون النسوة حيث «أنتم» «صيغة

عامة، للذكور والإناث سبقت «أنتن» صيغة الإناث فقط أى أن «ميم» الجماعة سبقت «نون» النسوة فى الاستعمال التاريخى. إذن صوت النون كان له دور كبير فى التمييز والتقليم. التقليم؟. ماذا تقصد به؟ التقليم هو التمييز.

٢ ـ والقلم Identification التمييز

أساس المعرفة الإنسانية هو التمييز ومراحل الإدراك الفؤادى هى:

أولاً ـ الحواس ـ العين تقلم «الألوان والأبعاد والأشكال». والأذن تقلم الأصوات وكذلك بقية الحواس.

ثانياً ـ الفكر المجرد لتقليم «العلاقات» بعضها عن بعض ثم يتم التعبير عنه.

ثالثاً ـ بواسطة اللغة المجردة والأعداد والرموز التى تقوم على علاقات منطقية. أى أن القلم هو تمييز الأشياء بعضها عن بعض وهو مايسمى بالإنجليزية identification لذلك اتبع الله هذا الصوت فى هذه الآية بقوله والقلم. وبزيادة التقليم ازداد تصنيف الأشياء وهذا يسمى التسطير.

٣ ـ ومايسطرون Classification التصنيف

من الفعل يسطر. وله أصل مطرد فى اللّسان العربى يدل على اصطفاف الشئ كالكتب والشجر وكل شئ اصطف، وهذا مايسمى باللغة الإنجليزية Classification، وبالعربية التصنيف.

وقوله تعالى ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ القمر ٥٣.

أى أن كل الأمور والأشياء صغيرها وكبيرها تدخل ضمن التصنيف. ومن فعل سطر جاءت الأسطورة وهى تصنيف الأشياء الباطلة بعضها إلى بعض لإخراج قصة سميت الأسطورة.

صوت النون زاد فى التقليم وميّز الأشياء بعضها عن بعض. والقلم هو التمييز. وزيادة التقليم أدت إلى التصنيف. والشئ المؤكد أن صوت النون موجود فى كل ألسن أهل الأرض قاطبة وبدون استثناء وبالإضافة إلى صوت النون توجد الأصوات التالية فى كل ألسن أهل الأرض. أل ر «ألر» ى س «يس» وقد ميز الصحابة الذين خطوا المصحف بين يس التى لها مقطعان صوتيان ى س والتى تلفظ بالدمج yes وبين ياسين الكلمة «آل ياسين» الصافات.

خامساً: سورة آل عمران ـ الآية ٧: ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هُن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولو الألباب﴾.

التجاور عن شروط الوقف وآدابه يخل بالمعنى

نوعين من الآيات: ١ ـ محكمة: Basic ٢ . متشابهة allergorical

بعض العلماء من أعداء الفكر والعلم يقف عند قوله تعالى «إلا الله» ويعتبر ماجاء بعدها كلاماً مستأنفاً. بحجة أن الله هو الذى يعلم وحده تأويل المتشابه. أما الراسخون فى العلم فيقولون: إن المحكم من الآيات سيعملون به والمتشابه يؤمنون به وكل من عند الله. أى أنهم فى تصور الفقهاء يقولون هذا دون أى تفكير أو أدنى علم، هروبا من المسئولية. لكن هناك من المفسرين من يعرف قدره وقدر عقله ويحترم نفسه ويحملها أمانة المسئولية، فلا يقف عند «إلاَّ الله» إنما يَصلها بالعطف. أى أن تأويل المتشابه لايعلمه «إلاَّ الله» والراسخون فى العلم. ويقول الشعراوى إن الأمرين متساويان سواء وقفنا أو لم نقف فالمعنى ينتهى إلى شئ واحد هو أن الراسخين فى العالم علموا تأويل المتشابه وكانت نتيجة علمهم قولهم آمنا به. ولكنه يستطرد مع الأسف الشديد قائلاً: لو أن كل شئ صار مفهوما لما صارت هناك قيمة للإيمان!! إنما عظمة الإيمان فى تنفيذ بعض الأحكام وحكمتها غائبة عمن ينفذها!! مثل أكل لحم الخنزير وشرب الخمر. لذة خضوع العابد أن هناك مساحة، تختلف اتساعا وعمقا للتسليم بأمر الله، حتى لو خفيت الحكمة والأسباب. ويترتب على قوله هذا أن إيمان الجاهلين أقيم وأعمق من إيمان العلماء.

سادسا: أبا الزهراء قد جاوزت قدرى:

الكوثر ـ الآيات ١ ـ ٣: ﴿إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر﴾

بعد عشرات القرون فهم السنيون من الشيعة معنى ومغزى هذه السورة الكريمة. كنا لا ندرى السر الذى يربط هذه الآيات الثلاث. ماعلاقة أن يعطيه الله نهرا فى الجنة، بذبح الضحية بعد الصلاة، بسب شانئه. ثم إن الجنة تحت أقدام الأمهات. وأمهات المؤمنين زوجات الرسول أولى. والجنة بكل أنوارها وأعنابها وحورياتها من أجل محمد ﷺ وأمة محمد. وليس كثيرا عليه أن يخصص له الله نهرا. لكن إذا رجعنا إلى ما يسميه الفقهاء بأسباب النزول، سنجد أنه لما مات أولاد النبى الذكور القاسم وعبد الله «من السيدة خديجة» وإبراهيم «من مارية القبطية»، عيّره أحد أعداء الله «كعب بن الأشرف» أو العاصى بن وائل السهلى بأنه أبتر، أى لا أولاد له ولاعقب ولاذرية، أى أنه ستنعدم ذريته من بعده. فرد الله كيده وحقده وأعلمه بأن عدو الله هو الأبتر، وأنه لولا الزهراء ما امتلأت الأرض بآل محمد وعداً على الله إلى يوم القيامة، وبذلك بشر الله نبيّه بأن نهر النبوة، نهر الحياة، سيجرى من الزهراء إلى الأبد. خط ثورى ساخن يؤثر فى الحياة ويغير مجرى التاريخ. باسمها قامت مدينة القاهرة وبنى الجامع الأزهر. باسمها قامت الدولة الفاطمية وباسمها زالت الدولة الأمويّة. هنا تدرك أن الآية مترابطة الأطراف عميقة المعنى والمغزى. وستظل الحكمة أبدا

عند آل محمد ﷺ ولو كان الحكم لغيرهم. والكوثر من الكثرة. والأمر بالصلاة يعنى صلاة الشكر على هذا الخبر العظيم، لا صلاة المناسك، والنحر هو نحر عقيقة الحسن أو الحسين وليس نحر إبراهيم للكبش فداء إسماعيل فى عيد الأضحى. وهذا لايمنع أن للنبى نهرا فى الجنة وحوضا شريفا يشرب منه المقربون.

١ ـ الدكتور عبدالرزاق نوفل: فى كتابه «الإعجاز العددى للقرآن الكريم» أوضح التناسق الغريب بين كلمات القرآن. كلمة «الدنيا» ذكرت ١١٥ مرة وكذلك كلمة «الآخرة».

٢ ـ الدكتور رشاد خليفة: من خلال الكمبيوتر اكتشف إعجاز الرقم ١٩ فى كلمات وحروف وآيات القرآن والعلاقات المعقدة بينها. وكان ذلك الإعجاز الذى اكتشفه فوق تحمل إمكاناته العقلية، لذلك أصابه جنون العظمة فادعى النبوة ولقى مصرعه، وكان الدكتور أحمد صبحى منصور شاهداً على حكايته.

٣ ـ الأستاذ مراد الخولى: المقيم بكندا، اختار نهجا آخر فى كشف الإعجاز فى الكتابة القرآنية، هو حساب قيمة الكلمة القرآنية عدديا طبقا لعلم الحرف، حيث يكون لكل حرف قيمة عددية. ووصل إلى نتائج مذهلة وربط بين هذه النتائج والإعجازات المتصلة بالرقمين ٧ و١٩. العلماء بكل أدوات وتقنية العصر سيكون لهم الفضل فى شرح القرآن العظيم لعلماء الدين.

سابعاً: آل عمران ـ الآية ٢٠: ﴿... وقل للذين أوتوا الكتاب والأُميين ءأسلمتم ...﴾

آل عمران ـ الآية ٧٥: ﴿... قالوا ليس علينا فى الأُميين سبيل ...﴾

الأميون هم العرب الذين لم يأتهم كتاب سماوى فى مقابل أهل الكتاب العرب. خصوصاً أن مصطلحاً عربياً لم يأت فى القرآن وصفاً لأهل الجزيرة العربية وإنما جاء وصفاً للسان العربى الذى يتكلمون به والذى نزل به القرآن. وكان الطريق الوحيد للتمييز بينهم هو وصف بعضهم بأنهم أهل كتاب، ووصف الآخرين بأنهم أميون بل وصف القرآن بعض الذين يقرأون ويكتبون من اليهود بأنهم أميون حيث كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يزعمون أنه من عند الله. فقال إنهم أميون لأنهم جهلوا بالكتاب السماوى فأصبحوا كباقى العرب الذين لم يأتهم كتاب من الله. كلمة أمى لا تعنى الجهل بالقراءة والكتابة وإنما تعنى أن غير اليهود والنصارى أميون. ومعنى أنه وصف النبى بالأمى، أنه لم ينزل عليه كتاب قبل القرآن مثل قومه الأميين.

العنكبوت ـ الآية ٤٨: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾.

الفرقان ـ الآية ٥: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا﴾.

أى أن المشركين اعترفوا بأن النبى كان هو الذى يكتب القرآن بيده.

إذا أراد شخص مُعاد للإسلام أن يطعن فى القرآن الكريم فعليه بكتب التراث، خصوصاً ما يعرف منها بعلوم القرآن، فإذا قرأ فيها بضع صفحات وصدّق ما قرأ خرج متشككا فى آيات القرآن وسوره وكتابته وكل شيء.. وقد وفرت تلك الروايات التراثية الفرصة العظمى للمستشرقين فى كل اتهاماتهم للقرآن ويكفى أن تقرأ «إعادة كتابة القرآن» للمستشرق الفرنسى جاك بيرك. أما إذا أردت أن تعرف الحق عن القرآن فمن القرآن. أما موقف شيوخنا الأبرار فهو غاية فى العجب، فهم يدافعون عن كتب التراث بكل ما فيها من طعن فى العقل والدين ولا يجرؤون على مناقشتها وتفهم خطورتها، وإذا تصدى مفكر مسلم لمناقشة هذه الروايات البشرية اتهموه بالكفر وإنكار السنة، فإذا نقل من هذه الروايات واعتمد عليها اتهموه بالطعن فى القرآن مع أنه ينقل من التراث المقدس فلماذا تركوه لينفجر فى عقول الناس ويدمر معتقداتهم. ويقول الدكتور أحمد صبحى منصور، وهو عالم درس فى الأزهر وكان يدرّس فى جامعته: إن أحد مظاهر الإعجاز فى القرآن هى «الكتابة القرآنية». كلمة واحدة مثل «الأيكة» تكتب بطريقتين مختلفتين ففى سورة الحجر ٧٨ وسورة ق ٤ تكتب هكذا «الأيكة» وفى سورة الشعراء ١٧٦ وسورة ص ١٣ تكتب «ليكة». وكلمة «إذن» تكتب أحيانا «إذاً».. ما السر؟ «قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض». وقد نشرت مجلة الهلال فى عام ٧١ دراسة للدكتور أحمد حسنى الصاوى طالب فيها بصراحة بتغيير رسم المصحف واعتبر أن هذا مشكلة ملحّة جداً، إذ لا يقبل عاقل أن «ترسم» بعض كلمات المصحف بخلاف ما تعلّمه قراء العربية من هجاء وإملاء. الألف تحذف أحياناً ويعوّض عنها بألف صغيرة مرسومة مثل (الرحمن، السموت، وأحياناً تأتى نفس الكلمة بألف مثبتة ومحذوفة أحياناً مثل (تبارك وتبرك).

ومما يبعث على الفخر أن المصريين هم أول من فتح الباب فى اكتشاف الإعجاز العددى للقرآن ذلك الإعجاز الذى يتصل اتصالا وثيقا بنوعية الكتابة الفريدة للقرآن، لذلك لم تلق دعوة تغيير رسم المصحف قبولا، وحسناً فعل الفقهاء.

حسناً فعل الفقهاء:

لا شك أن هناك قواعد سريّة للكتابة القرآنية، ولكن لم يُكشف عنها النقاب بعد لأنها مرتبطة بإعجاز عددى ورقمى بدأت ملامحه تظهر. وستتوالى الاكتشافات مع دخول العالم فى عصر ثورة المعلومات. حيث تصبح الأرقام هى اللغة العالمية السائدة بالكمبيوتر وحيث تتضح وتتأكد علاقة الكتابة القرآنية وحروفها بالأرقام. حينئذ سيتأكد الغرب المتقدم الذى لايؤمن إلا بالأرقام والعلم المادى، أن الذى أنزل القرآن لايمكن أن يكون سوى خالق السماوات والأرض وحينئذ يتأكد الذين يعبدون التراث أن ذلك التراث أساء إلى الرسول وإلى الرسالة.



الفصل الخامس

الفقــــه مشـــــكلة

الفقه الإسلامى:

١ - هو مافقهه المسلمون الأوائل الذين توافرت فيهم شروط الفهم والإدراك والتفقه.

٢ - وهو أيضا التفسير المتجدد والمتطور لما ورد فى النصوص الشرعية من أصول عامة.

على مر التاريخ الإسلامى كانت الاجتهادات الفقهية متاحة لكل من توافرت فيه شروطها من العلم والمعرفة واللغة والدين، لكنها أصبحت اليوم عسيرة المنال، لما وقر فى الأذهان من أن المذاهب الفقهية التى تمركزت حول أربعة مذاهب رئيسية سنية ومذهب شيعى، قد ارتفع الالتزام بأى منها الى مرتبة الفرض. هذا التقليد التاريخى أبعد ما يكون عن الأصول الإسلامية الحقيقية التى تدعو إلى إعمال الفكر بل وتفرضه، حتى ساد التحريض على الاجتهاد «من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر»

لكن منذ عصور الظلام وحتى الآن، أصبح من يجتهد، أصاب أم أخطأ، شخصاً مرجوماً غير مرحوم، أو مكروهاً فى أحسن الأحوال وقد وضع الإمام الشافعى قاعده مذهلة فى مجال التأثر والتأثير البيئى فى الفقه، حيث غيّر بعض آرائه التى قالها فى العراق عندما حضر إلى مصر، مؤسساً تغييره لفتواه على تغيّر البيئة والناس. ومعنى هذا أنه إذا كان تغير البيئة والناس كافيا لمراجعة الرأى الفقهى، أفلا يكون ذلك صحيحا عندما نواجه بتغير فى الزمان والمكان والناس لم يكن موضع اعتبار عند وضع الرأى الفقهى؟

يجب على الفقهاء المحترمين تبسيط الفرق بين المحكم والمتشابه لعامه الناس، ومن الأفضل إصدار مصحف مثل مصحفى التجويد والإعراب، يوضع الفرق بينهما بلون مختلف. صدق إمام الدعاة حين قال: إن المتشابهات مهمتها أن تحرّك العقول حتى لايجمد عقل الإنسان عن التفكير والإبداع، وأن الله يريد للعقل أن يفكر ويستنبط حتى لا يأخذ المسائل برتابة بليدة ويتناولها تناول الخامل. لكنه أخطأ مرّة أخرى حين قال أن الآيات المحكمة هى التى تتعلق بالأحكام مثل آية قطع يد السارق والسارقة وآية رجم الزانية والزانى. وأنهما من الآيات التى لاتختلف فيها الأحكام. هذا غير صحيح بالمرّة. فالأفهام تختلف. علاوة على أنه لا توجد آية واحدة فى القرآن قرّرت الرجم، ناهيك عن أنه لايوجد مفسّر واحد حدّد لنا معنى القطع ومداه، وهل هو البتر؟ أو يوضح لنا لماذا عقوبة السرقة أفدح من عقوبة الزنى لغير المحصن حتى لو أثمرت جريمته طفلاً غير شرعى.

أيهما أهون وأيهما أخطر: ابن الحرام أم المال الحرام؟ العرض أم المال؟

فى يومياته فى أخبار ١٥/٩/١٩٩٥ وحسناً فعل، قسّم فضيلته العقول إلى:

١ ـ الراسخون فى العلم. ٢ ـ الفقهاء المختلفون. هذا يقف وهذا لايقف. هذا ينفى الناسخ والمنسوخ وهذا يؤكده. ٣ ـ الذين فى قلوبهم زيغ. أهل الفتنة. ٤ ـ الذين لايفهمون. كان الأفضل أن يقول «الذين لايعرفون».

واستطرد مهاجما الآخرين، فقال:

هذا ماقاله الكهنة: نحن إذا نظرنا إلى تاريخ القانون فى العالم سنجد أن أصل الحكم فى القضايا إنما هو لرجال الدين والكهنة والقائمين على أمر المعابد. كان الحكم لهم، لأنهم كانوا المتكلمين بمنهج الله، فلما أخذوا من الدين سلطة زمنية أصبحوا يخضعون المسائل لأهوائهم. محاكم التفتيش وصكوك الغفران. فخرجت دنيا الناس على قانون السماء، وجاء من وضعوا القوانين الرومانية والإنجليزية والفرنسية لأنهم جرّبوا على القائمين بأمر الدين أنهم خرجوا عن نطاق «التوجيه السماوى» إلى خدمة أهوائهم. خرجوا عن منطق الدين ليثبّتوا لأنفسهم سلطة زمنية فلم تعد الناس تأمنهم وخرج التقنين والحكم من رجال الدين إلى رجال القانون ـ أى إلى العلمانيين.

وأرد عليه: وهذا ما فعله الفقهاء:

لا كهنوتية فى الإسلام، فلم يحدث على الإطلاق أن كان لشيخ الأزهر أو لمفتى الديار سلطة فعلية ولا كان لكل رجال الدين مجتمعين، حتى حق اختيارهما أو اختيار أحدهما، الذى يختار: هو السيد الرئيس.

ناهيك عما يحدث الآن فى إيران والسودان ـ حيث الإكراه الدينى، والتشدد والتعصب ـ فالأمر هنا مختلف. فقد سكت الفقهاء بل خرسوا عما يفعله الزعيم الذى يحارب الإرهاب بالكباب، ويدْعم الانتصاب بالسقوط فى بحر العسل والذى له حراسة أمنية خاصّة ومشددة تحت حماية الدولة، فهل يجرؤ فقيه واحد أن يحتج على هذا التطرف الحكومى؟

أين الحقيقة؟ الحقيقة ـ فى التفكير الدينى ـ هى أن ما أنزل الله على رسوله وماهدى كل الناس إليه وهو القرآن العظيم الذى له من شموله وقوته وكماله ماينزع سلاح معارضيه، الآيتان التاليتان توضحان لك ماهو هذا الكتاب: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون﴾ (الزمر: ٦٩).

﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا﴾ (الكهف: ٤٩). هذا هو الكتاب الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، لأنه نزل متعاليا فى أسلوبه وفى صياغته وفى إيقاعه وفى معماره وفى موسيقاه، ليس هذا فقط، بل لأنه:

١ ـ أكثر كتب الشرائع استقرارا، لأن الله حفظه.

٢ ـ ولأنه أقدرها على تفسير كل مايعترض الإنسان من صعوبات.

٣ ـ ولأنه ليس فى ثناياه ضعف يمكن أن ينفذ النقد إليه ولذلك قبله السلف، فى عهود كان هو وحده موضع الثقة.

ولكن هذا الكمال نفسه خلق مشاكل ظهرت من تضارب أقوال المفسرين وأكاذيب رواة الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات.

أزمة الفقه المعاصر:

حملت هذه الهنّات ـ التضارب والأكاذيب ـ الكثيرين على الشك فى الحقيقة كما يصورها الدين فأنكروها كلها أو بعضها على مايكون فيها من صواب.

١ ـ أهم هذه الهنّات، الجبريّة: عند الفقهاء تنحصر فى إرادة الله ونسوا أن الأسباب ناموس إلهى طبيعى الكهف ٨٤ـ٨٥ ﴿وآتيناه من كل شيء سببا * فأتبع سببا﴾ (الكهف: ٨٤ ـ ٨٥)، ثم حددوا إرادة الله بما أراده هو وحده سبحانه. أى جبر لا اختيار. كل شئ كتبه علينا. فلِم الجنة والنار؟!!. الرزق مقسوم. والعمر مكتوب. لم تدعو كل أم لأولادها بطول العمر وسعة الرزق؟ لِم الجهاد والاجتهاد. وخلطوا بين العلمانيّة والعلمانية. هذا هو ماجاء فى القاموس:

العَلمانية: Secularism

عدم المبالاة بالدين والاعتبارات الدينية. فصل الدين عن العلم عن الدولة عن العالم.

العلمانية: Scholasticism

الفلسفة النصرانية السائدة فى العصور الوسطى وأوائل عصر النهضة. إخضاع الفلسفة للاهوت. الكون يعمل خاضعا للناموس دون تدخل الله، تمهيدا لإبعاد الله خطوة خطوة، ثم تنزيه ذاته عن صفاته. وتجريده من الخير والإرادة. حتى لاتراه مخلوقات هذا هو ماجاء فى القاموس.

العلمانية: فى رأيى: من الأفضل اعتبارها كلمة مزدوجة علمانية = علم + إيمان.

العلمانى: فى المفهوم الكنسى هو المشتغل بحرفة أو وظيفة دنيوية غير دينية. ويذكر فى المقابل رجل الدين أو صاحب الرتبة الكهنوتيّة المكرّس لخدمة الله وقد يكون العلمانى متزوجا أو غيرمتزوج: متبتلا: والبتولية لايقصد بها دائما عدم الزواج فأهم من البتولية الجسدية، البتولية الروحية التى تعنى التكريس للخدمة الدينية والرعاية الكنسية حتى لو كان متزوجا وله أولاد.

٢ ـ وإحدى هذه الهنات، هو أنهم نسوا أن التفكير فريضة إسلامية فتجمد الفكر تماماً

على ما قاله السلف الصالح. فكل ماجاء بعد السلف الصالح غير صالح حتى لو كان إحياء علوم الدين للغزالى.

٣ - وأخطر هذه الهنّات، هو مافعله رواة الأحاديث الموضوعة والضعيفة. فمثلا الحديث الموضوع: «يقطع الصلاة، المرأة والحمار والكلب، ويقى ذلك مؤخرة الرجل» مسلم ج٢ ص٣٦٥، هذا الحديث المهين لنصف أمّته «المرأة»: الأم والأخت والابنة والزوجة يناقض كل ماأُوحى به إلى محمّد ﷺ. هذا كله دفع المفكرين إلى التماس الحقيقة فى نظام آخر أقرب إلى العقل، وإن يكن أقل كمالاً وعظمة. لكن رغم الحظر الذى فرضه الأزهر على الفكر - فكرى وفكر غيرى - فإننى أرى رأياً آخر. الحل الأمثل هو مواجهة الفقهاء لا الهرب منهم. إن المسئولية الكبرى فى الفساد تقع على عاتق العلماء ورجال الدين، فهؤلاء عند الغزالى هم ملح الأمة، فإذا فسد الملح فما الذى يصلحه. فيقول: يامعشر الفقهاء ياملح البلد: ما يصلح الملح إذا الملح فسد؟

ثم يكشف عن صلة مشتركة بين ظلم الملوك والحكام وفساد الرعية وضعف العلماء. «إن الرعية تفسد بفساد الملوك. والملوك يفسدون بفساد العلماء. أما العلماء فيفسدون حين يقعون فى حب الدنيا وشباك الأمراء والحكام».

سيرة العلماء اختلفت، ليس الخلفْ كالسلفْ. قديما كان العلماء لايُبالون بسطوة السلاطين ويتوكلون على الله فى حراستهم، كما إنهم كانوا يعتبرون الشهادة رزقاً من الله، فلما أخلَصوا النية كان لكلامهم أثر فى القلوب القاسية فأصلحها. أما الآن فقد قيّدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلّموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا. هذا هو رأى الغزالى فى علماء عصره. يا ويل علماء عصرنا وياويلنا منهم. لقد وجد الغزالى فى نفسه الشجاعة على نقد انحراف العلماء والسلاطين فى سياستهم وتصرفاتهم وفتاواهم، وهذه مغامرة كان يمكن أن تؤدى فى عصور الاستبداد والأسر الحاكمة والحكومات البدوية، إلى السجن والإهانة وقد تصل إلى النفى والقتل. قال رأيه فى كتبه وجهر به أمام السلطان الذى كان يحكم خراسان من أدناها إلى أقصاها. وكذلك قال غزالى عصرنا، المرحوم الشيخ محمد الغزالى: مرويات مسيئة للإسلام:

فى تراثنا الفكْرى أحكام استقاها الفقهاء من أفواه الناس. وليس على ماجاء فى كثير من كتب الفقه دليل شرعى:

١ - الفقهاء أطباء نساء: فهناك من زعمْ أن الجنين قد يبقى فى بطن أمه بضع سنين، وبهذا تطول فترة عدّة الحامل إلى ماشاء الله. انظر دهاء الفقهاء. وقد ثبت علمياً أن الحمل يستحيل أن يبقى فى الرحِمْ فوق ٩ أشهر من ساعة العلوق، وأن الرحِمْ ينفجر بما فيه قبل مرور عام.

٢ ـ المرأة والحمار: ابن حزم يخالف الأئمة ويقول قولا فى غاية الغثاثة والسخف «يقطع الصلاة مرور الكلب والحمار والمرأة». انظر سخافة الفقهاء. ويقول الغزالى: لست أدرى لماذا يذهب هذا المذهب الغريب. ثم يضيف ابن حزم شيئا مهولا ومخالفا، لأنه قرأ فى «الصحاح» عن أم المؤمنين عائشة أنها ربما استراحت على سريرها ناحية القبلة فيصلى الرسول وهى معترضة دون حرج.

٣ ـ تحريم القصاص: من سمّ طعاما وقدّمه لآخر فمات، لايُقتص منه ولا يُسمى قاتلا. كلام ما أظن أن عاقلا يقبله، والتعليق لإمامنا الراحل الغزالى.

٤ ـ ضرب الزوجات: يتملكنى الغضب والأسى عندما أجد رجال الحديث النبوى ضعفاء الوعى بالقرآن الكريم، يقرأون على الناس الحديث غير شاعرين بقربه أو بعده عن هذه الآيات «لايسأل الرجل فيم ضرب زوجته» أخرجه أبو داود، وقال الشيخ الفقى عنه «أخرجه النسائى»، أى أنه قوّى السند وترك المتن وكأنه صحيح لاغبار عليه، ويستطرد الغزالى قائلا: هذا حديث لا أصل له مهما حاولوا تأويله.

٥ ـ بيت الطاعة: اجتهاد خاطئ وتجاهل للخلع. من أبغض الأمور تعريض الإسلام كله للرد والجحد بسبب اجتهاد خاطئ أو تعصب مذهبى ضيق، لقد عاصرت عهدا كان القضاء الشرعى يأمر بإرسال الشرطة إلى أسرة الزوجة لإرغامها على الذهاب إلى بيت الطاعة كى تعاشر زوجها بالقوة، وكانت الأسرة تقوم بتهريب الزوجة فراراً من تنفيذ حكم القضاء.

ما تأثير الاختلاف فى الفقه، على المسلمين فى المهجر؟

نحن نعتبر أن ميلاد الرسول هو ميلاد أمة الإسلام وأن الاحتفال به ضرورة نفسية ومناسبة سعيدة، ويقول شيخنا الشعراوى: إن الرسول هو أول من احتفل بعيد ميلاده. أما فى الفقه الوهابى فيقول فضيلة الشيخ العثيمين: إن الاحتفال بميلاد الرسول قد عمّ وطمّ، انظر أدب الحديث عن سيد الخلق، حتى اعتقد الناس أنه من أوجب الواجبات. ويقول الترابى، زعيم الأصولية الإسلامية فى السودان الشقيق: أحفظ القرآن وأعرف الحديث، ولا أعرف نصاً يمنع المرأة المسلمة من أن تتزوج يهودياً أو نصرانياً مخالفا بذلك كل المذاهب الإسلامية. الفقهاء المسلمون فى المهجر متشددّون والمساجد للعبادة فقط والوعظ ولايحلّون أى مشاكل اجتماعية ولا اقتصادية ويتكلمون فى بلاد الحرية والتعددية الحزبية عن تعدد الزوجات وزيارة الأضرحة والأولياء والمغالاة فى الحاكمية والأصولية. ماذا كانت النتيجة؟ تقول أستاذة التاريخ الإسلامى بجامعة ماساشوستس الأمريكية: لايمكن تقدير عدد المسلمين فى الولايات المتحدة، فهم بين ٤ ملايين وعشرة ملايين، المهاجرون والمهتدون والرحّل، لأن الحكومة الأمريكية تمنع تسجيل الديانة فى البيانات الرسمية: جواز السفر والبطاقة

الشخصية. وتقول أن ٣٠٪ من المسلمات بكندا تزوجن نصرانيا أو يهوديا، وكثير منهن عانسات، نتيجة زواج الشباب المسلم بأمريكيات بغية تسهيل الإقامة. هذا بعض مانشرته جريدة المسلمون عدد يوليو ٩٦، ونشرت في العدد ذاته استغاثة فتاة مسلمة من الإمارات: أنها أزالت عذريتها بنفسها، لأنها تمارس العادة السرّية ولاتجد راحتها إلاّ بها. كيف نحل مثل هذه المشكلة؟ الحل الجراحي هو رتق الفتق. والحل الطبي هو المعالجة النفسية، والحل الجذري هو التوعية والتربية الدينية.

من مصادر المعرفة، القرآن المقروء، والقرآن المنظور، والقرآن المنطوق. أيْ حديث لرسول الله محمد ﷺ، يمكن تحليله ورده إلى هذه الدوائر المتداخلة وإثبات مدى صحته لأن الرسول الكريم: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحي يوحى﴾.

السنّة تحكم العلاقة بيننا. إذا كان الشهداء أحياء فالأنبياء أولى: ونبينا حي بيننا. هذه حقيقة. إحساسك وإيمانك بها ينير فكرك ويهدي قلبك.

تعريف الحديث الصحيح: هو الحديث المُتصلْ بين الراوي والنبي، رواه رجلٌ عن رجل، ثقةٌ عن ثقات حتى يصل إلى الصحابي الذي سمعه من النبي ليس بينهما رجل مجروح أو مجهول، تام الضبط، سالم من الشذوذ.

أنواع الحديث الضعيف: الضعف من جهة الإسناد أو الشكل دون مناقشة متن الحديث. الموضوع ليس مهما!.

أما أنواع الحديث الضعيف فهي: المُرسل: المدّلس: المرْفوع: الموْقوف: الموْضوع: المترْوك: المعنعن: المتواتر: أحاديث الآحاد: والباطل من حيث «متنه»: والباطل من حيث سنده: ومارواه التابعون، وهم الذين تتلمذوا على أيدي الصحابة ولم يعاصروا النبي.

إن أهل الحديث قد جرحوا الإمام أبي حنيفة، من أئمة الفقه القدامى، لأنه يرد كثيرا من أخبار العدول. وكان ينظر إلى متن الحديث، فينقده ويرده، إذا رأى فيه شذوذاً في المعنى، دون الالتفات إلى إسناده، لأن الغرض من البحث عن صحة الإسناد هو الوصول إلى صحة المعنى، فإذا كان المعنى فاسداً فيجب رده، دون اعتبار لأي شئ آخر أياً كان رواته.

وردت في الصحيحين البخاري ومسلم أحاديث عديدة أسندت إلى النبي لايمكن أن نقول عنها إلا أنها مستهجنة، ومخالفة للشريعة، ونبرئ النبي أن يقولها، ومنها أحاديث مخالفة للعقل وللشريعة، وليس فيها سند ولا تشريع ولاعبادة، وهي خالية من كل مضمون علمي أو اجتماعي أو ديني، وقد ضعّف علماء الحديث نحوا من ٨٠ رجلا من رواة البخاري وضعّفوا من رواة مسلم١٨٠. فمثلا: «الشؤم في ثلاثة المرأة والدابة والدار، وقيل الفرس». جاء هذا الحديث مكرراً وبأسانيد وصيغ مختلفة. من السهل دائما التمييز بين أقوال النبي وأفعاله

ومقرراته، بين ماهو سنة وماهو ليس سنة. يقول الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر سابقاً، إن كثيرا مما نقل عن النبى صدر بأنه، تشريع أو دين أو سنة أو مندوب، وهو لم يكن فى الحقيقة صادراً على وجه التشريع أصلا، وقد كثر ذلك من الأفعال الصادرة عنه بصفته البشرية أو بصفته العادية أو التجارب. ويتفق الفقهاء على أنه إذا تعارض النص القولى مع فعل النبى فإنه يؤخذ بالنص القولى أى أن السنّة القولية هى أقوى من السنة الفعلية، كما هو الأمر فى تعدد الزوجات. فلم يعتبر الفقهاء جمع النبى بين أكثر من أربع زوجات سنّة مباحة لسائر المسلمين، وقالوا عن ذلك أنه كان تشريعاً خاصا بالنبى. لاحظت أثناء عمرة رمضان وأنا فى الروضة الشريفة، أن السعوديين يختمون البخارى وكأنه قرآن؟ وهذه بدعة مخلّة. لذلك أعجبتنى شجاعة رئيس ليبيا.

يقول القذافى: إن فى البخارى ومسلم أحاديث منسوبة للنبى لاتتفق مع القرآن وقد دوّنت بعده بأكثر من مائتى سنة، يرتفع فوقها علامة استفهام: إذن لنجمع كل ما قيل من حديث ونقارنه بالقرآن. الذى يتفق معه نعمل به والذى لايتفق معه لا نعمل به ولانقول قال البخارى وقال مسلم. فالقرآن معروف ومحفوظ ولا يختلف فيه المسلمون من جاكرتا إلى طنجة. انقسم الليبيون بعد ٧٨/٧/٤ واختلفوا، طبقة المتنورين وصفوا كلمة القذافى بأنها - بروتستانتية إسلامية - جديدة ورفض التقليديون هدم المعتقدات القائمة.

روى البخارى عن المسور بن مخرمة أن رسول الله قال: «فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبنى» ج٤ صفحة ٢١٠. وقد أغضبها أبو بكر عندما حرمها من إرث أبيها فى فدك ومابقى من خمس خيبر. فلم تكلمه حتى ماتت. وأنكرت الحديث الذى رواه أبو بكر «نحن الأنبياء لانورث وما تركناه صدقة» وقد أيد على فاطمة فى إنكار صدور هذا الحديث عن رسول الله. وروى أبى بن الحديد فى شرح نهج البلاغة: جاءت عائشة وحفصة ودخلتا على عثمان أيام خلافته وطلبتا منه أن يقسم لهما إرثهما من رسول الله، وكان عثمان متكئا وقال لعائشة: أنت وهذه جئتما بأعرابىّ يتطهر ببوله وشهدتما أن رسول الله قال: «نحن معشر الأنبياء لانورّث» فإذا كان حقيقة أن رسول الله لايورث فماذا تطلبان؟ وإذا كان رسول الله يورّث فلماذا منعتما فاطمة حقها؟. فخرجت عائشة وهى تقول: اقتلوا نعثلا فقد كفر.

ثورة الأمويين: ثار الأمويون على ولاية على وهو هاشمى لاعتبارات قبليّة متوارثة من العصر الجاهلى. ويقول عباس محمود العقاد عن حركة الردة أنها كانت ردّة إلى العصبية أكثر مما هى ردّة دينية. كان على رأس الناقمين على علىّ والمحرضين على قتله «السيدة عائشة» زوج النبى. ألّفوا جيشا وجعلوها على رأسه. غيّرت رأيها وانقلبت تطالب بالثأر لعثمان بعد أن كانت تطالب بقتله. فقد كانت تكره عليّا منذ حديث الإفك، فقد أشار على النبى بطلاقها.

جئنى بالنمر العاقل: أجئك بالمستبد العادل
هلكت أمة تحيا بفرد وتموت بفرد.

لايجب أن يستبد بنا قول أو فعل لايستند إلى آية كريمة أو حديث شريف صحيح. فالسنّة هى نور النبى الذى يكشف لنا ماخفى علينا من أسرار القرآن.

«حدثتنا عائشة»، قال ابن عباس هذا هو أساس كل فقه السنّة. ماقالته عائشة ليس ملزما لكل المذاهب، لماذا؟

الزلزال وتوابعه:

حديث الإفك كان زلزالاً هزّ الأمّة، برأت السماء عائشة رضى الله عنها منه، لكنها لم تبرئها من توابعه. لأن موقف «زوج النبى» أم المؤمنين، كل المؤمنين شيعة وسنّة، من علّى رضى الله عنه، قسم ظهر الأمة إلى حزب هاشمى وحزب أموى. ثم إلى سنّة وشيعة. ولاشك أنها رضى الله عنها وغفر لها تتحمل المسئولية أمام الله وأمام المسلمين.

من هو ابن عباس؟

كان عبد الله بن عباس طفلاً فى الثامنة من عمره يقيم فى مكة مع أبيه العباس الذى لم يهاجر إلى المدينة.، فسّر ابن عباس آية الغروب ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة﴾ بأن الشمس تغرب فى ماء وطين. وبلغت الأحاديث المروية عنه ١٦٦٠ حديثاً منها ٢٣٤ فى صحيح البخارى ومسلم ، وبعض هذه الأحاديث تنسخ أحكام القرآن. وله فى سند ابن حنبل ١٦٩٦ حديثاً. لم يحظ الحسين، بأى حديث فى صحيح البخارى، بينما أكثر البخارى من رواية الأحاديث التى تمدح الحسن دون أخيه الحسين. أى أن أحاديث البخارى اقتصرت على مدح الحسن دون الحسين، لكن مسلماً فى صحيحه، وأحمد فى سنده، رددوا الأحاديث النبوية التى يمدح فيها النبى ـ الحسن والحسين ـ دون تمييز بينهما.

١ ـ أفرد البخارى فى صحيحه باباً لمناقب معاوية فى الجزء الثانى وبيان ورعه وتقواه وتفقهه فى الدين واعتبره من الصحابة. كان أول عمل لمعاوية بعد أن استولى على الحكم أن كتب إلى عماله فى جميع الآفاق أن «يلعنوا عليّا» على المنابر، ويترحموا على عثمان ويستغفروا له.

٢ ـ حين طلب معاوية من الأحنف بن قيس أن يلعن علياً وبنيه ويبايع ابنه يزيد قال قولته المشهورة «أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صدقت» فقال له معاوية يا أحنف لقد أغضيت العين على القذى، لتصعدنّ وتلعن علياً طوعاً أو كرهاً!

أيها السنيون رفقاً بالمذهب الشيعى اللعين. لماذا تنتصرون لعائشة زوج النبى، هانت عليكم فاطمة الزهراء بنت النبى وزوج علىّ وأم سيد الشهداء الإمام الحسين؟

٣ ـ مُعاوية من الطلقاء الذين أسلموا بعد فتح مكة. أبو سفيان كافر ومعاوية كافر ابن كافر أبو كافر. ولى ابنه يزيد الذى حكم ٣ سنوات، فى الأولى استباح المدينة وهتك عرض ألف امرأة مسلمة حملن من الزنى، وفى الثانية رجم الكعبة وقتل ابن الزبير، وفى الثالثة قتل الحسين. «من أقوال إمام كوبرى الجامعة».

بعد نشر هذا الحوار مع الشيخ حسن شحاته إمام جامع صلاح الدين «كوبرى الجامعة» تم القبض عليه والتحقيق معه فى نيابة أمن الدولة، وتقرر حبسه ١٥ يوما بعد تفتيش بيته والعثور فيه على بعض كتب الشيعة. وعلّق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر على أقوال الشيخ «لاننكر أن معاويةِ - رضى الله عنه - خرج على أمير المؤمنين على، لكن خروجه كان عن اجتهاد منه، وحب الرياسة موجود فى كل زمان ومكان، ونحن مع ميلنا أنه كان مخطئا فى اجتهاده. شيخ الأزهر لم يحتج بما قاله عمر بن عبدالعزيز: «تلك دِماء طهر الله أيدينا منها فلا نخوض فيها بألسنتنا». لأنه هاجم بعنف أقوال إمام المسجد ولم يعلّق على أفعال معاوية. اجتهاد معاوية أسال دماء نبوية عزيزة على كل المسلمين. ولن يغفر الشيعة أبدا السكوت عن الحق. أما أن نعتقل الرجل ونفصله ويقول عنه إمامنا الأكبر أن كلامه خطير غاية الخطورة وقبيح غاية القبح وقذف سافر، وأن كلامه زور وبهتان، كل هذا لن يغير من الحقيقة شيئا. الاعتراف بالحقيقة هو أول الطريق إلى لم شمل المسلمين بعد أن دقّ معاوية ومعاونوه إسفينا لم يزل باقيا حتى اليوم، نزع هذا الفتيل هو واجب الدعاة الراشدين. دماثة خلق إمامنا الأكبر تزيد الأمر تعقيدا.

أقوال هامة:

قول الشافعى: إذا صحّ الحديث بخلاف قولى، فاضربوا بقولى الحائط. ويقول ابن حنبل: لاتقلدوا الرجال فإنهم لايسلمون من الخطأ. ويقول مالك: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فاعرضوا قولى على الكتاب والسنة. وقال أبو حنيفة: هذا رأيى، وهذا أحسن مارأيت، فمن جاء برأى أفضل قبلناه. حرام على من لايعرف دليلى أن يفتى بكلامى. فماذا يقول أئمة اليوم؟

ماذا يقول الخمينى؟ وماذا يقول الشعراوى؟ وماذا يقول الطنطاوى؟ لايجب أن يقول ثلاثتهم إلا الحق، ردهم يجب أن يكون: نحن لانعلم الفرق بين الروح والنفس، والله أعلم. راجع جميع ماقالوه، ستجد أنهم، لم يحسموا الأمر أبدا. لماذا يصف إمام الدعاة المذهب الشيعى، باللعين؟

كيف نتحدى الشيعة ونُعادى إيران؟ لأن ماما أمريكا تبتز دول الخليج وبابا كلينتون قد أصدر توجيهات لايمكن رفضها. أم لأن صدّاماً حين قال عنهم أنهم مجوس، أيدناه وأمددناه بالمال والبنين والسلاح. ولما طردوا الشاه استضافه السادات. أين الحكمة والدبلوماسية ولماذا

نسعى جاهدين للفرقة بين المسلمين؟ ولماذا نتصور أننا نحن فقط دائما على حق؟ اقرأ وناقش، وجاور كل من يقول: لماذا أنا شيعى؟ لماذا أنا جعفرى؟ ليعرف لماذا أنت سنى أو وهابى. لاتصادر كتبهم حتى لايصادروا كتبك. هل استيقظ ضمير الأزهر مرّة، وأرسل فريقا من علمائه إلى الملالى فى إيران والأصوليين بالسودان، هل حاول جبر الكسور ومد الجسور مع إخوة الإسلام، ثم اجتمع بالرئيس المصرى المحنّك، وأسرّ له بالصح، واستمع إليه وأسمعه رأى الدين فى هذا الخلاف الذى لايبرر مع إيران والسودان الشقيق، إذا كان التحكيم هو شرع الله لإصلاح أسرة، أفلا يكون التحكيم الحكيم لصالح أمة محمد؟ أين دور الدعاية؟ التهليل والتكبير للحاكم وإرهاب وإرعاب المحكومين.

هل هو صراع بين حزب الله وأنصار السنّة المحمديّة؟

ما على الرسول إلاّ البلاغ. إذا ورد كلام على لسان الرسول يُناقض القرآن أو يُضيف مفهوماً جديداً فى الاعتقاد رفضناه على الفور لأنه بالقطع لم يصدر عنه وتشككنا فى الحديث المنسوب إليه، واعتبرناه من «الموضوعات» على لسان الرسول لأن الرسول لايناقض القرآن ولايضيف شيئا من عنده عليه وإنما يبين للناس ما أنزل إليه. محمد رسول الله ﷺ بشر كان يمشى فى الأسواق ويرعى الغنم. يعاملنا ونعامله كبشر. صحيح أنه أول خلق الله: لا تنس الفرق بين الأوليّة والأولويّة، وأنه كان نوراً قبل أن يولد وكان نوراً يمشى على الأرض وأنه كان نوراً حين أسرى به وعرج إلى السماء. «نفس محمد ﷺ» وليس جسده لكن «الحقيقة المحمدية» يجب أن تظلّ خافية علينا. سرّ أودعه الله فيه، نتخيله ونؤمن به ولانتحدث عنه. وكل ماعلمه من الله حين كان قاب قوسين أو أدنى لايمكن أن يصرّح به لنا، ولو قال لما صدقه الكثيرون. لذلك حفظه الله سرا فى صدره. يعلّمه ولايعلمه ولايبيح به.

ترى الشيعة أن الأحاديث لامجال لها فى الأمور السمعية. إنما الحسم فيها للقرآن وحده. ويرى السنّيون عكس ذلك، حتى لو كانت هذه الأحاديث تتناقض مع القرآن. والمتأمل سوف يكتشف أن لغة القرآن خصت العقيدة باسم الإيمان وخصّت الشريعة باسم العمل الصالح أو الاستقامة. الإيمان لغةً هو التصديق. واصطلاحاً هو الاعتقاد بكل ماثبت بالضرورة. وقد رأى العلماء أن الإيمان مركب من فروع: هى التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان. والسؤال الآن هو: كيف يدخل الجنّة أو النار، عديم الفكر مقهور الإرادة؟ مسئولية من رفع الظلم عن محمد ﷺ الذى لاينطق عن الهوى، وتنقية أحاديثه من الإسرائيليات والشوائب؟ وما الحل؟ وعلى من يقع اللوم؟

نحن لانعرف كيف نختلف . ومن المؤكد أننا لانعرف كيف نتفق.

كيف نتفاهم مع الفقهاء، الصقور منهم والحمائم؟ الحل الصعب هو الحوار معهم وبالنسبة لهم الحل الأسهل هو منع التفكير. وإرساء قاعدة فقهية جديدة:

«**التفكير ضار جدا بالصحة ومُدمّر للعقيدة**»، لكن هذا الحل الذى يُريح الفقهاء لن يقبله العقلاء. لأن الوحى لايناقض العقل أبداً. الحل الكريم هو أن يستعيذ الفقهاء من شرور أنفسهم ويتخذوا قراراً جريئاً هو: «قهر الغفلة». لو فتحوا باب الاجتهاد لعادت إليهم البصيرة. لأن «لو» hypothetical حرف امتناع. يمتنع وقوع هذا الأمل لأن الشرط لم يقع أصلا. «لو» تستعمل لمجاراة الخصم وإبطال اعتقاده، وحتى الآن مع الأسف الشديد فهم خصومى وأنا لا أرجو أن يستمر الخصام.

فى القرون الأخيرة، غاب الوجدان الحضارى العربى فى سباتٍ علمى عميق، والمطلوب الآن هو إحياء اللغة العربية حضارياً بتحرير الطاقات التعبيرية العلمية الوافرة الكامنة فيها. وبناء مكتبة علمية رصينة تفى بالمتطلبات الحضارية الروحية والمادية للأمة وتشكل قاعدة أساسية لعمليتى التحديث والتنمية. وإعادة تركيب لحظات الفكر العلمى. إن تطوير اللغة كمال للفكر، لأنها مظهره الذى ينم على مدى عمقه واتساعه. من يوم أن نطق بالكلمة، تفتح الإنسان وردة فى صحراء الكون، تضوع وجوده بأريج المعنى وعبّق بشذى الحقيقة.

الفرق بين الشريعة والحقيقة:

«الشريعة هى شكل العبادة والحقيقة هى مراد المعبود».

المقصود بالشريعة هو أن تعمل الأمر الذى يسقط عنك الحرج والحكم من مساويك.. فإذا قامت الصلاة فقمت وتوضأت وصليت، كلنا رأيناك تفعل ذلك ولا أحد يستطيع أن يقول غير ما رأى. لكن هل أديت الصلاة كما يريدها الله منك؟ وبنيّة أداء الفرض الذى أمرك الله به. أنت أتيت بحدود الشريعة أى بالشكل المطلوب فى الصلاة ولكن هل اتجهت بنيتك إلى أداء الفرض أم أديته رياءً؟ الشريعة هى أن تؤدى الفرض شكلاً.

المقصود بالحقيقة هى أن تؤدى الفرض موضوعاً. فالحقيقة هى السر بين العبد وربِه. أهو يؤدى ما شرعه الله كما يريده الله؟ الحقيقة هى أن تصل إلى لب التكليف لأن من تشرّعْ ولم يتحقق يكون منافقاً. أقبل على حكم الله بمراد الله فيه لا بما يدفع عنك رأى مثلك. فمن أدى الشريعة فقط فقد خدع الناس ولكنه لم يخدع المشرّعْ. صاحب الحقيقة له فيوضات نور وصفاء وإشراق» (الإمام الشعراوى).

المسافة بين العدل والقضاء هى المسافة بين الشريعة والفقه

العدل والقضاء وجهان لعملة واحدة يحققهما النظام الكونى والوضعى الفريد الذى يطلق عليهما «الشريعة والقانون». القانون لايعنى العدل ولكنه وسيلة إليه. عرض التلفزيون الألمانى مسرحية للكاتب السويسرى فريدريك دورينمات «زيارة السيدة العجوز»، ثم ركز على مسرحية كتبها الكاتب قبل وفاته بشهور أثار فيها قضية العدل والقضاء والمسافة بينهما عن

طريق حدث يلعب فيه الخيال دوراً بارزاً. بطل المسرحية دكتور كولر أحد كبار رجال الدولة ارتكب عامداً جريمة قتل إنسان جدير بالموت فى مكان عام. كان من الطبيعى أن يقبض عليه ويقدم للمحاكمة غير أنه اتفق مع محام مغمور وزين له سبيل الشهرة وطلب منه الاتفاق مع أى شخص يعترف بأنه القاتل لقاء مبلغ كبير وأصدرت المحكمة الحكم بالبراءة بعد أن أقنعها الاعتراف. اعترف دكتور كولر لأصدقائه أنه القاتل الحقيقى لكن أحداً لم يصدقه وانتهت المسرحية بانتحار الشخص المأجور. قال قاض أمريكى «نحن نحكم بالقانون لا بالعدل» إذن العدل غير القضاء. العدالة فى الطوابق العليا لايمكن للجميع الوصول إليها والقضاء فى الطوابق السفلى. كثيراً مايحمل (أبرياء أو متطوعون كرهاً أو رضاء) أوزار الأشقياء لتحمى الرؤوس الكبيرة التى تضحك علينا وتهزأ بنا. فى حضارتنا القديمة كان الشاهد يستقسم أمام المحكمة بأنه لم يشهد الزور ولم يهن والديه ولم يلوث ماء النيل، ومنذ ٥٠٠٠ سنة أوصى الملك خيتى وزيره الأول «احكم بالعدل بين الناس فالكل سواء أمامك، آس الباكين، ولا تضطهد أرملة أو يتيماً». أما الآن فالعدل عدل والقضاء قضاء. الشرع شرع والفقه فقه.

سيطرة الفقه على الشريعة:

إن المطالبة بعودة النساء مرة أخرى إلى ساحات المحاكم الشرعية يثير مشكلة أصولية. هناك فرق كبير بين أن نقول أن هذا القانون مستمد من الشريعة الإسلامية وبين أن نقول أنه مستمد من الفقه الإسلامى. الأحكام الشرعية ملزمة، لأنها تستند إلى القرآن وصحيح السنة كمصدرين أساسيين للشريعة. والقانون الوضعى يلزم بوجوب الانصياع للتشريع الصادر من الدولة. لكن هذا التشريع يستند إلى تفسير باطل لأحكام الله، ومابنى على باطل فهو باطل. لأن القواعد الفقهية المفروضة على التشريع باعتبارها شريعة الله غير صحيحة بالمرة:

١ - لا اجتهاد مع النص. ٢ - بتر يد السارق. ٣ - رجم الزانى. ٤ - قتل المرتد.

٥ - أقل الحمل ستة أشهر وأكثره سنة. ٦ - الولد للفراش وللعاهر الحجر، واحتجبى منه ياسودة.

الحديث رواه البخارى وأبو داود والنسائى، وأحمد فى مسنده، والحديث ورد فى قصة اختصام سعد بن أبى وقاس وعبد بن زمعة إلى رسول الله ﷺ فى ابن أمة زمعة، وكانت دعوى سعد قائمة على أن أخاه أوصاه بذلك، ودعوى عبد بن زمعة على أساس أنه ولد على فراش أبيه، فقضى رسول الله ﷺ بالحكم المتقدم، أى أن الولد للفراش لظاهر الدعوى، بينما أمر سودة - رضى الله عنها - بالاحتجاب منه، رغم أن الحكم يوجب أخوته لها، لما رآه ﷺ من شدة شبهه بسعد. وشاهدنا من القصة والحكم أن إثباتنا لظاهر الحال لايمنع من أن نتثبت

ونتحرّز ونأخذ الحيطة لأنفسنا وديننا، ولاسيما إذا كان الأمر يتعلق بالقضايا ذات الحساسية كالدين والعرض.

فقه الحياة:

الفقيه البسيط، كالشعراوى والطنطاوى، مثلاً، عفّ اللسان قوى الحجة يخاطبك من داخلك، حديثه كأنه «حديث النفس» يشجيك ويبكيك ويرضيك. تستمع إليه بإجلال وتعذره إذا أخطأ. هو الإنسان الذى وهب نفسه لله ولإرشاد عباده، الذى عنده إلمام بفقه الحياة، أى مثقفاً بثقافة عصره، عالماً بأحوال الناس، واقفاً على كل مايجرى حوله، قارئاً للعلوم المبسّطة السياسية والاقتصادية والطبية، ملماً بما تذيعه وتنشره وسائل الإعلام المختلفة، متكلماً بأكثر من لغة حية أو مستعيناً بمترجماتها، يهدى ولا يهدد، يعد ولا يتوعد. أما فقهاء السلطة، المتغطرسين الذين يخاطبوننا من علٍ، فلن يكونوا أبداً من السلف الصالح وسيفرح كل عاقل يوم يختفوا عن الساحة، ويشمت. أما الفقهاء الذين فرض علينا أن نسمعهم بالإكراه يوم الجمعة فالذنب ليس ذنبهم. الذنب ذنب وزارة الأوقاف.

قال أنيس منصور: «كنت أزور أحد رجال الدين فى باندونج بإندونيسيا. الرجل تعلم فى الأزهر ويقال أنه رجل غنى. ولكن لم أجد أثراً لهذا الثراء فى بيته، فسألته: ءأنت غنى؟ قال: عن السؤال؛ قلت: كيف؟ قال: أزرع أنا وزوجتى وأولادى وأحفادى مساحة صغيرة لكنها غنية بإنتاجها لأننها نزرعها بطريقة علمية متطورة ومنها نأكل ونبيع. وأضاف أن كل واحد يستطيع أن يزرع كل احتياجاته من الخضورات والفواكه. لا مشكلة لطعام فى كثير من البلاد الآسيوية فوق السطوح يربون الطيور لاستهلاكها أو للتجارة وفى حفرة خارج الدار (متر فى متر) يملأونها بالماء ويربون فيها زريعة من الأسماك الصغيرة يأكلون منها ويبيعون».

وفى مصر حوّل الأب «متّى المسكين» الصحراء حول «ديره» إلى واحة خضراء. وفى أديرة أخرى ترى الراهبات يحلبن الأبقار. حول الصوامع داخل الصحراء ترى المزارع والحدائق، الكل يعمل بمنتهى العناية والدقة والسعادة. بعض الرهبان يحرثون الأرض ويبذّرون ويطلقون المياه ويهذّبون الأشجار، والبعض الآخر مثل بعض فقهائنا!! يتأمل مايفعلون ويحصد مايزرعون وينكفىء على الكتب يقرأ. الكل يعمل والعمل صلاة؛ العمل عبادة.

العمل هو طوق النجاة فى محيط الحياة:

لماذا رعى النبى الغنم وتاجر بمال زوجته السيدة خديجة؟ لماذا كان يصلى حتى تتورم قدماه الشريفتان وهو حبيب الله وهو الشفيع؟

عن الإمام الجنيدى إمام التصوف: «من أنتم؟ ولماذا جئتم؟ جئنا نطلب الرزق. إن علمتم

فى أى مكان هو، فاطلبوه . نسأل الله؟ إن علمتم أنه نسيكم، فذكره! نتوكل عليه؟ التوكل على التجربة، شك. ما الحيلة؟ ترك الحيلة،.

«أطرق باب العمل، أفتح لك باب الرزق» (حديث قدسى).

لماذا تتعلم أيها الفقيه وتعمل وتكافح وتسهر وتعرق وتتزوج لتنجب؟ ألم يقل سبحانه وتعالى: ﴿... نحن نرزقكم وإياهم﴾ (الأنعام: ١٥١)، ﴿... نحن نرزقهم وإياكم﴾ (الإسراء: ٣١).. أليست «كل الحقوق محفوظة»، إنت مش مصدّق ربنا؟ «لله أن يمتحن عبده، وليس للعبد أن يمتحن ربه» (المسيح).

ساعة نحس:

الصلاة صلة بين العبد وربه، وواجب الإمام الرشيد هو تدعيم هذه الصلة الروحية وتوثيق العلاقات بين الرب ومحبيه. فلو تفضل كل شاب خريج زراعة الأزهر، بعد أداء صلاة الجمعة وحثّ المصلين على تربية الطيور الداجنة وزراعة الأسطح القذرة التى تعلو معظم منازل القاهرة ـ هذا المنظر البشع الذى يراه كل من تطلع من الجو من النوافذ عند هبوط طائرة إلى مطار القاهرة الدولى لو تنازل كل طبيب أزهرى وكل متخصص آخر فى المساهمة بعلمه المتواضع لمساعدة فقراء المسلمين، وتفرّغ ساعة واحدة من وقته كل أسبوع تطوعاً وزكاة للقيام بعمل مفيد لم تسارع المصلون مهرولين بعد أداء الصلاة.

تطبيق العلم أو إفادة الناس به أفضل للناس ألف مرة من المواعظ والتهديد والوعيد. فإذا كان الداعى إلى هذه المصالح رجل دين تربّى فى جامعة إسلامية عريقة، فإنه سيضرب بذلك عدة عصافير بحجر واحد، سيرتفع شأن الدين ورجل الدين والمجتمع. لو انتشر المصلون بعد الجمعة فى دائرة قطرها منزلين حول أى مسجد أو زاوية، وأزالوا القذى من على الطريق، لو وفّر لهم الإمام أو تبرع المحسنون بأكياس القمامة وأدوات النظافة، ثم قامت بلديات حكوماتنا الرشيدة بجمع الأكياس. أو لو تعاونوا فى زرع شجرة ثم تابعوا سقايتها ورعايتها كل جمعة إلى أن تفىء بظلها لاخضرّت الأرض حول بيوت الله. سيثبت هذا الفعل مقولة أن الإيمان يدعو إلى النظافة، ولو صوّر التليفزيون هذا التصرف الحضارى لتحقق العالم أن شعار الإيمان الأول «النظافة من الإيمان» قد تم تنفيذه بمعرفة الساجدين الراكعين. لو تحقق كل هذا أو بعضه لما تحقق ما يريده بعض الفقهاء من «خطباء الجمعة» الذى يؤكدون الشائعة الفاسدة، أن فى هذا اليوم «ساعة نحس»، فيعلنون الحرب باسم الله على عباد الله المصلين، بتهديدهم بنار جهنم وبئس المصير وعذاب القبر وأهوال يوم القيامة، ثم يقدمون الحل الوحيد والعسيد. الحل فى نظرهم للهروب من هذا المصير هو، وجوب: ١ ـ طاعة أولى الأمر.. هذا هو الحل السعيد. ٢ ـ والحذر من التفكير.. وهذا هو الحل الوحيد. أعتقد أنه واضح

لك تماماً أيها القارىء العزيز أن: الحل الأول، حل سياسى، حل الحزب الوطنى، أو أى حزب حاكم. والحل الثانى: هو حل حزب العمل، أو أى حزب خائب.

فقه المصالح

(جلب المنافع، سد الذرائع، درء المفاسد، درء الحدود، دفع الضرر، رفع الحرج، لا ضرر ولا ضرار، قصر الصلاة، الدّية والكفّارة، التقيّة، الضرورات تبيح المحظورات).

العلاقة بين النص والواقع أو بين الدليل والمصلحة:

المواءمة بين الفقه والواقع لايقدر عليها إلا أهل العقل والقلم لا أهل النقل والسيف. إصلاح المجتمع الإسلامى يتوقف على الإدراك العميق لمقاصد شريعة الخلود فسيحة الجنبات (الشريعة الإسلامية) التى هدفها صالح وصلاحِ المسلمين، وتحقيق ذلك رهن بتغليب المعنى على المبنى (فقه المصالح) فما معنى هذا؟

فقه المقاصد

«إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشىء من رأيى فإنما أنا بشر» (رواه مسلم والنسائى وصححه السيوطى وراجعه عبدالوهاب خلاف، علم أصول الفقه، الطبعة الرابعة، ص ٤٤ ـ ٤٥).

لماذا يسيطر الفهم الشكلى الآلى على عقلية الفقهاء الذين يُطالبون بتطبيق حرفية النصوص دون النظر إلى مقاصدها ومراميها. إن الشرع ينحاز أبداً لصالح المسلمين وحاجاتهم الاجتماعية فى زمان معين ومكان معين، فلماذا تختفى هذه الحقيقة من مفردات الخطاب السياسى والثقافى للتيار الإسلامى؟ نظن وبعض الظن إثم، أن أهواء السياسة تخفى ماتشاء وتظهر ما تشاء. جاء فى خواطر الغربة للدكتور محمد نور فرحات هذا التساؤل: بدون الدخول إلى طرقات ودهاليز علم الأصول وهو ما لم نقصده ولا نقدر عليه: إن التراث الإسلامى يتعالى ويسمو عن أن يكون مختزلاً فى تلك الصياغة البسيطة التى يروج لها الهوام وأدعياء السياسة ﴿إن الحكم إلا لله﴾! ثم بعد ذلك ينزلون بالنصوص سيوفاً على العوام. نسى الفقهاء اجتهادات الصحابة والتابعين وتصرفات عمر فى عام المجاعة ومع المؤلفة قلوبهم وموقفه من الزواج من الكتابيات وتقسيم الغنائم ومخالفته سنة رسول الله من إيقاع الطلاق ثلاثاً بلفظ واحد وتطبيق حد الخمر وأمره بقطع اليد ثم نهيه عن التنفيذ والقصاص من الجماعة لواحد والاستسقاء. لم ينظر عمر بثاقب نظره ورفاهة حسه بالعدل إلى النص الدينى على أنه سيف مسلط على واقع المسلمين يمر منه كما يمر من الزبد فيفصل بين الحق والباطل فى حزم وحسم وقطع بل نظر إليه لتحقيق مقص النص من حفظ المصالح ودرء المفاسد. نحن لا نوجه هذا الحديث إلا للمؤمنين، غايتنا تأمين طريقهم إلى الجنة ولا نخاطب

المسلمين اسماً، الفجرة السفهاء، الذين يروجون للفساد والانحلال عبر كل أجهزة الإعلام الحكومية والقنوات المحلية والدولية، المستمتعين بزمن فيفى عبده وإيناس الدغيدى والحاصلين على والحاصدين لجوائز الدولة عن أفلام «للكبار فقط» الغارقين مع الزعيم فى بحر العسل. هؤلاء أدنأ من أن نخاطبهم.

الفقه الطالح

فقه المقاصل؛ فقه المطاردة؛ فقه ازدراء العقل:

لو كان عمر بن الخطاب بين ظهرانينا اليوم:

١ ـ هل كان يرضيه الحال الذى وصل إليها المسلمون من صحوة الشعور والحماس، مع العقل والحكمة الدينية والدنيوية؟

٢ ـ هل كان يرضيه أن يكتفى المسلمون من دينهم بالشكل والمظهر والطقوس مع الإنكار المتعمد أو غير المتعمد للجوهر والقيمة والمعنى؟

٣ ـ هل كان ليطمئن النفس ويقر العين بمجتمع يحرص فيه الرجال على إطلاق اللحى وارتداء الجلباب القصير الأبيض؟

٤ ـ وهل كان ليسعد بمجتمع ترى فيه نساؤه أن تمام الإيمان بالتحجب والتنقيب والتنكر لدور المرأة الحقيقى فى المجتمع الإسلامى؟

٥ ـ وهل كان يرضى بممارسات قهر الحرية والعقل والرأى واغتيال المصلحة الاجتماعية باسم الدين.

٦ ـ وهل كان يرضى بممارسات النصب الاقتصادى الجماعى لشركات توظيف الأموال الإسلامية بحجة اجتناب الربا.

٧ ـ وهل كان يسكت لقهر المفكرين بدعوى الردة أو لاغتيالهم جسمانياً ومعنوياً بحجة خروجهم على الإسلام؟

هذه أسئلة جادة وحرجة؛ وإن كنت أعيب على الدكتور فرحات، اعتراضه على إطلاق الآذان فى الدواوين، فكيف تزعجه دعوة الحق التى تطهر الدواوين مما يجرى فيها من فساد ورشوة ونميمة وتسويف وتضييع لحقوق الناس وإهدار لمصالح العباد؟ أليس الوقوف بين يدى الله دقائق معدودة ناهياً عن الفحشاء والمنكر؟ أليست تقوى الله دافعاً لإتقان العمل؟

فى البدء كانت الكلمة

نغم الرياضيات يُمَوْسِقُ لحن الوجود.

فى الماضى كان المنطق يعلّمنا كيف نستنتج ولكنه يعلّمنا الآن كيف لانستنتج. المنطق الحديث يثبت بالبراهين الرياضية أن ١+١ أكبر من ٢. من أصعب المسائل فى كل نزاع أن

نُميِّز الخلافات على الألفاظ من الخلافات على الوقائع. أصبح التمييز صعبا، وما كان ينبغى أن يكون، لذلك تم الاستغناء عن كل ماهو لفظى فى الرياضيات. العاطفة التى يمكن أن يحطمها قليل من الرياضة ليست عاطفة حقيقية أو ذات قيمة. من مميزات اللغة اليابانية أنها رموز وأرقام وأسهم ونقاط تعبر بأسرع وأوضح وأقصر الطرق عن المراد. اللغة وسيلة اتصال عند العامة وتوصيل فكر عند الفلاسفة «إقناع» أما عند الأدباء فهى «إمتاع». لعب جمالى حرٌ. جمال اللغة غاية فى حد ذاته. الصور البديعية لها قيمة فى اللعب الزخرفى. اللغة الأوروبية ولدت ولادة حديثة، الطباعة كانت موجودة أما لغتنا الجميلة، أم كل اللغات الحية، فقد حفظها اللسان العربى. تذخر بأسرارها أمهات الكتب. وتتطور مع الزمن لتواكب التطور الدلالى للكلمات. الكلمة وحدة اللغة. الكلمة المنعزلة ليس فيها صعوبة أو سهولة. لابد من السياق. ومع ذلك تظل للكلمات أهمية بالغة فى تعليم اللغات. إنها المادة المعبرة عن الفكر والمكونة للغة. ومن ناحية أخرى، فإنها ضرورية لفهم النصوص اللغوية.

إن التفاوت فى فهم الألفاظ والمصطلحات اللغوية من أهم أسباب أى نزاع، علاوة طبعا على الاختلاف فى الوقائع. هذه الأهمية البالغة للكلمات تستدعى العناية بتعليمها وتعليمها. وتتضاعف هذه العناية إذا ما لاحظنا المشكلات التى تواجه متكلم اللغة بصفة عامة وتجابه متعلم اللغة الأجنبية على وجه الخصوص. هذه المشكلات جمَّة متعددة.

١ - بعضها يرجع إلى طبيعة الكلمات ذاتها.
٢ - وبعضها يرجع إلى طبيعة اللغة وطريقتها فى التعبير.
٣ - وبعضها يرجع إلى المعاجم اللغوية المستعملة.
٤ - وبعضها يرجع إلى المتعلمين أنفسهم.

كلمة يسيرة عن كل نوع من هذه المشكلات:

١ - أولى المشكلات: طبيعة الكلمة.

العلاقة القائمة بين الألفاظ والمعانى التى تدل عليها:

(أ) توجد من جهة، ألفاظ عديدة تدل على معنى واحد وهو مايطلق عليه اسم «الترادف» الذى يترتب على استعماله نوع من التعميم. الترادف عند القائلين به، فيه جدل. هناك فروق دلالية دقيقة بين الكلمات المترادفة المتشابهة بالرغم من وجود قاسم مشترك من ناحية المعنى فإنه يظل لكل كلمة ظلّها الخاص بها مثلا: السيف، هو البتار والأبيض والصارم والعضب. الترادف هنا يخدم الأديب ليشكل التكوينات الزخرفية التى تميز أسلوبه.

(ب) ومن جهة أخرى، توجد ألفاظ يدل اللفظ الواحد منها على معانٍ عديدة. ويدخل فى ذلك مايطلق عليه اسم «التضاد» «وتعدد المعنى» «والاشتراك اللفظى. هذه الأنواع الثلاثة من الألفاظ تسبب لونا من اللبس والغموض.

٢ ـ ثانى المشكلات : طبيعة اللغة

هذه المشكلة ترجع إلى طبيعة اللغة العربية ذاتها وتتركز فى ضخامة معجمها اللغوى مما يوقع الطالب وخاصة المتعلم الأجنبى فى حيرة وارتباك. إذ يواجه هذا العدد الضخم من المفردات فنجدها كلها تقريبا تحتوى على كلمات تختلف عن أى من كلمات من اللغات التى يألفها. كما يجد صعوبة فى الصور الصوتية المتشابهة ذات المعانى المختلفة. «فمثلا: ستراء من الفعل «ستر» المسند إلى ألف الاثنين، «سترى» سوف ترى، من الفعل «ترى» دخلت عليه سين الاستقبال. والفرق بين الرؤية والرؤيا. وبين «ذاهبة» اسم الفاعل من الذهاب، «ذا هبة» أى صاحب هبة. الأولى مقطع واحد والثانية مقطعان وقد لايتضح ذلك فى النطق.

٣ ـ المشكلة الثالثة: النحو والتشكيل

ومن هذه المشكلات أيضا غياب الشكل فى النصوص المقدمة والذى يوقع المتكلم الأجنبى فى اللبس والخطأ فى قراءة الكلمات فيقرأ يظْلَمْ يظَلِم. تجدق بدل تحدق. يعوذها يقرأ عليها المعوذتين، أى حصنها باللجوء إلى من يحتمى به. بدل يعْوزها يفتقر إلى، وهلّم جرا. هناك قبائل تنصب الفاعل: خرق الثوب المسمار ذهب الوقت. الوقت ذهب، فعل ماض واسم معدن نفيس.

وإذا الجبال رفعت وإذا الأرض نصبت الجبال ضمتين والأرض ضمة وفتحة. سافر ففى الأسفار خمس فوائد.... انصب فإن لذيذ العيش فى النصب الفتحة غير السكون. هذا النصب يعنى التعب والآخر النصْب يعنى الاحتيال.

مثل الحمار يحمل أسفارا، الأسفار جمع سَفَر وجمع سِفْر وهو الكتاب الكبير.

٤ ـ المشكلة الرابعة: تعدد اللغات واللهجات

الاختلاف بين طبيعة اللغة العربية التى يتعلمها المعْلَم الأجنبى وبين لغته الأم التى ألفها منذ صغره وتبرز المشكلة من توقع الطالب أن يلقى تساويا بين لغته واللغة العربية فى كل مجالات اللغة المختلفة ومن المعروف أنه يوجد عدم تساو فى بعض الحقول فى المستوى اللفظى ومنها أن العرب يميزون بين العم والخال. لكن فى الإنجليزية uncle. مثل آخر فى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية light - lit- licht تعنى ضوءاً، لكن لايوجد فى اللغات الأجنبية كلمة تعادل نور التى يستعملها العرب. (وجعلنا الشمس ضياءً والقمر نوراً) هناك فرق بين الضوء والنور. الطالب فى العادة يبحث عن معنى واحد والوظيفة النحوية ولكنه للوهلة الأولى يظهر له أن كل صيغة فى اللغة العربية = صيغتين أو ثلاث، فى اللغة الإنجليزية مثلاً: النفس والروح. الضوء والنور كلمتان اختلفتا فى الحروف لكن لهما نفس المعنى فى اللغات الأجنبية. ومعانٍ مختلفة تماما فى اللغة العربية.

٥ ـ المشكلة الخامسة: المعاجم اللغوية

المعاجم العربية لم تكتب فى عصرنا حتى تتابع مايحدث فيه، وهى تبدو رغم كثرتها وتنوعها ذات نفع محدود للذين يتعلمون العربية كلغة أولى أو ثانية وذلك لأنها لم تكتب بلغة العصر الحديث كما أن موضوعاتها قد لاتهم المتعلم الجديد. أضف إلى ذلك أن مداخلها غير مرتبة ترتيباً يسهل على المتعلم الحصول على المعلومات التى يطلبها دون إعياء ولاسيما أنه لايوجد معجم عربى أحادى اللغة أعد خصيصاً لغيرالناطقين بالعربية. ربما كان «المنجد» و«المعجم الوسيط» يتابعان المصطلحات الحديثة متابعة جيدة وإن كانت لاتزال قاصرة.

٦ ـ المشكلة السادسة: المتعلم

تعود إلى المتعلم نفسه بسبب افتقاره إلى السليقة التى يتبين بها مواضع النبر وخطئه فى تنغيم الجملة. ترجم مستشرق فرنسى تأدباً منه، ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ إلى «وجعلنا الليل بنطلوناً»، ولن أنسى ـ العلقة ـ التى أخذتها من أستاذ الحساب فى المدرسة الابتدائية، حينما وجهت إليه خطابى بصفتى الألفة ـ أستاذى أنت قواد عظيم ـ وكنت بالطبع أقصد ـ قائداً.

ماهى الآثار العكسية التى ترتبت على هذه المشكلات بالنسبة للمستشرقين والمستعربين؟

١ ـ عدم معرفة معانى المفردات فى النصوص المقروءة والمسموعة.

توقيع ـ «التوقيع بالاسم أو توقيع العقاب». عَلّمْ عِلْمْ. جَزَرْ جُزُر. رَجُلْ رِجْلْ.

٢ ـ اقتصارهم على معرفة معنى واحد من المعانى المتعددة للكلمة.

٣ ـ عدم القدرة على ذكر مرادف لكلمة وردت فى نص قرآنى مثل «يقطع»: اليد، الطريق، الوادى، الأسباب، ومااليس بمادة فيقطع، الرأى، الأمر، فلم يتمكنوا من ذكر مرادف لها إلا أنهم أشاروا بأيديهم إلى عملية الإزالة إشارات تدل علي فهمهم للمعنى وإن اختلفوا فى تصوير اتجاه وعمق حركة القطع المقصودة. قالت لأخته قصيه.. هل تقطع موسى بمقص؟ اضمم يدك إلى جناحك.. هل موسى يطير؟

٤ ـ الخطأ فى ضبط الكلمات لاسيما أسماء الأعمال والبلدان والأفعال.. المُشتَرى والمشترِى ـ يهوَى بدل يهوِى ـ حرَ وحرِ ـ وحدَه وحِده.

٥ ـ سوء استعمال الكلمات باستخدام كلمة بدل أخرى.

تسلمت، تلقى شيئاً من آخر بدل سلمت، نقل شيئاً إلى آخر.

دعى على بدلاً من دعا.

نكتفى بهذا القدر لدلالته على فداحة الآثار المترتبة على مشكلات الكلمات فى تعليم

غير العرب اللغة العربية وضرورة السعى لإيجاد حل. لتنظير علم اللغة وعلم الدلالة ومن النظريات التى دارت حول المعنى: «نظرية المجالات الدلالية»، «نظرية العلاقات الدلالية»، «نظرية السياق» Contextual theory . التعلم من خلال التطبيق. وهى فكرة رائدة.

كيف يمكن استغلال هذه النظريات فى تعليم اللغة العربية لغير العرب؟

نظرية السياق هى الأكثر إقناعاً ومنطقية لأنها ترى أن المعنى لاينكشف إلا من خلال سياقات مختلفة أبرزها:

١ ـ السياق اللغوى: مايسبق الكلمة ومايليها من كلمات أخرى. مع ملاحظة أن التعلق يغير المعنى.

٢ ـ السياق العاطفى: مايظهر درجة القوة والضعف فى الانفعال مما يقتضى تأكيداً أو مبالغة أو اعتدال. التداعى الحر. تتابع الصور فى المخيلة يتأثر بخلفية القارىء الذهنية والنفسية والثقافية والاجتماعية والدينية وكل الأبعاد الإنسانية الأخرى.

٣ ـ سياق الموقف: الموقف الخارجى الذى يمكن أن تقع فيه الكلمة.

٤ ـ السياق الثقافى: المحيط الثقافى أو الاجتماعى الذى يمكن أن تستخدم فيه.

٥ ـ السياق الزمنى: فى قصار السور، الآيات السريعة، تلغى المسافات الزمنية وقد لايرى المفسر «شعاع الزمن» فيخطىء التفسير والتأويل.

﴿اقرأ بسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق﴾ (العلق: ١ ـ ٢).

﴿قتل الإنسان ما أكفره * من أى شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره﴾ (عبس ١٧ ـ ١٩).

وبذلك فإن المحور الذى تدور حوله هذه النظرية هو الاستعمال ـ فمعنى الكلمة هو استعمالها فى اللغة. الاستعمال يأتى أولا. وحينئذ يتقطر المعنى منه.

فينبغى علينا ألا نُعلِّم الكلمات منفردة وإنما نقدمها فى جمل ونصوص، وأن نحرص على تقديم كل الاستعمالات الممكنة.

من ينقذ اللغة من أيدى النحاة؟!

كيف نُبسِّط التراث لعامة الناس حتى يتبينوا أن عظمة النصوص تكمن فى غنىٰ أفكارها لا فى صعوبة كلماتها. كيف يرتكز جسد اللغة الحى النابض، بلحمه ودمه، وحيويته وجماله على هيكل النحو، الذى يبدو مخيفاً ومفزعاً، ومقيداً للفكر بأغلال القواعد المستترة والمقدرة والمضمرة والمحذوفة، والتى لها والتى ليس لها محل من الإعراب والتمييز الملفوظ والتمييز الملحوظ والصيغ المعدولة، التى كان لها أصل فقلبت عنه، وأسرار (تصليت العامل على المعمول) مما جعل الأستاذ أحمد درويش بكلية دار العلوم يصرخ بهذه الاستغاثة.

كثير من أبناء هذه اللغة يواجهون قصوراً ظاهراً فى السيطرة عليها والتفكير بها وتحويلها من مجرد معرفة مفروضة أو واجبة إلى معرفة محببة مرغوبة يتم السعى إليها والتمتع بها فينفضون عنها فى كثير من الأحايين يأساً أو : هداً، وينصرفون إلى أدوات لغوية أخرى يبرزون من خلالها طاقاتهم التفكيرية التى هى ضرورية للحياة فضلاً عن التقدم والرقى. ويستقر فى أذهانهم ما لابد أن يورث للأجيال التالية من صعوبة اللغة وانعزالها عن التفكير الحى. بهذا انتشرت مدارس اللغات ودخل الطلبة إلى الجامعة عن طريق الـ IGCE فانعدم تكافؤ الفرص حيث لايقدر على تكاليف هذا التعليم إلا الفئة المستغلة. إن الدولة قد أهملت كنزاً عظيماً يكاد يمثل أكثر من ثلاثة أرباع المخزون اللغوى لدى التلميذ، وهو لغته العامية، التى تنتمى مفرداتها وتراكيبها ونحوها وصرفها إلى اللغة العربية، ولاتفترق عنها إلا افتراق اللغة الشفوية عن اللغة المكتوبة. كيف نلغى الفصام بين لغة الكلام ولغة الكتابة. هذا الفصام المفتعل، حلف غير مقدس بين تفكير مناطقة القرن السابع الميلادى ولغة القرن العشرين؟ كيف نلغى الجفوة غير المبررة بين النصوص التى تهتدى من خلالها إلى نموذج لغة الكتابة المعاصرة وبين نصوص أدباء العصر الحديث وعلمائه فى مجالات العلم المختلفة، اجتماع وطب وهندسة، ومؤرخيه والباحثين عن حل لهموم الناس فى حياتهم اليومية؟ كيف ننتزع اللغة الجميلة من براثن المنهج غير الجميل؟

إنك تستطيع أن تميز النسيج اللغوى للأدباء والشعراء، من يحفظ القرآن منهم ومن لايحفظه. كما نميز نحن الأطباء، من النسيج اللغوى الطبى الفرق بين خريج طب الأزهر خريج طب الجامعات الأعرق. إن القرآن هو باب العربية الأول حتى بالنسبة لغير المسلمين. كان مكرم عبيد باشا نموذجاً واضحاً لهذا. إننا بحاجة جادة إلى أن يعود الحفظ إلى سابق مجده فى هذه الأمة. يستوى ذلك حفظ القرآن أو التراث الشعرى والنثرى. ويجب أن نرفض تلك النظريات التربوية المفسدة للملكة اللغوية والسليقة العربية. أبجدهوز وشرشر. لاشك أن الهدف الذى أعلنه الزعيم الراحل عبدالناصر، من تطوير الأزهر، لم يتحقق. بل أضر بالأزهر ضرراً بليغاً. علمنة الإسلام وأسلمة العلم لم تكن إلا شعارا. النيّة أيام العهد الاشتراكى لم تكن معلنة.

أى متخصص فى العلوم الدنيوية يجب أن تحتوى مكتبته على المبسط من كتب الفقه والحديث والتفاسير.

قال أحد النحاة الذى ألف سبعة مجلدات فى معنى «حتى»: «أموت وفى صدرى شىء من حتى». قضيت طوال عمرى أقرأ النحو ولازلت ألحن فيه. قديماً كان الخطأ فى النحو يستغرب من الناشئة والشداة قبل غاشية الجهل بأصوله والافتخار بعدم معرفته، بالعجز الذميم وبعدم الاختصاص. وكأن النحو لايعرفه إلا المتخصصون فيه. فأصبحنا لانملك النخوة

والغيرة على لساننا ولانبدى إلا الاستهانة والازدراء وتسويغ العجز وأصبحت كليات التربية تخرج تربوياً غير عالم بتخصصه فى كل الميادين، لغة وغير لغة. يأمل الأستاذ الدكتور أبو همام أستاذ الأدب، فى إنشاء شعبة للعربية فى المدارس الثانوية كشعبتى العلوم والرياضة حتى تستقيم اللغة العربية ونتعلم النحو من النصوص لا من كتب القواعد فحسب.

لاينفق المرء إلا مما ادخره:

يسمع المصلون سيلاً من الأخطاء التى شاعت على ألسنة خطباء المساجد من الأزهريين سدنة النحو واللغة. ويفزع المرء حين يسمع خطبة الجمعة. فلم تقف أخطاء هذه الطائفة على اللغة وحدها فحسب، بل نسمع منهم آيات القرآن الكريم وليس فيها من الضبط غير الخطأ. كنا فى الصبا الأول نسمع الخطبة ونتعلم منها الآداب العربية بجانب الآداب الدينية. أين ولى ذلك الآن؟ أصبحت المعاهد المتخصصة لاتشترط حفظ القرآن الكريم أو تشترط وتتساهل مع هذه الأعداد الكبيرة وأغلب الظن أن كثيراً من الأزهريين الآن لايحفظون القرآن. ولا عجب إذا رأينا بعد عقدين على أكثر تقدير شيخ الأزهر والمفتى مثلاً، وسيكونان من الشباب الحالى، لايحفظان القرآن ويفتيان بغير علم.

من ينقذ النحو من ورطته؟

فى القرآن مايبدو أنه أخطاء نحوية. بعض الألفاظ تبدو وكأنها أخطاء لغوية أو إملائية لاتنطبق عليها أبسط قواعد اللغة العربية، فيعجز الفقهاء والمفسرون عن تفسيرها، وتبدو لمن «فى قلوبهم زيغ» وكأنها أخطاء يجب تصحيحها. لقد نزل القرآن فى عصر البلاغة والفصاحة، وماكان أيسر على محمد، لو كان هو مؤلفه، من أن يستعمل الألفاظ العربية الصحيحة أو ينبهه الصحابة العالمون بفنون الكتابة، بدلاً من أن يعرِّض القرآن للتشكيك والهجوم فى عصر الضحالة اللغوية.

المنقذ هو العلم الذى فى القرآن.

أولاً: ﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآية لقوم يسمعون * وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾ (النحل: ٦٥ ـ ٦٦). ربط الله بين إنبات الأرض فى هذه الآية وإفراز اللبن فى الآية ٦٦ لما فى كليهما من آية ونموذج يعتبر لقدرة الله على إحياء الأرض الجرداء الميتة بواسطة الماء الذى يتسبب فى إنبات البذور من بين حبيبات التربة وما تحتويه من مواد عضوية متحللة فيخرج منه نبات أخضر بهيج وثمار طيبة اللون والطعم، وهذا يماثل ماء النطفة الذكرية فى بطون الأنعام حيث ينبت جنيناً وتخرج لبناً أبيض لذيذ الطعم من بين عصارة المأكولات الداكنة اللون التى تعافها النفس والدم الأحمر غير مستساغ الطعم والمحرم أكله لضرره على الجسم الذى جاء ذكره فى الآية التالية لها.

اضبط! كيف هذا؟ الأنعام جمع والضمير فى الآية جاء مذكراً ومفرداً؟ هل عند سيبويه الحل؟ الحكمة البالغة كشف عنها الدكتور البنبى الذى يفهم مفردات العلوم المادية، الطبيعية والكيميائية والكونية. نحن نعلم جميعاً أن الأنعام التى تخرج الألبان لابد أن تكون إناثاً، لو قال (نسقيكم مما فى بطونها) لعاد اللفظ على بطون الأنعام بصفة عامة وإناثها بصفة خاصة لأنه بديهى أن الإناث هى التى تفرز اللبن. لكنه استخدم اللفظ بطونه وهو مذكر كإشارة علمية دقيقة إلى أن اللبن يتكون من هرمونات الذكورة والأنثى لا تخرج اللبن إلا إذا تسببت النطفة الذكرية فى إخصاب البويضة وتكوين الجنين وهذا ينشط فى نفس الوقت الغدد اللبنية فتنمو حتى يكتمل إفرازها بالولادة.

ولم يكن معروفاً إلا فى العصر الحديث أن هورمونات الذكورة هى التى تسبب نزول اللبن. هذا هو الإعجازالعلمى للقرآن لأنه منذ مئات السنين فى الزمن البعيد لم يكن أحد يعلم شيئاً عن هورمونات الذكورة والأنوثة.

بل هذا أيضاً إعجاز تشريعى، كيف؟ أذن الرسول ﷺ للسيدة عائشة رضى الله عنها أن تلتقى بأخى زوج السيدة التى أرضعتها بعد نزول آية الحجاب. وقال لها ائذنى له فإنه عمك! لماذا؟ سئل ابن عباس عن رجل له جاريتان (امرأتان)، أرضعت إحداهما جارية بنتاً والأخرى غلاماً. أيحل للغلام أن يتزوج الجارية؟ قال: لا، اللقاح واحد. لذلك ذهب جمهور الفقهاء (بدون دليل علمى) إلى أن اللبن للرجل وهو الذى يتعلق به التحريم. ولا ينقطع النسب بالإرضاع، عن زوج مات أو طلق فإنه يصبح المتوفى أو المطلّق أباً للرضيع وإخوته أعماماً له.

ما سبب تحريم زواج الأخوة فى الرضاع؟

ملحوظة: استعمال لفظ (بطونها) فى سورة المؤمنون ﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها...﴾ فيلاحظ أن الآية لم تخص ذكر اللبن، وبطونها هنا تعود على المذكر والمؤنث لأن الركوب وبقية المنافع تعود عليهما معاً.

ومن الآيات التى تبدو بها أيضاً ألفاظ مغايرة لقواعد اللغة.

ثانياً: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ (النحل: ٦٨ ـ ٦٩).

كلمة النحل جمع مذكر إلا أن الضمائر التالية مؤنثة مفردة «اتخذى»، «كلى»، «فاسلكى»، «بطونها».. لأن الموكول إليه هذه الأعمال هى الشغالة المؤنثة وليس الذكور، فكل شغالة على حدة عليها القيام بهذه الأعمال.. ولم يستدل بالطبع على الأعمال الموكولة لشغالات النحل

من دون الذكور أو الملكات إلا فى العصر الحديث بعد دراسة حياة النحل دراسة علمية دقيقة. كيف كان يتأتى لرجل كان يعيش فى صحراء الجزيرة العربية منذ ١٤ قرناً من الزمان، أن يطلع على علوم ومعان لم تكشف أسرارها إلا بعد قرون عديدة؟ لذلك ارتبطت هذه الآيات بالدعوة إلى التفكير والاعتبار.

ثالثا: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ (العنكبوت: ٤١). إلا أن الدكتور البنبى أستاذ وقاية النبات بزراعة عين شمس قال: لو صحت لغوياً لكانت خطأ علمياً، كيف؟ إن ذكر العنكبوت لا يستطيع أن يبنى بيتاً، والتى تبنى البيت هى الأنثى من خلال مغزل خاص موجود فى نهاية بطنها ولا يوجد مثله عند الذكر. فلو قال الله: (كمثل العنكبوت يبنى بيتاً) لكان خطأ علمياً لايمكن أن يصدر عن خالق العنكبوت وخالق الكون كله. هذا الخطأ لن يغفره المتفلسفون والنحاة المفكرون. وستكون فرصة للطعن فى صحة الرسالة وأن هذا الكتاب من عند الله. القراءة العابرة للآية توحى بأن المقصود بالوهن هو ضعف ورقّة الخيوط ولكن المغزى أعمق وأدق. فالوهن والضعف يرجع إلى أهداف وأغراض المحتمى ببيته. ولولا استعمال اللفظ المؤنث بعد كلمة العنكبوت لما التفتت أنظارنا إلى أن المقصود بوهن بيته هو الذكر وليس الأنثى. بالنسبة للأنثى هذا البيت بيت آمن يتحقق فيه الاسترخاء ويوفر الغذاء لأن هذه الخيوط منسوجة بتداخلات هندسية بحيث تجعلها شديدة الحساسية لأية اهتزازات خارجية فتعمل على تنبيه العنكبوتة وتحذيرها فى اللحظة المناسبة لتؤمن نفسها من أعدائها، كما أن بها مادة لزجة تلتصق بها أى حشرة بمجرد مرورها بالقرب منها فتكبلها لتنقض عليها أنثى العنكبوت، فالبيت يوفر للأنثى التى تبنيه الحماية والطعام والأمان. أما بالنسبة للذكر فالأمر يختلف. عندما تبلغ الأنثى وتستعد للزواج تبدأ فى بناء بيتها من الخيوط لتجذب الذكر غير القادر على البناء، وبعدما يتم التزاوج، تنقض الأنثى على الذكر فتأكله، وهذا الأكل لابد أن يتم حيث أن أنسجة الذكر مهمة فى عملية إنضاج البيض. وعندما تضع الأنثى بيضها تتركه فى مكان آمن بحيث يخرج الصغار ذكوراً وإناثاً يبحثون عن طعامهم بغير بيوت ولا خيوط. من هنا يتضح مدى وهن البيت الذى يتصور العنكبوت أنه بيت آمن له حيث كان فيه نهايته وحتفه. ليس من الصعوبة لأى مشاهد عادى أن يعرف ويعلم أن بيت العنكبوت وهن، فلماذا كان الاستفهام الاستنكارى فى آخر الآية ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لأن عموم الناس لايفهمون السبب الحقيقى وراء وهن البيت وأنه شرك وليس مأوى «ومايعقلها إلا العالمون». ولعل هذا التفسير العلمى يجسد لنا ما فعلته الولايات العنكبوتية المتحدة USA S=Spiders بعناكب الكويت. كمثال لضلال وضياع من يتخذون من دون الله أولياء. خلقوا لهم عدواً منهم، سلحوه وشجعوه ثم انقضوا عليه انقضاض الممتن. ويظل الكويت يدفع لهم

ثمن السيناريو حتى آخر برميل. يضيعون المعتدى عليه، ويبقون على المعتدى، ليبرر سبب وجودهم حتى تنضب آبارهم.

رابعاً: ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ (فصلت: ٣٧). رغم أن الآية تتحدث عن الشمس والقمر وهما مثنى إلا أنها استعملت ضمير جمع المؤنث، لماذا؟ لقد كشف العلم الحديث أن شمسنا هى إحدى نجوم أو شموس مجرة الطريق اللبنى «سكة التبانة». ويحصى العلماء أكثر من مائتى بليون بليون شمس فى مجرات الكون المعروف. لكن الناس حتى نزول القرآن لم تكن تعرف غير شمس واحدة وقمر واحد. ثم استطاع جاليليو بمنظاره الفلكى بعد نزول القرآن بأكثر من ألف سنة، أن يكتشف أربعة أقمار تدور حول كوكب المشترى. ثم توالى اكتشاف أقمار وشموس جديدة، ويتوقع العلماء أن يزداد العدد فى المستقبل، وهذا يوافق تماماً ما جاء فى الآية الكريمة.

لكن هناك ضوابط لتطبيق آيات الإعجاز العلمى:

١ - الرجوع إلى أمهات كتب التفسير للاستئناس بما جاء فيها مع الإلمام بالقواعد النحوية والبلاغية وفهم ألفاظ القرآن بمفهومها وقت نزولها.

٢ - المعرفة التامة بالظاهرة العلمية قيد البحث وفقه المصطلحات المتعلقة بها وتطابق الآيات مع الحقائق العلمية اليقينية الثابتة فقط دون النظريات التى لاتزال محل بحث.

إذاً لن يتمكن الفقهاء وحدهم: (مهما تعمقوا فى اللغة ونحوها وصرفها) من تفسير آيات الكتاب الكريم، لابد من الاستعانة بالعلماء.

فى العلم.. وأسرار التعبير:

اضبط!! حرف زائد فى القرآن

يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى:

يقول تعالى فى الآية التاسعة عشرة من سورة المائدة: ﴿ماجاءنا من بشير﴾.

وبعض أهل العلم حينما يفسرون هذه الآية الكريمة يقولون: إن «من» فى الآية «حرف جر زائد» بمعنى أن أصلها: ماجاءنى بشير ولا نذير، وحينما يعربون الآية يقولون: من حرف جر زائد، وبشير مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد.

وهذا خطأ فى فهم النص القرآنى، فلماذا «من» حرف جر زائد؟ ولماذا يضيف الله سبحانه إلى عبارته القرآنية حرفاً زائداً؟

قال شيخنا الشعراوى: إننا إذا تأملنا قليلاً فى الآية نجد أن الزيادة المقول بها فى حرف «من» هى فى تصور البعض فقط، لأن كل كلمة فى القرآن لها معنى.

وضرب فضيلته مثالاً توضيحياً، قال: إذا قال إنسان «ماعندى مال» فمن الجائز أن يكون عنده مال قليل لايقضى حاجة، مثل خمسة وعشرين قرشاً أو خمسين قرشاً أو جنيه مثلاً، فهذه المبالغ لاتقضى حاجة فى الزمان الحالى. ولذلك لا تعتبر مالاً، لكن حين يقول: «ماعندى من مال» أى من بداية مايقال له مال ولو «مليم» فى الزمان الماضى وقرش فى الزمان الحالى.

فكأن الله سبحانه حين يقول: ﴿ماجاءنا من بشير﴾ أى لم يأت لنا أحد من بداية مايقال له بشير. وإذن فالحرف «من» لايكون زائداً، فقد جىء به ليؤدى معنى.

أضاف الشيخ الإمام إلى هذا المثال مثالاً آخر من القرآن حيث قال: إن من المعانى الواحدة التى يختلف فيها الأسلوب، ويظن البعض أنها تفنن فى العبارات نجد مثلاً أن القرآن حينما يتحدث عن المصائب التى تصيب الإنسان يأتى ببيان مختلف عن بيان. ففى وصية لقمان لابنه يقول تعالى فى الآية السابعة عشرة من سورة لقمان: ﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾.

إنما فى الآية ٤٣ من سورة الشورى يقول سبحانه: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾.

نجد حرف «اللام» فى الآية الثانية مع الحرف «من» بينما لايوجد فى الآية الأولى حرف «اللام» مع الحرف «من».

فإذا تساءلنا عن السر فى هذا ومعناه التمسناه فى اختلاف المعنى فى الآيتين.

كلام فى الصبر، لكن المصبور عليه هذا أمر يختلف، فهناك مصيبة تصيب الإنسان وله فيها غريم، وهناك مصيبة تصيب الإنسان وليس له فيها غريم، فالمرض الذى يصيب الإنسان، فمن غريمه فى المرض الذى أصابه؟ لا أحد. وإذن فعلى من يصبر هناك؟ ولكن إذا ضربه إنسان أو لطمه أو أذاه فتكون مصيبة قد آذته وله فيها غريم أمامه، ومادام الغريم أمامه فهذا يهيج خواطره فى أن يغضب وأن يرد.

فى الآية الأولى المرض الذى أصاب ابن لقمان ليس فيه غريم، فمع من يعمل؟ لا أحد. ومن هنا يكفى فى التعبير بعد ﴿اصبر على ما أصابك﴾، ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾. لكن الآية الثانية يقول الله فيها: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ لأن الغريم هنا.

وحرف التاء فى «مرضعة» وعدم وجود هذا الحرف فى «مرضع» له حديث فى بيان شيخنا الإمام الشعراوى رحمه الله ورضى عنه وهو يتحدث عن البيان القرآنى الذى تركه لنا

فى تسجيلاته، حيث يقول تعالى فى الآية الثانية من سورة الحج: ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾. يعنى القيامة.

فمرضعة هنا بالتاء مع أنهم يقولون إن «مرضع» بدون تاء لأنها تعنى المؤنثة بذاتها لأن «مرضع» بطبيعتها المرأة، فلا تأتى للرجل، لأنها من الأمور الخاصة بالمرأة.

ولذلك يقولون: إن الأمور الخاصة بالمرأة لاتأتى فيها التاء، فلا يقال: رجل حامل وامرأة حاملة، إنما يقال: امرأة حامل، لأن هذا الوصف لايوجد إلا للمرأة، فلا توجد تاء الفرق معها، فمادامت كلمة مرضع لا تأتى للرجل، فلماذا جىء بالتاء فى قوله تعالى: ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾؟

والجواب: لأن الله يريد أن يصور لنا هول القيامة، وأن هولها يشغل الإنسان عن أعز من يحب.

والمرضع هى المرأة التى من شأنها أن ترضع وإن لم تكن فى ذلك الوقت مرضعة، لكن مرضعة هى التى تلقم الثدى فى فم الطفل، فذهول المرأة يوم القيامة لا عن رضيع من شأنه أن يرضع منها، وإن كان قد شبع من الرضاعة ونام، لا، وإنما هو يذهلها عن الرضيع الذى ثديها فى فمه.

وإذن فمرضعة لاتكون إلا لحالة الإرضاع ذاتها، وأما المرضع فتقال للمرأة التى من شأنها أن ترضع وإن لم تكن مرضعة فى ذلك الوقت. فالذهول يكون أروع إذا كان الثدى فى فم الطفل، ولذلك نجد التعبير القرآنى يعدل عن مرضع إلى مرضعة.. وهذا أداء إيقاعى حتى يعطى المعنى الدقيق السليم المطلوب.



الفصل السادس

الفقهـــاء مشـــــكلة

الصمت أولى.. يافضيلة المفتى:

كانت دهشتى بالغة مما جاء فى الكلمة التى ألقاها الدكتور نصر الدين فريد واصل، فى حفل رؤية هلال رمضان. حيث أخطأ فضيلته فى آيتين كريمتين فقال: «كتب عليكم الصوم» بدلاً من ﴿كتب عليكم الصيام﴾، وقال: «واسألوا أهل الذكر» بدلاً من ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾. كما أخطأ فى لفظ الحديث القدسى «الصوم لى وأنا أُجزى به» فذكر كلمة «أجزى» بضم الهمزة والصواب بفتحها، وبين الفتح والضم بون بعيد فى المعنى. فالضم مضارع أجزأ والفتح مضارع جزى وهو المراد فى الحديث. وقلت لعن اللحن والخطأ من رهبة الموقف وقد يكون المتحدث عالماً بقواعد اللغة لكن لسانه يزل عند الحديث لقلة الدربة والتطبيق. لكننى فجعت حقاً حين استمعت إلى حديث دينى لفضيلة المفتى بالقناة الثانية مساء الخميس (٢١ رمضان ٩٧ حوالى الساعة العاشرة مساء) فإذا اللحن فى اللغة يبدو واضحاً فى ذلك الحديث الذى لم يزد على عشر دقائق. وإليك نماذج من اللحن الصادر عن دار الإفتاء:

اسم إن: منصوب دائماً لكن المفتى جعله مرفوعاً عدة مرات، مثل: إن سعادتُنا بضم التاء والصواب فتحها. وخبر كان: منصوب دائما لكن فضيلته جعله مرفوعاً. والفعل منصوب بعد «أن المصدرية» لكن الشيخ فريد جعله مرفوعاً عدة مرات فقال مثلاً: «أن نعمرها» بضم الراء ثم كرر اللحن. وقال فضيلته فرضت الصلاة خمس مرات والصواب فتحها.. وغير ذلك كثير. والحقيقة أننا لانشك فى علم المفتى بالفقه والأصول لكن الواضح من حديثه المرتجل أنه لايضبط لغته ولا يصححها وفقاً لقواعد العربية. وقد عرّف أسلافنا علم النحو بأنه علم تعصم مراعاته اللسان من الزلل. فإما أن يعد المفتى أحاديث مكتوبة مضبوطة بالشكل ويقرؤها بعناية أو يريح نفسه من عناء الحديث ويكف عن مخاطبة الجمهور ويكتفى بالعمل فى مجال الإفتاء حتى لاتضيع هيبة المنصب الجليل الذى شغله من قبله علماء أعلام كالشيخ محمد بخيت والشيخ حسنين مخلوف وغيرهما ممن كانوا يرون اللحن فى اللغة والمداومة عليه جريمة لاتغتفر للعالم الأزهرى الذى يفنى عمره فى دراسة الدين واللغة. وقد كان سلفه الدكتور محمد طنطاوى يمتاز بسلامة اللغة وصحة النطق فلم يؤثر عنه خطأ واحد فى آية قرآنية أو حديث نبوى أو لحن فى الإعراب أو بنية الكلمة. فإما أن يدرب المفتى نفسه على سلامة النطق أو فليصمت، **فالصمت هنا زين واللحن شين.**

إننا قد نتجاوز عن إهانة قواعد اللغة العربية من خريجى التعليم العام مع أن منهم من يحافظ عليها ويتقن أداءها ولكننا لا نستطيع التجاوز عن هذه الإهانة للغة القرآن ونطقها على

غير وجهها ،الذى جاء به الكتاب العزيز وهو كتاب العربية المعجز، إذا جاءت من صاحب منصب دينى خطير وكل إليه الاجتهاد ونيطت به الفتوى، ومن شرائط الاجتهاد العلم بلغة العرب. والحديث ذو شجون ونكتفى بهذا القدر حتى لايفلت الزمام. (دكتور مصطفى عبدالواحد ـ أستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة).

عفواً قداسة البابا !!

يقول الأستاذ كمال زاخر موسى فى جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٩٩/١/٢٨ :

* كان هناك إصرار على أن تتلى الصلوات فى مجملها باللغة القبطية، رغم أن الكنيسة تتجه اليوم إلى تعريب الصلوات فى الغالب الأعم، حتى يحدث التواصل الذهنى والروحى بين المصلين، وأتصور أن اللغة العربية هى واحدة من اللغات المذكورة فى سفر الأعمال والتى سمعها جموع الشعب يوم تأسيس الكنيسة (يوم الخمسين).

* الغالب الأعم من الألحان التى ترددت واستغرقت وقتاً ليس بقليل من الزمان المتاح كانت لتمجيد البطريرك وهى كما يقول الثقاة من دارسى الليتورجيا ـ القداسات ـ أدخلها بعض العرفاء فى عصور ماقبل النهضة سعياً لرضا بعض الأساقفة، واستقرت بغير أن يقربها أو يحققها أحد، بما فيها مقدمة الأنجيل والتى تليت بالعربية وتحمل خلطاً شديداً وإضغام، مايخص شخص السيد المسيح ومايقصد به شخص البابا البطريرك أو الأب الأسقف، وهو ماقاله لى أكثر من واحد من الآباء المطارنة والذين منعوا ترديدها فى أيبارشياتهم.

* جاءت الملابس الكهنوتية على مختلف المستويات مجافية لروح النسك والعبادة التى تنفرد بها الكنيسة القبطية، وحملت رسالة شديدة الخطورة، وأعطت انطباعاً بأننا مازلنا أسرى روح العصور الوسطى السلطوية، بينما صاحب الاحتفالية جاء ميلاده فى مزود، وحياته نموذجاً بالغ الوضوح لحياة الترك إلى الدرجة التى يقول فيها الإنجيل إنه لم يكن له مكان يسند فيه رأسه، وتعلمنا الموروثات الكنسية أن حياة الرهبنة تقوم على الزهد والإخلاد للذات والفقر الاختيارى والتقشف، وهى عناصر نحتاج إلى ترسيخها فى مواجهة روح تعظم المعيشة التى تهددنا فى بيوتنا.

* حفل القداس بموجات متلاحقة من التصفيق كلما جال البابا البطريرك بين الشعب أو تكلم أو جلس على كرسيه، مدعوماً بالتهليل والزغاريد، وهى أمور قد تكون لها مايبررها فى أى محفل آخر غير صلاة القداس، التى نعتقد بحسب ما تعمله الكنيسة أن الحضور الأول فيها للسيد المسيح، وتؤكدها تنبيهات الشماس للشعب: (أيها الجلوس قفوا وإلى الشرق انظروا لتروا عمانوئيل إلهنا كائناً معنا على المذبح.. لنقف بتقوى لنقف بخشوع).

وهذا التداخل بين المشاعر الروحية والمشاعر السياسية بحاجة إلى تفريق يتحمل

مسئوليته القائمون على التعليم، وأتصور أنهم سيسألون عن هلاك الشعب لعدم المعرفة بحسب النص الإنجيلى.

ولعلنا مازلنا نذكر الصورة الآبائية المنطبعة فى ذهن كثيرين للبابا كيرلس السادس سواء فى الاحتفاليات العامة أو فى صلواته التى كانت عشقه الأول والأخير، والذى ببساطته أسر قلب الزعيم الراحل جمال عبدالناصر، وكان يقاوم كل إغراءات التشبه برؤساء العالم، فملك ببساطته واتضاعه الفطرى على قلوب الملايين حتى بعد موته، بل إن من عرفوه بعد رحيله أكثر ممن عرفوه فى حياته.

أرجو أن تنال هذه الملاحظات حقها فى الدراسة، حتى تأتى احتفالياتنا المقبلة أكثر تعبيراً عن الروح الكنسية القبطية فى صحيحها ونستطيع أن نحدث التواصل مع المتلقى وتصير الكنيسة بيتاً للصلاة.

نشرت روز اليوسف النص الكامل لقانون الأحوال الشخصية للأقباط:

- أطفال السفاح شرعيون.
- التبنى صحيح بعد سن الأربعين.
- الورقة المريبة بين أحد الزوجين وشخص غريب تثبت الزنا.
- المرأة تدفع النفقة أحياناً.
- المتسبب فى الطلاق لا يتزوج.
- الشريعة الإسلامية أحكامها تطبق فى حضانة الأطفال.
- ثغرة الطلاق بسبب الإلحاد.

فرد عليها راعى كنيسة مار جرجس للأقباط الأرثوذكس القس إبراهيم عبدالسيد وقال:

«لا.. لمشروع القانون الجديد!!

فى المواد ٥٢ - ٥٨ من لائحة الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس الصادرة فى ١٩٣٨/٧/٨ والسارية أحكامها حتى اليوم وردت أسباب تسمح بطلب تطليق الزوجين لغير علة «الزنى» لأنها لاتقل جسامة عنه بل هئ تؤدى حتماً إلى ارتكابه على النحو التالى:

١ - الخروج عن الدين المسيحى وانقطاع الأمل من الرجوع إليه.

٢ - الغياب خمس سنوات متتالية بحيث لايعلم مقر الغائب ولا تعلم حياته من مماته وصدور حكم بإثبات غيبته.

٣ - الحكم بعقوبة الأشغال الشاقة أو السجن أو الحبس لمدة سبع سنوات فأكثر.

٤ - الإصابة بجنون مطبق أو بمرض معد يخشى معه على سلامة الطرف الآخر ومضى ثلاث سنوات على الجنون والمرض وثبوت عدم القابلية للشفاء أو الإصابة بمرض

العنة «العجز الجنسي» ومضى ثلاث سنوات على الإصابة وثبوت عدم القابلية للشفاء وتكون الزوجة فى سن يخشى عليها من الفتنة.

٥ ـ الاعتداء على حياة الطرف الآخر أو الاعتياد على إيذاء أنداء جسيماً يعرض صحته للخطر.

٦ ـ إساءة السلوك وفساد الأخلاق والانغماس فى الرذيلة وعدم جدوى توبيخ الرئيس الدينى ونصائحه.

٧ ـ إساءة معاشرة الطرف الآخر أو الإخلال بالواجبات الزوجية إخلالاً جسيماً مما يؤدى إلى استحكام النفور بين الطرفين وافتراقهما عن بعضهما واستمرار الفرقة ثلاث سنوات متتالية.

٨ ـ الدخول فى سلك الرهبنة.

وواضح أن التعامل فى هذا الصدد بآية «أن ما جمعه الله لايفرقه إنسان» غير وارد فمثل هذه الزيجات الفاشلة لم يجمعها الله بل جمعها الشيطان أو دخل فيها أو ربما جمعها الإنسان فى أحسن الفروض!

وواضح أن هذه الأسباب تؤدى بالطرف الآخر إلى الزنى الفعلى وارتكاب الفاحشة لعدم احتمال الحرمان من المعاشرة الجنسية مع بقاء العلاقة الزوجية الميئوس من علاجها وتحميله أحمالاً لا قدرة له ـ أو لها ـ على حملها واستحقاقه النظر إليه بعين الحنان حتى لا يتلمس العطف لدى طرف غريب فيسلمه جسده ويمارس معه الزنى، ففى فصم العلاقة الزوجية درء لمزيد من الأخطاء والأخطار وفى إنهائها الحتمى ضرورة قطعية وعدم الإبقاء عليها باستمرارها واجب اجتماعى وأخلاقى إزاء الاحتياجات النفسية والجنسية والاجتماعية والاقتصادية التى تلاحق البشر لاسيما فى زمن ردىء تزداد فيه قسوة الحياة على النحو الذى نلمسه كبشر وأزواج ومثقفين.

من هنا جاءت لائحة ١٩٣٨ متسمة بالحكمة والموضوعية بعدم اقتصارها على علة «الزنى» بالمفهوم الضيق والأفق الغبى لاسيما أن مفهوم هذه الكلمة شرعياً لايقتصر على ممارسة الجنس والتلبس والشهود فليست المفاهيم الروحية مجرد آية واحدة أو أجزاء منها أو حتى بضع آيات وفصل نصوصها عن ظروفها وملابساتها وهو ما نسميه ـ نحن رجال القانون ـ «بروح القانون»!

فاستكمالاً لآية «لا طلاق إلا لعلة الزنى» الواردة فى إنجيل متى (٢٥:١) ورد فى نفس الإصحاح من ذات الإنجيل «إن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك» فالنظرة الشريرة والفكر الشهوانى هو «زنى» بالمفهوم المسيحى، فمن من البشر لم ينظر نظرة شريرة؟ وهل كل المسيحيين يصبحون «زناة» ويطلقون من أزواجهم؟ وهل يمكن لمسيحى أن ينفذ هذه الوصية

أيضاً: لا يترخص لفعل مكروه، فلو سافر لفعل هو مكروه وليس محرماً فإنه لايباح له الفطر. وهنا يأتي سؤال فيما إذا سافر المسلم لعمل هو بدعة كمن سافر قاصداً زيارة قبر معين أو شد الرحال إلى مسجد غير المساجد الثلاثة، فمثل هذا قال بعض العلماء أنه يترخص فيه!

وأول مايلاحظ فى هذه الفتوى خلوها تماماً من الدليل الشرعى حيث لم يذكر المفتى الذى أجاب عن السؤال الدليل من آية، أو حديث نبوى، والمصدر الذى استخدمه فى نهاية الفقرة الأولى لايعدو أن يكون رأى فقيه لايسلم من الخطأ والزلل ولايصح أن يستخدم كدليل قاطع.

عند قراءة الفتوى الإجابة نجد لاعقلانية عجيبة غريبة على أهل النهى، فالفتوى تتضمن استنتاجين، الأول: أن المسافر فى سبيل قضاء معصية عليه واجب الصوم وإقامة الصلاة كاملة، وهذا تناقض غير مقبول عقلاً، فإذا كانت النية مسبقاً لارتكاب المعصية فلا معنى للحديث عن صلاة أو صيام. ويلاحظ أن السيد المفتى نسب هذا الرأى «هذا قول جمهور الفقهاء المالكية والشافعية والحنابلة» والسؤال: أين الأحناف؟ أصحاب مدرسة الرأى؟ طبعاً لم يرد ذكرهم لسبب بسيط وهو أنهم يقدرون العقل وقيمته، ولايمكن أن يقبلوا - بشكل عام - مثل هذا الرأى اللاعقلانى والشاذ، إذ مافائدة الحديث عن صلاة وصيام مع شخص تعلم أنه سيسافر بنية ارتكاب المعصية؟ وإن كان الحديث يتصل بالهداية، فالنصح له وإعطاؤه الرخصة بقصر الصلاة أفضل له من التشديد عليه بإقامة الصلاة كلها وليست لديه النية بذلك!

الاستنتاج الثانى أن من الخطر الإشارة إلى احتمالات الاعتقاد بأن المسلم مادام يصوم ويصلى فلا يهم ما ارتكب من معصية، لأنها تفسح مجالاً خطراً لمن يمارس هذا التناقض فى حياته، كما هو حال من يصلى ويصوم ويظلم الآخرين أو يأكل مال اليتيم أو يغش فى تجارته أو يخدع الآخرين فى تدينه كما يفعل زعماء التيار الدينى الذين يخدعون البسطاء بلحيتهم وادعائهم التدين الظاهرى، فالقول أنه لايضر مع الإيمان معصية، ولاتنفع مع الكفر طاعة، يسهل سبيل التمادى فى المعصية، ولايقبل بذلك عاقل.

أما التبرير اللامنطقى والمضحك فى الأمر كله هو - برأى المفتى - أن المسافر بنية المعصية لا يستأهل الرخصة الإلهية المتمثلة بقصر الصلاة والإفطار! يعنى كان هو سائل فى الأمر كله يامولانا، حتى يستأهل أو لا يستأهل؟!.

وبسبب اللاعقلانية التى تسود حال الفتوى وكذلك حال حياة المسلمين الفوضوية فكرياً، كان من الطبيعى أن يتمادى السيد المفتى فى تقديم المزيد من اللاعقلانية يتكىء مولانا على الفقهاء وقالوا أيضاً «من هم؟ لاندرى!» لايترخص لفعل مكروه.. فلو سافر لفعل مكروه وليس

بأن يقلع عينه، والمسيحية ضد بتر الأعضاء لأنها منحة من الله للإنسان ينبغى عليه الحفاظ عليها، ولا صلاح للفرد ببتر احد أعضائه، وتقويم البشر يبدأ من القلب والفكر بتصحيح فساد الأهواء والابتعاد عن الشهوات، والوقوف عند ظاهر النص بأفق ضيق هو تشدد لا مبرر له.

كما أن «الزنى» بالمفهوم الروحى من ناحية ثانية يكون بالكفر بالله تعالى وإنكاره وعبادة آلهة أخرى غيره على نحو ماورد بسفر الخروج (٢٤:٥) وسفر القضاة (٢:٧) وسفر أشعياء (٢٣:١٧).

وعلى هذا النحو الحكيم سار البطاركة يؤانس التاسع عشر ومكاريوس الثالث ويوساب الثانى وكيرلس السادس وعشرات المطارنة والأساقفة الذين عاصروهم كانوا يسمحون بإعمال نصوص لائحة ١٩٣٨ قبل صدور القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ الذى ألغى اختصاص المحاكم الشرعية والمجالس الملية بنظر دعاوى الأحوال الشخصية ابتداء من ١٩٥٦/١/١، وبعد صدور هذا القانون وذلك بفصم العلاقة الزوجية الميئوس من علاجها بل والتصريح بالزواج الثانى للحاصلين على أحكام قضائية نهائية!

كما أن التحول من طائفة إلى أخرى أو من مذهب مسيحى إلى مذهب مسيحى آخر أمر يجب أن يكون مباحاً فى ممارسة حرة لحق أصيل من حقوق الإنسان ،إعمالاً لنصوص دستورية عديدة فى أن يعتنق المرء العقيدة التى يؤمن بها وأن يتمتع بما تسمح له به هذه العقيدة من مزايا بلا وصاية من أحد، والمشكلة التى يعانى منها هؤلاء الذين يحصلون على أحكام قضائية نهائية هو تعنت المجالس الأكليريكية الكنسية فى إصدار تصاريح زواج ثان ابتداء من عام ١٩٧١ استناداً للآية الوحيدة السابق ذكرها وقد كتبت فى «الأخبار» مراراً عن هذه المشكلة وكان المأمول التفريج عنهم لا التضييق عليهم.

وقد كانت أهم السبل التى يلجأون إليها هو الانضمام لطائفة أو مذهب آخر فتنطبق عليهم أحكام الشريعة الإسلامية فتنتهى علاقاتهم الزوجية المتداعية بأحكام الطلاق ويرتبطون بعلاقات زوجية جديدة تحفظهم من السقوط فى الخطيئة بعد أن تعسفت كنيستهم فى استخدام سلطاتها فى «الحل والربط» بلا مبرر، ولكن حتى هذا السبيل هناك من يسعى هذه الأيام إلى إغلاقه بمشروع قانون تم إعداده لتنظيم الأحوال الشخصية لكل الطوائف المسيحية بإلغاء ماورد بلائحة ١٩٣٨، ويبدو أن العقلية الرهبانية المتسلطة وراء هذا المشروع رغم أن أمور الخطبة والزواج والطلاق هى شئون شخصية بحتة وليس لسلطة دينية الحجر عليها، فهى نفس العقلية التى أفرزت صكوك الغفران ومحاكم تفتيش العصور الوسطى وأثارت الجماهير الروسية إبان ثورة ١٩١٧ الشيوعية والتى توقفت عند مفاهيم عصور مضت وتحجرت عن مجاراة الزمن وعجزت عن تقديم إبداعات تلاحق الحاضر بمقوماته والمستقبل بتطلعاته

وأرى أن إرهاصات ثورة مكبوتة قد بدأت تتشكل إذا ماصدر القانون المقترح وبدء مرحلة من الطعون الدستورية ضده فى حالة صدوره لتعارضه وأبسط حقوق الإنسان بإعداده بعناصر رهبانية لم تختبر الحياة الزوجية والعلاقات الاجتماعية السوية ففاقد الشىء لايمكن أن يعطيه!

إننى أناشد السيد الأستاذ وزير العدل والجهات الرسمية فى مجلس الوزراء ومجلسى الشعب والشورى ومجلس الدولة أن يطرحوا هذا المشروع جانباً مثلما حدث من قبل مرات عديدة قبل عام ١٩٨٠ وكفى تضييقاً وحجراً على حقوق الإنسان فى الوقت الذى تخطو البشرية فيه سريعاً إلى الألفية الثالثة، فقد كان واضعو لائحة ١٩٣٨ أكثر حكمة وموضوعية منذ أكثر من ستين سنة لاسيما أن المشروع الجديد تم وضعه فى غفلة من الشعب وبدون دراسة ممن يهمهم تطبيقه عليهم.. «وتعرفون الحق والحق يحرركم».

من المحيط إلى الخليج أفسد الفقه المجتمع وأضلت الفتاوى الناس.

إعاقة فكرية.. الفتوى واللاعقلانية:

يقول د. أحمد البغدادى بجريدة الأهرام:

من خير الدنيا أن الدلائل التى تثبت انعدام الصلة بين الفتوى الدينية واللاعقلانية تزداد كثرة ورسوخاً يوماً بعد يوم.. وأن هذه الدلائل تشير بما لايدع مجالاً للشك إلى أن الفتوى تمثل إعاقة فكرية فى سبيل التطور الثقافى للفرد والمجتمع والسلطة، وأن المجتمع الذى يرهن حياته بالفتوى لايمكن أن يتطور، وأن الدولة التى تراهن على التيار الدينى ستخسر الرهان فى النهاية، وأنه رهان مرهق وباهظ الثمن.

الفتوى التى سأعرضها ليست فقط لاعقلانية، بل ومضحكة أيضاً، فقد سأل أحد المسلمين البسطاء الذين لايريدون أن يمسكوا كتاباً ليثقفوا أنفسهم، سأل سؤالاً بسيطاً مفاده: هل الإفطار وقصر الصلاة أمر ملزم لكل سفر أم أنه خاص بالحج والعمرة؟ وهو سؤال يدل على ضعف ثقافى فى الدين، ومع ذلك هذا من حقه الذى لايجوز أن ننازعه فيه، ولا لوم عليه، لكن ماذا عن الإجابة التى وردت كالتالى:

السفر إن كان للحج أو العمرة أو السياحة فهذا كله يجوز فيه قصر الصلاة والفطر.. لكن إن كان السفر لمعصية كمن يسافر ليقطع الطريق أو يسافر ليرتكب المحرمات كشرب الخمر والزنى، فإنه لايباح له الفطر وهذا قول جمهور الفقهاء المالكية والشافعية والحنابلة. والسبب فى ذلك هو أن قصر الصلاة والفطر رخصتان والشخص العاصى ليس أهلاً للرخصة فهى إعانة على الطاعة وليست إعانة على المعصية، بل ذهب بعض الفقهاء إلى أن العاصى بسفره لارخصة له لا فى قصر الصلاة ولا الفطر ولا أكل الميتة وإن كان مضطراً، وقالوا

محرماً فإنه لايباح له الترخيص.. وهنا يأتى السؤال «وياله من سؤال؟!» فيما إذا سافر المسلم لعمل هو بدعة كمن سافر قاصداً زيارة قبر معين أو شد الرحال إلى مسجد غير المساجد الثلاثة، فمثل هذا قال بعض العلماء أنه يترخص فيه.. ولم يسأل هذا المفتى نفسه ويتساءل حول آراء الفقهاء الذين ينقل عنهم ماذا عن الذين ينوون العمرة وزيارة قبر النبى ﷺ؟ هل يقومون ببدعة؟

بلاء الأمة وتخلفها فى هذه الفتاوى ولا حل لكل التخلف الفكرى الذى يسود حياة المسلمين إلا بإبعاد رجل الدين الذى يعيش فى ظل فقهاء وعلماء ماتوا قبل قرون ولايعلم سوى الله ماذا كانت أحوالهم، ولا مجال لأى أمة بالتطور والرقى الثقافى إلا بالعقل، والمسلمون مطالبون باستعادة تراثهم العقلى بعيداً عن رجل الدين الذى لايجر معه سوى البؤس النابع من الفكر الدينى اللاعقلانى.. كما هو حال من الفتاوى التى تحيل حياة المسلمين إلى جحيم من اللاعقلانية واللامنطقية فى معالجة الأمور.

تعيين المفتى.. تسييس الدين.. تطويع الفقه

دار الإفتاء.. شاهد ماشفش حاجة!!

يقول الدكتور محمود السعيد الكردى:

دار الإفتاء المصرية، تجاوزت النظر فيما «فُوِّض» إليها من أمر الاجتهاد فى القضايا الفقهية، إلى النظر فيما «لم» تفوض فيه مما يتصل بتحقيق المصالح السياسية للأمة الإسلامية، فقد دخلت مصر إلى عبادة الصوم على أساس رؤية شرعية، وخرجت منها «قصرا» فى أواخر الشهر على أساس رؤية سياسية، هى من صميم اختصاصات القيادات السياسية العليا، وبذلك تكون دار الإفتاء قد وقعت فى مخالفتين اثنتين، إحداهما «شرعية» والأخرى «دستورية»!! ولنا فى كل مخالفة مايقال.

أعلنت دار الإفتاء مساء يوم الأحد ٢٩ رمضان ١٤١٩هـ، أنه «لم» تثبتت رؤية الهلال فى مصر من خلال اللجان الفقهية والعلمية والفلكية التى شكلت لاستطلاع الهلال فى ست مناطق من الجمهورية، إلا أن الرؤية ثبتت فى بعض البلاد العربية والإسلامية، وأنه لما كانت وحدة الأمة وتوحيد كلمتها بعد توحيد أعيادها!! ومناسباتها الدينية هو «الهدف»!! فقد رأت دار الإفتاء أن تأخذ بثبوت الرؤية فى بعض هذه الدول العربية والإسلامية، وهكذا أصبحت دار الإفتاء أشبه بالشاهد الذى لم يشاهد شيئاً!!

أعرف الأسس الفقهية التى استندت إليها دار الإفتاء فى فتواها، فقد أدخلت مصر فى عبادة الصوم على أساس رأى جمهور من الفقهاء يرى وجوب تقدير «منازل» القمر، واختلاف مطالعه، فتكون «لأهل كل بلد رؤيتهم» تأسيساً على قوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم

الشهر فليصمه﴾، والذى بينه الرسول الأمين بقوله: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكلموا عدة شعبان ثلاثين يوماً»، وعملاً بقوله ﷺ: «لا تصوموا حتى تروه»، وهذا هو ما أعلنه فضيلة المفتى فى الليلة قبل الأخيرة من ليالى شهر شعبان.

ولكن دار الإفتاء قد خرجت بمصر من عبادة الصوم «قصرا» فى أواخر الشهر تأسيساً على رأى جمهور من الفقهاء يرى أنه لا عبرة باختلاف المطالع أو تقدير المنازل فتكون رؤية أهل بلد واحد ملزمة لسائر بلاد المسلمين بالصوم أو الفطر.

وهنا تماماً تكون المخالفة الشرعية التى وقعت فيها دار الإفتاء، فإن توحيد منهج الرؤية يسبق فى الأهمية توحيد المصالح السياسية للأمة الإسلامية.

لقد وقعت الدار فى المخالفة لأنها أخذت «بالتقاليد» ولم تعمل الفكر على أساس القواعد الفقهية الأصولية، وطبقاً للمقولة الشهيرة فى تاريخ الفقه التى تدعو إلى عدم التقليد هم رجال ونحن رجال!! فإن مناط الفقه غياب النص، والمقصود بالنص هاهنا: القرآن والسنة والإجمال، وحيث إنه لا إجماع فى قضية «الرؤية» فلن يبقى أمامنا سوى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

لو أعملنا عقولنا وتحرينا الحقيقة فى عقيدتنا، لكان لزاماً علينا أن نعيد النظر فى فهم قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ (البقرة: ١٨٩).

هذه الآية الكريمة تخبرنا بالنص الجلى فى قضية الرؤية وهو وجوب المشاهدة العيانية المباشرة بالوسائل العلمية المتاحة فى كل علم، وهذا هو الباب الشرعى للرؤية، لذلك لانبغى أن ندخل إلى القضية من باب آخر!! صحيح أن النص كان لمناسبة خاصة، ولكن عموم المقصد القرآنى يحكم حركة الفقه فى تطوره.

لذلك لو أنصف الفقهاء فى الألف سنة الماضية لما بذلوا الوسع والاجتهاد فى قضية الرؤية إذ أنها محكومة بنص جلى ظاهر، فإن القمر لا يولد ولا يموت!! وإنما تظهر منازله حركة الأرض كما أنه يختفى أيضاً بحركة الأرض، لذلك كانت العرب تطلق كلمة الهلال على القمر فى أول ليلة والثانية ثم يقال له قمر ولا يقال له هلال وجمعه أهلة.

لذلك كان اجتهاد دار الإفتاء هو اجتهاد فى غير محل، صحيح أنه «لاينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان» إلا أن هذا الإنكار يتعلق بالمصالح المرسلة وليس بالأحكام الشرعية التى يكفى فيها اتباع ظاهر النص وعموم المقصد.

أما المخالفة الدستورية التى وقعت فيها دار الإفتاء، فهى تكمن فى أنها جعلت التطور والأسبقية للهدف السياسى، وطوعت له إحدى النظرات الفقهية، مع أن الدستور المصرى فى

صدره يجعل أن الإسلام هو مصدر التشريع وليس «أحد» مصادر التشريع مما يجعل الكلمة العليا للقضية الفقهية وليست للأهداف السياسية إلا فى حالات مخصوصة نصت عليها الشريعة.

وحيث إن فضيلة المفتى قد أخذ برأى فقهى مخالف لما نحن عليه، تحقيقاً للهدف السياسى، فإنه يكون قد وضع الهدف السياسى فى مقابلة «النص» الشرعى، وجعل له الاعتبار الأول، وهذه مخالفة دستورية صريحة!!

مجمع البحوث الإسلامية، اللجنة الدينية بمجلس الشعب: أسألكم بالله أن تدركوا دار الإفتاء فى توحد منهج الرؤية الشرعية فى مصر، وتدخل إلى عبادة الصوم لمنهج القرآن والسنة وتخرج منها على أساس نفس المنهج.

فإنى لا أعرف فى الشريعة الإسلامية نصاً يدعو إلى توحيد «أعياد» المسلمين فإننا نصلى فى مواقيت مختلفة لاسيما أن فضيلة المفتى قد صرح لمجلة «أكتوبر» أنه لم يقدر على حمل الدول العربية والإسلامية على الامتثال لقرارات المجامع الفقهية التى عقدت خلال ١٨ سنة بهدف توحيد منهج الرؤية، وحتى لايأتى علينا الزمن الذى نعلن بدء أول عيد الفطر لتحسن الأحوال الجوية!!

إذا استمر الحال على ماهو عليه من اضطراب الرؤية الفقهية، فإن التداخل غير الشرعى سوف يحدث بين الأحكام الشرعية «دين الله» وبين الأهداف السياسية «دين الملك»!! فإن الأمر جد خطير، حتى لا تجعل دار الإفتاء من ظهرها جسراً إلى جهنم.

ورد عليه الشيخ محمود محمد خضر من علماء الأزهر، فقال:

«لمصلحة من أفطر الناس يوماً من رمضان؟

عشية التاسع والعشرين من رمضان طلع علينا فضيلة المفتى ببيان غريب خيب آمال المصريين جهلاء وعلماء الذين تأكدوا فلكياً أن العيد الثلاثاء، وكان قد أكد لهم فضيلته أن الدين لايناقض الفلك وأنه قد استشار علماء المشرق والمغرب فأكدوا له رؤية الهلال وهو يعلم يقيناً أن أهل المشرق لم يحاولوا رؤية الهلال لأنهم أكملوا عدة رمضان ثلاثين يوماً بناء على رؤية «شاهد ماشافش حاجة» صاموا فيها يوماً من شعبان.

أما علماء المغرب فلم تكن الشمس قد غربت عندهم وقت إلقاء المفتى بيانه حتى يخبروه بأن الهلال قد غاب عندهم بعد غروب الشمس.

ولكنه ألف هذا البيان من معلومات فلكية لم يحسن فهمها تفيد أن الهلال سيولد الساعة ٥,٤٦ على الجزائر، وأنه سيغيب فى المغرب بعد غروب الشمس بدقيقة أو اثنتين أو خمس ولم يفهم أن معنى ولادة الهلال عند الفلكيين هى دخوله خط الموازاة مع الشمس المسمى حالة

الاقتران وبعدها يبدأ القمر في مفارقة هذا الخط إلى أغلى ليغيب بعد غروب الشمس. وحتى في هذه الحالة لايتكون له هلال يرى بأحدث الوسائل إلا إذا غاب بعد الشمس بأكثر من أربع دقائق أما بالعين المجردة فلا أقل من عشر دقائق.

وهذا هو معنى قرار مؤتمر جدة في توصياته التى أقر بها المفتى في أكثر من صحيفة آخرها «آخر ساعة» ١/٢٧ : «هى أن يكون الميلاد ميلاداً حقيقياً وأن يستمر الميلاد إلى مابعد غروب شمس ليلة الرؤية بوقت يمكن رؤيته فيه بزمن مكة أو مصر أو أى بلد يشترك معهما في جزء من الليل».

وهذه التوصيات فيها كثير من الإبهام لأنه ليس عند الفلكيين ميلاد حقيقى وميلاد مزيف، وإنما عند المشايخ رؤية حقيقية ورؤية مزيفة يكذبها العلم ولأن مصطلح الاشتراك في جزء من الليل غامض وعلى من اخترعه أو من يردده كالببغاء دون فهم أن يقول لى ماهى البلاد التى تشترك مع مصر ومكة في جزء من الليل فتصوم وتفطر معهما وما البلاد التى لاتشترك، وأن يحدد لى موقع هذه البلاد على الكرة الأرضية التى لايقر بكرويتها كثير من المشايخ والذين يقرون بها لايفهمون أى شيء من لوازم كرويتها، ودوران القمر حولها، ودورانها حول نفسها وحول الشمس وهل الجزء من الليل جزء زمانى أم جزء مكانى ولماذا تخصيص زمن مكة ومصر بالذات دون سائر البلاد الإسلامية؟ ذلك لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره؟ وإذا لم تكن جميع هذه التصورات واضحة في الأذهان فإن جميع أحكامنا على الهلال تكون خبط عشواء أو خبط عمياء، وقد ترك الوقت الكافى مبهماً لتفسره كل دولة في المطالع الخاصة بدولة أخرى حتى لو كانت مطالع مختلفة لا أساس لها في علم الفلك الذى يعتبره البعض حتى يومنا هذا ضرباً من التنجيم الكاذب.

أما مسألة اختلاف المطالع التى نشأت عندما رفض ابن عباس رؤية معاوية في الشام ونشأ عنها رأيان أحدهما أن رؤية بلد تلزم البلاد الأخرى، والآخر أن لكل بلد مطلعه فقد تعقبهما الفقهاء بعد ذلك وقالوا: إن كانت البلاد على سمت واحد أى تطلع عليها الشمس وتغيب في وقت واحد أى بتعبير العصر الحاضر على خط طول واحد فإن رؤية بلد تلزم الآخرين أما إذا اختلف السمت «الخط» فلكل بلد مطلعه، وهذه عبقرية مبكرة عند الفقهاء الأقدمين يفتقدها كلية مشايخ آخر الزمن الذين يهرفون بما لايعرفون ولا يفرقون بين خطوط الطول وخطوط العرض «وكله عند العرب صابون» ومعلوماتهم الفلكية لا تؤهلهم للإفتاء في هذا الأمر ولا حتى لفهم مايشرحه لهم علماء الفلك وإنما يكون حوارهم كحوار العمى مع الطرشان كما كان يقول دكتور جمال الفندى رحمه الله.

والذى يوازن بين معلومات ابن حزم وفقهاء عصره عن الفلك ومعلومات فقهائنا في

المشرق العربى والمغرب العربى ـ رغم التقدم الهائل فى العلم ووسائله ـ يفهم معنى قوله ﷺ: «إن الله لايقبض العلم انتزاعاً من صدور الرجال ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى إذا فنى العلماء تولى الأمر رؤساء جهال فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»، ويفهم سر تخبط فقهائنا منذ عشرات السنين فى الصيام والإفطار فالمغرب الذى يزعم المفتى أنه رأى الهلال يصوم الاثنين ويعاقب كل من أفطر والمشرق الذى يؤكد الفلك أن الهلال لم يولد عنده يوم الأحد يفطر إفطاراً باطلاً بكل المقاييس الفلكية والفقهية وللفهم الفاسد لقول بعض الفقهاء «وليس كلهم» بوحدة المطالع وهو قول لايقره العلم الحديث، والتذرع بمصطلح الاشتراك فى جزء من الليل الذى لايعلم من هو مخترعه الجاهل بكل شيء عن كروية الأرض وشرقها وغربها وخط سير الهلال حولها.. وسيظل المسلمون يتخبطون إلى أن يزول الرؤساء الجهال فى مشارق الأمة ومغاربها عن مقاعدهم ويوسد الأمر إلى أهله وإلا فانتظر الساعة.

ونتساءل لمصلحة من يتم تلفيق الأدلة والتعسف فى تحريفها؟ هل هو لمصلحة المسلمين وجمع كلمتهم؟ وهل توحد المسلمون فى كل أمورهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولم يبق إلا الصوم؟

إن أى شخص يقول بتوحيد المسلمين فى بداية الصوم هو شخص لايفهم شيئاً فى هذا الكون لا فى أمور الدنيا ولا الدين فهو كمن يطالب بتوحيد المسلمين فى وقت صلاة الصبح أو الظهر لأن الشمس لاتطلع على الكرة الأرضية كلها فى وقت واحد ففى كل ثانية أو جزء منها تطلع الشمس على مكان ويحين الظهر على مكان آخر وكذلك العصر والمغرب والعشاء، ففى كل ثانية على وجه الأرض يكون هناك أناس يصلون الفجر وآخرون يصلون الظهر وآخرون العصر وآخرون المغرب وآخرون العشاء فى مختلف الأماكن والبقاع.

وكذلك الهلال أو القمر بعبارة أصح لايتم دورته على الكرة الأرضية فى وقت واحد ومكان واحد كل شهر، وإنما تتم الدورة وتبدأ الأخرى على خط معين من خطوط الطول يختلف كل شهر وهذا الخط يجب أن يكون بداية الشهر بحيث كل من جاء بعده غرباً يكون الهلال أكبر وأكثر وضوحاً ويجب عليه الصوم فى اليوم التالى أياً من كان شرقى هذا الخط فهو تابع للدورة السابقة أى الشهر السابق فلا يجب عليه الصيام أول رمضان أو الفطر آخره.

وكل من يحاول ذلك يكون جاهلاً بالدين وجاهلاً بالكون أيضاً لأن كل شرق وراءه شرق حتى نصل إلى المكان الذى نقف فيه، فالمغرب يكون غرباً منا إذا سرنا متجهين غرباً أما إذا سرنا متجهين شرقاً ولم نغير اتجاهنا فإننا نصل أيضاً إلى المغرب فيكون فى الشرق منا باعتبار آخر.

وليبيا تكون فى الغرب منى إذا وليت وجهى نحوها وأعطيت ظهرى للأردن والعراق،

أما إذا أعطيت ظهرى لليبيا ووجهى للأردن والعراق فإن ليبيا تكون إلى الشرق منى أيضاً فى هذه الحالة.. يوافقنى فى هذه النظرية رجل أفقه منى عشرات المرات بل هو أفقه فقهاء العصر وأعلم منى بالفلك عشرات المرات هو فضيلة الشيخ على الطنطاوى قاضى قضاة الشام ووزيرالعدل أيام الوحدة مع سوريا.. أقصد نظرية الخط الفاصل بين الشهرين زماناً ومكاناً.

ضاعت الحقيقة بين الشيخان «الطير» و«الطيار».. ياقلبى لا تحزن.

كتب الشيخ أحمد الطيار عضو مجمع البحوث الإسلامية التعليقات التالية على نسخة كتابى «زواج ملك اليمين» التى قدمتها له راجياً إياه حكم الدين، لما جاءنى راجياً تلخيص موضوع الاستنساخ وتوضيحه لأنه عضو فى اللجنة التى ستحله أو تحرمه، فكتب بخط يده:

«الخواجة المجنون التافه الجاهل فاقد العقل المغفل المعتوه المخرف الكافر الضال المخبول قليل الأدب الغبى يدعى أن القطع غير «البطر».. هكذا كتبها فضيلته «يقصد البتر».. يستخدم أبشع الألفاظ وأحط الأساليب ويخترع نوعاً من الزواج ويجب أن يداس كتابه بكلتا الرجلين ثم نلقيه فى أقذر سلة وأحقر مكان..».

هذا بعض مايجوز نشره من ألفاظ الشيخ الكبير عضو مجمع البحوث الإسلامية. وسأترك للقارىء الكريم الحكم بيننا، أينا يستحق هذه الألفاظ البذيئة؟ فالإناء ينضح بما فيه.

وهذا هو شيخ آخر عضو مجمع البحوث الإسلامية أيضاً واسمه الشيخ مصطفى الحديدى الطير، راجع سيادته تفسير الطبرى وطبع المصحف الشريف الذى راجعه ويحمل اسمه، وفى تفسيره لسورة الصافات الآية ١٠٧ وقصة فداء إسماعيل بالكبش العظيم، يقول بالحرف الواحد: «الذبيح كان إسحاق وليس إسماعيل» (ص ٣٩٥).. تماماً كما يقول أحبار اليهود.

شكوت هذا «الحبر الأعظم» إلى أمين المجمع ابن الشيخ محمد متولى الشعراوى الراحل العظيم فلم يرد علىّ.

فشكوتهما إلى شيخ الأزهر فضيلة الشيخ سيد طنطاوى ليصحح أو يؤكد هذا الادعاء الجسيم فلم يرد علىّ فضيلته.



طـــرائـــف

سبب هزيمتنا العسكريّة هو الدكتاتوريّة السياسية. والدكتاتورية الدينية هى سبب تخلفنا الدينى. والأميّة التربويّة والاجتماعية والصحيّة هى سبب الطرائف التالية:

١ - هل أعطيته «كورامينا» ؟

كانت تعليمات نائب القسم أثناء فترة الامتياز بالقصر العينى، فى «الخمسينات» ضرورة إعطاء مريض الحالة الحرجة الحقنة المناسبة حتى لو فارق الحياة، لأنه إذا توفى واشتكى أهله من تقصير الأطباء فقد يسأل وكيل النيابة: يادكتور، هل أعطيته كورامينا؟. وقتها كان الكورامين هو المنقذ الوحيد. طبقت هذه «القاعدة الذهبية» فور انتهاء سنة الإمتياز على أول مريض فى عيادتى الخاصة، حين استدعانى أهله للكشف عليه بمنزله. فذهبت على عجل، حيث وجدت «عم فلفل» ٨٥ سنة يلفظ أنفاسه الأخيرة. بسرعة وبثقة نفذت نصيحة النائب المحترم، وقبل شهقة النهاية أعطيته الحقنة السحرية المنبهة «حقنة الكورامين» بعد دقائق ، قبل أن أتقاضى أتعاب الكشف: خمسون قرشاً وثمن الحقنة ثلاثة قروش، توفى الرجل. مضيت أيام لم يتردد على عيادتى أى مريض. خشيت أن تكون وفاة «عم فلفل» بعد إعطائه الحقنة قد قضت على مستقبلى وتمنيت لو أننى كنت قد تأخرت أو تلكأت قبل إعطائه الحقنة. وبكيت حظى. لكن لدهشتى الشديدة فوجئت بأسرته تستدعينى لعيادة زوج ابنتهم. اطمأن قلبى وقمت معهم فرحاً لنجدة الرجل الذى وجدته فى حالة هياج شديدة، كان يكسّر محتويات الشقة وقذفنى «بقلة». أمسكوا به وقيدوه حتى أتمكن من إعطائه الحقنة السحرية المهدئة «فاليوم». تعوّد أهله على أن يعطوه هذه الحقنة فور ظهور بوادر النوبة، توفيراً لأتعاب الحكيم. لكنهم استدعونى مرّة أخرى عقب نوبة بالغة الشدة. تأخرت قليلاً، لم أهرول كالمعتاد، لأبدو بمظهر وقور. حطم الرجل كل ماتبقى من عفش بيته وكاد يلقى بنفسه من نافذة الدور الأرضى بعد أن فشل فى خنق زوجته. فخرجت بى، هى وأخواتها إلى خارج المندرة وواربوا الباب، واقترب منى أخوها الأكبر على استحياء وهمس فى أذنى «عندكش حقنة زى اللى اديتها لعم فلفل؟» كان متأكداً أن الحقنة التى أعطيتها لأبيه قبل وفاته هى التى قضت عليه وعجّلت بموته. وعبثا حاولت أن أشرح لهم الحقيقة، وأن أدفع عن نفسى هذا الاتهام الظالم بدون جدوى، فقد كان هدفهم بعد أن يئسوا من علاجه وقبل أن يفتك بأختهم هو أن يرتاح!. رفضوا الحقنة المهدئة وأصرّوا على الحقنة المنبهة القاتلة ورفضت. رغم أنهم غضبوا وتوعدّوا. وبعد يومين كنت سائراً إلى عيادتى فلمحت «زوجة المرحوم فلفل» بصحبة ابنتها «زوجة المهتاج» ولما اقتربت منهما سمعتها تقول لأمها «الحتوى أهه» فردت بصوت عال وبتلقائية «كته نيله عليه وعلى أيامه».

الأم، رحل عنها «زوجها الطيب» بفضل حقنة «الكورامين» والابنة أطال الله فى عمر «زوجها الشقى» بفضل امتناعى عن إعطائه ذات الحقنة. هكذا كان الطب فى الأحياء الشعبية ولازال.

٢ - إيده مبروكة:

كان المرضى فى حى الحسين والجمالية وفى أحياء كثيرة مجاورة، وفى كافة أنحاء الجمهورية العربية المتّحدة، يتقاطرون على طبيب مشهور اسمه محمد بدر الدين. وكان رحمه الله قد أنقذنى أيام الطفولة من أزمة صحيّة وكتب الله لى على يده النجاة. وكبرت وأصبح لى عيادة فى قصر الشوق بالقرب من عيادته فى بيت القاضى. كان من المستحيل أن يطرق مريض بابى إلا بعد أن يركب الدكتور بدر الدين، الحنطور عائدا إلى منزله. وكان علىّ أنا وغيرى من صغار الأطباء وقتئذ أن نبدأ عملنا بعد منتصف الليل. وفى فجر أحد الأيام أحضروا لى مريضا يتألم منذ أسبوع من مغص كلوى، وابتدأ أهله الحديث بالمقدمة التى اعتدت عليها، أن دكتورهم، هو بالطبع بدر الدين، لكنه مع الأسف روّح. طلبت عينّة بول، رفضوا لأن بدر الدين لايطلب أى تحاليل. ولأن المهم عندهم هو التخلص من الألم، وفى الصباح رباح، يكون الدكتور الموثوق به قد وصل. وماكدت أمسك بالقلم لأحرر التذكرة الطبيّة حتى صرخ المريض: إنت حاتكتب إيه؟ شوف لى أى علاج حالا، أى حاجة عندك تريحنى، أنا غلبت أدوية وحقن عند «عمك» بدر الدين. لمحت على مكتبى حقنة فيتامين، وقررت أمراً، التردد مستحيل، والفيتامين إذا لم ينفعه فلن يضرّه. أعطيته الحقنة فإذا به وقبل أن يخرج من العيادة يصيح طربا، أنا استريحت الوجع راح، البول تدفق. ومنذ ذلك اليوم، وحتى اليوم ظلّ هذا المريض هو وأهله وأولاده وأحفاده ممن يتبركون بى ويتصورون أن إيدى مبروكة، لأننى أفلحت فيما فشل فيه بدر الدين.

٣ - ناصر ٦٧:

الواقع أن الحقيقة جليّة واضحة. من القصة الأولى، الطبيب لم يقتل المريض بحقنة كورامين، ومن القصة الثانية، لم يشْفه بحقنة فيتامين. هؤلاء البسطاء من سكان الأحياء الفقيرة مثلهم مثل أهل القرى فى ريف مصر وصعيده. هم الذين قالوا نعم لناصر ٥٦ وبكوا معه فى نكسة ٦٧ وبكوا عليه حين مات سنة ٧٠. أفقدهم الإعلام وعيهم تماما وضحك عليهم عبدالحليم، فتصوّر كل منهم أنه ناصر، نفخ المطربون فى الزعيم حتى تصور أنه نبى الأمة العربية. أدرك أطباء الإعلام، أن مصادقة إعلامى، هى أقصر الطرق إلى جيوب الناس البسطاء. وتيقّن فقهاء السلطة أن أسرع الأساليب للسيطرة على عقول البلهاء، لابد أن تكون عبر الفضاء.مشكلة أمة الإسلام، أيها السادة هى الأميّة. من أروع ماقال شوقى فى مسرحية

«مصرع كليوباترا» ماجاء في المشهد الافتتاحي. فقد جلس في مكتبة القصر عدد من الموظفين بينهم: حابي وديون. عندما سمعوا الشعب يتغنى بالنصر العظيم «مع أن قوات مصر قد أصابتها نكسة بحرية شنيعة» أما فيلم ناصر ٥٦ فإن المثقفين والعسكريين والأرامل ويتامى حروب اليمن وسيناء وهم يعلمون جيداً أن ناصر ٥٦ ليس إلاّ تمثيلاً جيداً لأكذوبة كبرى.

الشعب يتغنى قائلا:

يومنا في «أكتيوم»	ذكره في الأرض سار
إسالوا أسطول روما	هل أذقناه الدمار
أحرز الأسطول نصراً	صارت الإسكندرية في البحر المنار
ولها تاج البرية	ولها عرش البحار

فقال «حابي» لزميله «ديون»:

اسمع الشعب، ديون

ملأ الجو هتافاً	بحياة قاتليه
أثـّر البهتان فيه	وانطلى الزور عليه
ياله من ببغاء	عقله في أذنيه!

ويرد عليه ديون:

حابي، سمعت وراعني
أن الرميّة تحتفي بالرامي
هتفوا بمن شرب الطلا في تاجهم وأصار عرشهم فراش غرام (غرامه بنفسه)
ومشى على تاريخهم مستهزئاً
ولو استطاع مشى على الأهرام!
كأنّ أمير الشعراء قد كتب هذه الأبيات أمس بعد مشاهدته لفيلم ناصر ٥٦

«أنيس منصور»

مدارس الفكر الجاهلي

رصد المفكر الإسلامي اليمني الأصل إبراهيم بن علي الوزير مدارس خارج المكان والزمان، الداخل فيها مفقود والخارج منها مولود. وهي مدارس ظهرت في التاريخ وتحدث عنها القرآن الكريم وأشارت إليها السنة النبوية ومازال هناك من يرفع شعاراتها ويتبعها رغم أن الأفكار التي ترفع شعاراتها، لاقيمة لها ولا وزن، فهي أفكار تطحن المجتمعات وتدخلها في دوامة من الخلافات الشكلية والقضايا العقيمة.

١ ـ مدرسة الفكر الكهفى:

وهى مدرسة تدخل الكهف وتغلق الباب على نفسها وتقطع مابينها وبين الحياة خارج الكهف وتعيش متصورة أن الكهف هو الحياة وماعداه لا وجود له.

٢ ـ المدرسة السلفية أو الآبائية:

وهى ترمز إلى الذين يرون الحق مقصورا على آبائهم فقط.

هى المدرسة التى حمل لواءها المشركون العرب ورفع أصحابها شعارا يقول «هذا ما وجدنا عليه آباءنا».

٣ ـ مدرسة الفقه البدوى:

وهى مدرسة ضيقة الفهم شعارها يقول «عسروا ولاتيسروا. نفروا ولا تبشروا».

٤ ـ مدرسة الفكر البقرى:

وترمز هذه المدرسة إلى اللجاج والتنطع حمل لواءها بنو إسرائيل، حين أمرهم الله أن يذبحوا بقرة، فراحوا يسألوا: ماشكلها؟ مالونها؟ ومضوا فى لجاجهم الشكلى وتنطعهم.

٥ ـ المدرسة العجلية:

وهى نتاج حكم الطاغوت والاستبداد والتسلُّط. هذا الحكم يلوى فطرة الناس ويحولهم إلى أنعام أو أقل. وقد أشار الحق لذلك فى قوله تعالى: ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾.

٦ ـ المدرسة الحُمارية:

قد أشار إليها القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾. وهذه المدرسة ترمز للذين يحملون العلم ولكنهم لايستفيدون منه.

٧ ـ المدرسة المارقية:

أحدث ما أنتجه الفكر الجاهلى. قال عنهم الرسول ﷺ: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». وترمز هذه المدرسة إلى قوم يستعجلون يوم الدينونة ويعطون لأنفسهم حق حساب البشر.

إذا اجتمعت الأمة واتحدت بإخلاص وقررت الخلاص فسيشع «الفؤاد الجمعى» نوراً نسلطه على عقول وتراث مجتمعنا المريض، فتحدث أكثر «عملية تفريغ» فى تاريخ الأمة، فتجهض العقول من «الأجنّة» التى افترستها وتضع كتب التراث «الأباطيل» التى لوثتها والتى حملتها قروناً عديدة، وتتساقط خفافيش الظلام بفعل الاستنارة. لا حل إلا أن نجتمع ونتحاور

لنحدد أين تقع هذه المستوطنات، فإذا أغلقناها وحررنا أرضنا الطاهرة من هذا الفكر البليد، ستتحد الأمة المؤمنة بكل عقائدها، وسيصبح من حقها أن تتكاتف لتوجه سهامها الفكرية وقذائفها العقلية إلى حصن الظلم المنيع: الإدارة «الحقوقية» التي تمارس مهمتها في الظلام وهي - في الواقع - طمس الحقيقة وتزييف الماضي وتزوير الوثائق والمستندات النبوية الشريفة التي خلفها رسولنا الكريم لتهتدي به وبها الأمة، حتى تقطع كل صلة بين الماضي والحاضر، فإذا تطهرت «الأصولية»، فسنفاجأ بأن قلاع الفجر ومجالس العهر قد تهاوت بلا طلقة واحدة. ادعو معي: الله أكبر... «نصر من الله وفتح قريب».

معارف وعلوم قد شقيت بها : فرحت ألهو بها كالطفل بالوحل

يا ضيعة العمر إذ أفنيت معظمه : بالقال والقيل والتعليل والجدل

لكن عزائي أني أستأنس بما قاله رسول الله ﷺ لعليّ رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بي رجلاً واحداً لأفضل عندي من حمر النعم».

خاتمة

ننتهى إلى أن رأيى هو:

١ ـ الإجهاض جريمة فى حق الله وحق كل من وما خلق.. لكنه ضرورة.

١ ـ تحديد النسل: جريمة ودليل عجز السلطة. لأن إباحة وسائل منع الحمل بالأسلوب الحالى والإعلان عنها بدون ترشيد وتحذير وتوعية أدى إلى انهيار أخلاقى جسيم.

٣ ـ لابد من تشجيع العلاقات الشرعية وتعديل القانون لإزالة العقبات أمام الراغبين فى الحفاظ على أسرة فقدت عائلها وليس فقط لبناء أسرة جديدة. أو سيدة فقدت عذريتها بالإكراه أو الاغتصاب أو بالخطأ أو الخطيئة أو فتاة أضاعت عرضها أو ضاع منها الطريق.

هل هذه الآراء يستحق أن يصادرها الأزهر الشريف أو تهان بأسلوب بذىء لشيخ ضال لا يستطيع أن يجد حلاً لأى مشكلة ولا حيلة له إلا ترديد ما تلقنه ولم يفهمه؟

خير الإخوان:

من دعاك إلى صدق المقال بصدق مقاله   وندبك إلى أفضل الأعمال بحُسن أعماله

الحسن البصرى

يُعلمنا القرآن أنه لاحرج فى أن نتنازل عن بعض آرائنا تنازلاً مؤقتاً فى سبيل عدم قطع خيوط التواصل مع الآخرين ولإيجاد أرضية مشتركة لتبادل الآراء دون أحكام مسبقة، وحتى نتمكن من إسماع الطرف الآخر وجهة نظرنا بغرض إقناعه والتأثير فيه.

فإذا كان عند أحد القرّاء رأى آخر فى مواضيع: النفس والروح وملك اليمين وأسباب نزول القرآن، أو تعليق على ملاحظة أبديتها ويرى هو أنها غير مناسبة، أو غير لائقة فليتفضل بإعلان وجهة نظره الأصح ورأيه الأفضل، فهدفنا إظهار الحق، وإزهاق الباطل. من الظلم أن يتركنى القارئ الكريم وأنا فى هذه السن الحرجة، أواجه ربى وحسابى دون أن أتراجع وأتوب عن رأىٍ خاطئٍ أبديته بهدف نبيل. فإذا كان غرضى إقناعك والتأثير عليك فهذا لابد أن يكون غرضك.. الحوار فرض، الحوار حتى لاتضيع الحقيقة، ويضيع العمر فى الشجار. كان هذا الكتاب هو الفصل الأول من كتابى الجديد «خلق أم تطور: قضية النفس والروح». فجعلته منفرداً، كمقدمة لكتابى القادم الذى يفسّر ويفصّل أهم ما وصلت إليه من حقائق حول النفس والروح. وآثرت أن أبدأ المعركة مع الفقهاء هنا. فمجال الكتاب الجديد علمى بحت، ومع أنه مبسّط إلا أن الفقهاء لم يدرسوا العلوم الطبيعية رغم تطوير الأزهر، ولايمكن أن يكون لهم رأى فى مسائل لايعتد بالرأى فيها إلا لمن آمن بصدق وبعمق أن «الدين حياة والحياة دين».

وبعد فهذا مايسّر الله تعالى به فى بيان هذه القضايا، والحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، وأصلّى وأسلّم على خير خلق الله، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

دكتور محمد عبد المعطى الحتو:

منزل: ٥٢ شارع الطيران مدينة نصر أمام مستشفى التأمين الصحّى ٢٦٠١١٨٦

عيادة الحسين: الجمالية ٣ شارع حبس الرحبة ٥٩٠٨٩٥٩ ـ ٥٩١٦٨٧٢

طـــوارىء ٠١٢/٢١٦٥٤١٦

المراجــــع

* الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، الدكتور المهندس محمد شحرور. الأهالى للطباعة والنشر، دمشق.
* قصة التفسير، الدكتور أحمد الشرباصى. دار الجيل، بيروت.
* قال ابن عباس.. حدثتنا عائشة، د. فهد العرابى الحارثى. مكتبة الملك فهد الوطنية.
* الله ليس كذلك، زيجرد هونكه. دار الشروق، مؤسسة بافارى.
* الزواج فى المجتمع المصرى الحديث، عادل أحمد سركيس. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
* تحديث الأسرة والزوج، الدكتور عادل العوا. دار الفاضل، دمشق، مكتبة الأسد.
* الزواج فى العالم، فيلرى بورتر. دار الرشيد، دمشق، بيروت.
* نساء النبى مواقف وقضايا، سعد عاشور.
* الزواج عند العرب فى الجاهلية والإسلام، الدكتور عبدالله الترمانينى. دار القلم العربى، حلب.
* الزواج العرفى، ممدوح عزمى. دار الفكر الجامعى، الإسكندرية.
* قول على قول، مقالات للدكتور أحمد إسماعيل على، جريدة الأهرام القاهرية.
* حد الردة، دراسة أصولية، أحمد صبحى منصور. طيبة.
* قتل المرتد، سلسلة الإسلام الذى يجهلون، محمد منير ادلبى. دار الأهالى، دمشق.
* أحكام الزواج على المذاهب الأربعة «غاية المقصود لمن يتعاطى العقود» لأبى العباس الشافعى، بيروت.
* المعراج، انشقاق القمر، العبادة فى القطبين، ناصر الشيرازى. دار النبلاء، بيروت.
* ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار، دار الجيل بيروت. ابن القطعة.
* عدة النساء عقب الفراق أو الطلاق، المستشار الجندى. دار الكتب القانونية، المحلة الكبرى.
* إمبراطورية النساء العاملات، إيمان محمد مصطفى. الزهراء.
* حقوق النساء فى الإسلام، السيد محمد رشيد رضا. دار الأضواء.
* زواج المتعة، فرج فودة. الدار العربية.
* زواج المتعة، د. أبو سريع عبدالهادى، أستاذ الفقه. الدار الذهبية.
* المتعة، الزواج المؤقت عند الشيعة، د. شهلا حائرى. المجلة الدولية لدراسات الشرق.
* زوجة الغائب، دراسة مقارنة، د. محمد عبدالرحيم. دار السلام.
* قضايا المرأة، محمد الغزالى. دار الشروق.

* يوميات زوجة سرية، مرفت إسماعيل عبدالتواب. مطابع الأهرام.
* القاضى عياض اللغوى، د. التهامى الراجحى الهاشمى، حديث أم زرع.
* تحديد النسل، هيئة كبار علماء المملكة العربية السعودى.
* تحديد النسل جريمة فى حق الدين والوطن، د. عبدالغفار عزيز.
* تجارب على الجنين، د. منى فريد عبدالرحمن. المكتبة الأكاديمية.
* الإجهاض بين الطب والقانون، د. سيف الدين السباعى. دار الكتب العربية، دمشق.
* الإباحية والإجهاض، معركة الأزهر والحكومة، عبدالله كمال.
* مشكلة الإجهاض، دراسة طبية فقهية، محمد على الباز. الدار السعودية.
* الإجهاض ضرورة قومية والاعتقاد قضية علمية، د. محمد عبدالمعطى الحتو.
* الاغتصاب، بحث طبى وشرعى، رالف بنسون أستاذ أمراض النساء.
* الزواج فى ظل الإسلام، عبدالرحمن عبدالخالق. دار الجيل.
* عشرة النساء، الإمام النسائى. دار الكتب العلمية، بيروت.
* نظام تعدد الزوجات فى الإسلام، د. كوثر كامل. دار الاعتصام.
* الزواج والطلاق فى القانون الليبى وأسانيده الشرعية، جامعة قار يونس.
* الزواج فى ظل الإسلام، عبدالرحمن عبدالخالق. دار الجيل.
* زواج المتعة حلال، محاكمة المنهج الفقهى عند أهل السنة، صالح الوردانى. كنوته.
* الشفرة الوراثية للإنسان، ترجمة أحمد مستجير. عالم المعرفة ٢١٧.
* شبهات وقضايا حول نظام الأسرة فى التشريع الإسلامى، مصطفى شيبه. جامعة سبها.
* إعجاز الكلمة فى القرآن، د. فاروق إسلام. مركز المجتمع الإعلامى.
* إعادة قراءة القرآن، ترجمة د. وائل غالى، جاك بيرك.
* القرآن والإعجاز فى خلق الإنسان، د. طاهر توفيق. دار النصر.
* جلاء الظلمة فى التحذير من سيادة الشعب والأمة، نظرية السيادة فى ميزان الإسلام، أحمد الشريف، ١٩٩٣، مكتبة الصحابة، مكتبة التابعين، جدة.
* بابا روما الأسبق Abortion the Holocaust John Powell

Experiences of abortion Denise Winn Optima

L'Avortement Enjeux Politique Michell Schooyans

La Contraception Masculine J. FGuerin Simep

An introduction to Genetic enginering Cambridge, Desnono Nicholl.

The soul of the ape the soul or the ant.

Will there ever be another YOU can we clone humans on cloning,-Time newsweek 10/3/97.

الفهـــــــرس







❖ زواج المتعة، العقد العرفي، زواج المسيار، أنت لاتقبل تلك الأشكال الغريبة العجيبة للعلاقات السرية والشاذة لأختك أو لابنتك البكر العذراء، وأنا لا أقبله .. فماذا لو قبلت هي؟

❖ زواج للكبار فقط، زواج ملك اليمين، ملايين النساء : أرامل، مطلقات، عوانس، عاجزات تناسليا، جنسيا صحيا، بدنيا، عقليا أو تربويا .. كيف نحل مشكلة حرمان هذا القطاع العريض؟ لا حل إلا التنازل عن بعض حقوق الزوجية .. أنت لاتقبل عنهن وهن لا يمانعن.

❖ لأن الزواج ليس فقط علاقة جنسية للمعاشرة، تناسلية، للتكاثر .. للزواج أهداف أعم وأهم : «العشرة، الونس، المصالح، التكامل، رعاية الأيتام، العفة، وحفظ العرض».

❖ رسول الله ﷺ ضم إلى زوجاته أسيرته اليهودية جويريه . وقبل هدية المقوقس عظيم القبط وأنجب منها ولده إبراهيم. فهل يتصور عاقل واحد أن تقوم علاقة غير زوجية بين النبي وأسيرته أو جاريته التي أهديت إليه أو التي وهبت نفسها له.

❖ الفقهاء لم يفرقوا لغويا بين «النفس» لفظ مؤنث و«الروح» لفظ مذكر، فأخطأوا في تفسير آيات الخلق والحياة والموت والبعث والإسراء والمعراج وعذاب القبر.

❖ النفس الإنسانية هي العقل والفؤاد . كائن غير منظور، خلق قبلك، مستقلة عنك، تحل فيك وتخرج منك مؤقتا عند النوم ونهائيا عند الموت، هي وجسدك أشباح تحل في أرواح، أصل وصورته .. غيبي وغبي، مجهول وجهول، باق وفان، حقيقة وخيال.

❖ وهكذا .. ستنقلك فجأة من قصور الثقافة وحدائق العلم وآفاق المعرفة ودنيا الخيال العلمي إلى الحقيقة المرة في قصور العقل والتخلف الفقهي . وستقارن بين أدب حوار أحباب محمد ﷺ وبين حوار جماجم خاوية أحفاد أحبار هارون «الطير والطيار».

المؤلف